التجربة الهندية

التجربة الهندية

أيمن يوسف وائل أبو حسن

نماء للبحوث والدراسات
Namaa for Research and Studies

نماء للبحوث والدراسات
Namaa for Research and Studies

نماء للبحوث والدراسات
بيروت – لبنان
info@nama-center.com
الرباط – المغرب
هاتف – فاكس: 00212808564831
موبايل: 00212688953384
القاهرة – مصر (نماء للبحوث والدراسات)
هاتف - واتس: 00201115533255

لطلبات الشراء البريدية: متجر نماء
www.nama-store.com
nama-store@nama-center.com
هاتف: 00201101509898
واتس: 00201098489815

متجر نماء
Namaa Store

الفهرسة أثناء النشر، إعداد نماء للبحوث والدراسات
يوسف/ أيمن، أبو حسن/ وائل (مؤلف)

التجربة النهضوية الهندية

المؤلف :أيمن يوسف / وائل أبو حسن
352 ص، (تجارب)
14.5×21.5 سم

رقم الإيداع: 3983/2021
ISBN: 978-614-431-825-6

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر نماء»

حقوق الطبع والنشر محفوظة لنماء
© الطبعة الثانية، القاهرة / لبنان، 2021م

الفهرس

تمهيد ٧

مقدمة ١٣

الفصل الأول: مسيرة الهند الحديثة ما بين كوابح الاستعمار وتطلعات الاستقلال الوطني والسيادة ٢٧

الفصل الثاني: الهند ما بين قوة نظامها السياسي الديمقراطي ومتانة علاقتها الخارجية والدولية ٦٧

الفصل الثالث: الاقتصاد الهندي من اشتراكية نهرو ومركزية التخطيط إلىٰ الإصلاحات والاندماج في الاقتصاد العالمي ١١٩

الفصل الرابع: الهند حضارة وثقافة وظاهرة التعددية الثقافية الهندية وتشابكها في المجال العام ١٥١

الفصل الخامس: مؤسسات التعليم ومراكز البحث العلمي في الهند وأبعاد الاستثمار في العلوم والتكنولوجيا ١٩٩

الفصل السادس: تحديات وصعاب ما برحت تواجه الهند ٢٤٩

خلاصة واستنتاجات ٢٩٥

قائمة المصادر والمراجع ٣٠٣

تمهيد

يأتي هذا الكتاب حول النهضة الهندية المعاصرة في سياق إضافات مركز نماء لتجارب النهضة في أكثر من بلد في العالم، بهدف تقييم مسيرتها والاستفادة من هذه التجارب لصالح نهضة البلدان العربية والإسلامية في زمن تشابك فيه الخيوط والمسارات التنموية مع الحقائق السياسية والتربوية والعلمية والاجتماعية، وتشكل فيه التحديات الداخلية والمعوقات الخارجية أحد مظاهر الانتصار في سبيل الوصول إلىٰ نهضة حقيقية شاملة.

اتبع المؤلفان منهجية شاملة في دراسة الحركة النهضوية الهندية وذلك لسببين: الأول أن الهند بلد كبير معقد من حيث السكان والثقافات والأديان والإدارات المحلية والقوانين والطوائف والطبقات الاجتماعية، ولا يمكن استيعاب كل ذلك إلا من خلال المنهجية الشمولية الجامعة لكل هذه المتغيرات المادية والمعنوية، والسبب الثاني يعود لقناعة المؤلفين أن المنهجية الشمولية هي بالأساس تعكس تداخل مختلف مظاهر النهضة الهندية ومكوناتها العامة مع بعضها البعض، فلا يمكن فصل السياسي عن الثقافي، ولا الاجتماعي عن الاقتصادي، ولا يمكن التدقيق بمظاهر القوة

العلمية والتقنية بمعزل عن الاستثمار في الموارد الطبيعية والبشرية.

المتابع أو الدارس أو الباحث في شؤون الظاهرة الاجتماعية يدرك تمامًا كلية المشهد التي تتحقق حينما يتم تجميع خيوطه ومساراته في قالب ذهني واحد يعكس تداخل العلوم المعرفية مع بعضها البعض.

وإذا كانت الهند اليوم القوة الرابعة في العالم عسكريًا (بعد أمريكا وروسيا والصين) واقتصادها يحتل المركز الحادي عشر من حيث الناتج المحلي الإجمالي بحسب إحصاءات الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي للعام ٢٠١٣، فإن كل ذلك ما كان ليتحقق لولا الخطوات النهضوية التي قامت بها الهند مباشرة بعد استقلالها والبدء بمسيرة التنمية والبناء قبل أكثر من ستة عقود من اليوم. فالتخطيط المركزي تكامل في مرحلة لاحقة مع اللبرلة الاقتصادية، والعلمانية الهندية صاغت توجهاتها المحافظة لتعكس روح الهند المتعددة، وثقافاتها المتنوعة وهيراركيتها الدينية المتداخلة مع الواقع الاجتماعي والثقافي والإرث التاريخي.

إن الاستعراض التاريخي لنهضة الهند، والتحام تجربة الاستقلال والتحرر مع تبني النموذج الديمقراطي للنظام سياسي، والتخطيط المركزي كنموذج اقتصادي، أثبت أن نهضة الهند المعاصرة جمعت عناصر وعوامل وتغيرات أصيلة نابعة من تربة الأرض، ومن مناخها المعنوي، وعناصر غربية جسدتها التجربة الديمقراطية، وأخرىٰ اشتراكية عبر الحديث المطول والتطبيق

العملي للتخطيط ونمو القطاع العام لجسر الهوة بين الأغنياء والفقراء. هذا النموذج الهندي الفريد من نوعه امتزج مع خطط حكومية للاستثمار في العلم والتعليم والتكنولوجيا، وضع الهند علىٰ خارطة العالم التكنولوجية والاقتصادية.

والله ولي التوفيق والنجاح.

المؤلفان

قراءة نقدية في سر النهضة الهندية

التطور التاريخي،

المظاهر،

المجالات الحيوية،

والمعيقات

مُقَدِّمَة

منذ أن نالت الهند استقلالها عن بريطانيا العظمىٰ في العام ١٩٤٧م وهي تواجه الكثير من الصعوبات والتحديات في مشوارها النهضوي وما يتعلق به من عوامل التحرر والنمو، وعلىٰ رأسها عوامل الداخل وعوامل الخارج، المحيط والبعيد. ومع ذلك استطاع هذا البلد العملاق أن يسطر -مع التراكمية الزمنية- قصة نجاح وصعود علىٰ الصعيد الإقليمي والكوني، لا مناص من دراستها ومحاولة الاستفادة من حيثياتها. فضلا عن مكنوناتها ومضامينها الفلسفية والفكرية والتجربة العملية، لعلنا نستطيع أن نستفيد في عوالمنا العربية والإسلامية من التراث الحضاري النقدي الهندي في توليد الحضارة وأنسنة التنمية والوصول إلىٰ درجات محترمة علىٰ سلم ميزان القوىٰ الإقليمي والدولي.

الهند كقوة كونية صاعدة برز نجمها مؤخرًا في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والتقنية والعسكرية، مرحلة تعود في انطلاقها إلىٰ أواخر الثمانينات من القرن الماضي وبداية التسعينات حيث شهدت هذه الفترة من تاريخ الهند السياسي خروجها من العباءة الاشتراكية والفلك السوفياتي ودخولها إلىٰ عالم

المنافسة والسوق الحر، خاصة عقب اغتيال رئيس وزرائها راجيف غاندي، واستلام ناراسيمها راو من حزب المؤتمر الوطني، مقاليد الحكم في ذلك البلد في بداية تسعينيات القرن الماضي. وهنا نستمد قصة حالة الانتقال الهندي من البناء المؤسسات والفلسفة الاقتصادية والتنموية، سيطرت فيها أفكار جواهر لال نهرو الاشتراكية الثورية والكارزماتية العالم-ثالثية والدولية، إلىٰ مرحلة أخرىٰ أقل ما يقال عنها إنها مرحلة الانتقال إلىٰ اقتصاد السوق والاندماج في العالم بكل دوله وشعوبه وأيديولوجياته، وفرصه وتحدياته. ولا بد من الإشارة إلىٰ أن سهولة التحول Smooth Transformation من مرحلة إلىٰ أخرىٰ، سهل عملية اكتساب الهند للسمعة الطيبة في إدارة تناقضات نظامها السياسي وتحولاتها الاقتصادية والمجتمعية، وانفتاحها علىٰ مجمل مكونات المنظومة الدولية الاقتصادية والمالية والسياسية.

لا شك أن بعض التغيرات الدراماتيكية الكونية وعلىٰ رأسها انتهاء الحرب الباردة بإعلان تفكك الاتحاد السوفياتي سابقا أفرز جملة من العوامل التي يعتقد أن لها دورًا كبيرًا في نهضة الهند كتابع للمنظومة العالمية الاشتراكية وداعم لها، ليحل محل ذلك الانفتاح الكبير علىٰ الغرب الصناعي، وعلىٰ رأسه الانفتاح علىٰ الولايات المتحدة الأمريكية والتعاون معها، ومع عدد من حلفائها في مختلف الميادين استراتيجيًا وسياسيًا واقتصاديًا، إضافة إلىٰ تفعيل أدوار الهند في منظمات دولية وإقليمية مختلفة مثل حركة عدم

الانحياز Non-Alignment Movement ومنظمة أو تجمع البركس BRICS وهو تجمع دول اقتصادي سياسي يضم الهند والصين وروسيا والبرازيل وجنوب إفريقيا[1]. وهو بالتالي ما قد دفع بالهند إلىٰ إعادة النظر في خططها وحساباتها وطنيًا وإقليميًا ودوليًا، وترتب عليه الكثير من التحولات الداخلية والخارجية، وبالتالي الدفع باتجاه الاستثمار القومي من أجل تنمية بشرية شاملة، واستثمار قومي عبر الحدود وعبر البحار والمحيطات وتوجه البلد لما فيه من مصالح قريبة وبعيدة المدىٰ سندها التفاعل مع الآخر والتوجه في كل الاتجاهات شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا، للانفتاح علىٰ دول كاليابان والصين، والولايات المتحدة واستراليا والشرق الأوسط والعالم العربي والخليج العربي وغيرها من دول العالم.

صحيح أن الهند تواجه العديد من المتاعب والمصاعب المتعلقة بالاقتصاد، واضطراب العلاقة مع جارتيها النوويتين الصين وباكستان، إضافة إلىٰ تهديد شبح العنف الطائفي والديني والإثني والعرقي والطبقي الذي يغذَّىٰ من حين إلىٰ آخر ويتفجر لحسابات

(١) تم تأسيس حركة عدم الانحياز في العام ١٩٥٥ بعد مؤتمر باندونغ في إندونيسيا حيث حضرته العشرات من دول آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية التي استقلت حديثًا عن الدول الأوربية الغربية بحيث تعهدت بعدم الانحياز أو عدم الانجرار وراء توازنات الحرب الباردة والتصعيد الكبير في العلاقات الدولية بين الاتحاد السوفيتي السابق ومنظومته الاشتراكية والولايات المتحدة الأمريكية ومنظومتها الرأسمالية الغربية. وقد كانت الهند ومصر وإندونيسيا وغانا ويوغسلافيا من المبادرين الأوائل لهذه الحركة.

سياسية داخلية مقيتة من أهم تلك التحديات التي واجهتها -وما زالت- الهند إلىٰ الآن، إلا أن الحكمة والحنكة السياسية الهندية والمتمثلة بقادتها لربما تبعث علىٰ الطمأنة بأن البلد عمل ويعمل علىٰ حلحلة مشاكله بالدبلوماسية بالتوازي مع مسار بناء قدراته العسكرية لأغراض الحماية والردع، فضلا عن أهمية المسار الديمقراطي والهوية الوطنية والتنمية المتوازنة والاستثمار في التعليم والتكنولوجيا والمصادر البشرية.

وقد كان للتعددية السياسية والحزبية أثرها الإيجابي في بلد كبير كالهند، حيث انعكست هذه التعددية الفكرية والثقافية علىٰ مجمل مكونات الحياة المجتمعية في الهند خاصة في انتخاباتها العامة وتبادل السلطة وتداول الأحزاب السياسية علىٰ الحكم خاصة حزبي المؤتمر الوطني العام وحزب الشعب القومي الهندوسي ذو الأصول الأيديولوجية المحافظة.

هذا ونشأ العديد من الأحزاب الهندية العاملة علىٰ مستوىٰ السلطة المركزية، العلمانية منها والاشتراكية واليسارية والقومية وحتىٰ الجماعات الأصولية والدينية حيث سمح قانون الأحزاب الهندي وقانون الانتخابات بهذه التعددية السياسية لتتلاءم وتعكس تعددية الهند الثقافية والطبقية والمناطقية والطائفية والدينية. وبهذا استفادت الهند من المنظومة الديمقراطية العامة، السياسية والمجتمعية، لإدارة خلافاتها سلميًا وبشكل تدريجي ومتوازن.

وقد أسهم كل ذلك في مرحلة لاحقة في إعادة تشكيل

المنظومة التعليمية والتربوية والفكرية، وانعكس ذلك علىٰ البنىٰ والهياكل الاجتماعية التي أصبحت تتعايش مع بعضها البعض وتدير خلافاتها بشكل أكثر سلمية، متناغمة في ذلك مع مقولات وأطروحات غاندي ونهرو حول الاحتفال بالاختلافات، وإدارة مهرجان التعددية بشكل سلس ومتناسق. إضافة إلىٰ تعميق مفاهيم الإدارة الشعبية والإعلام الشعبي والدبلوماسية العامة عبر تشكيل نظام أو أنظمة ذاتية لإدارة القرىٰ والأرياف تحت مسميات Panchayat Raj والذي يجسد أحد أهم أشكال الديمقراطية المباشرة الممارسة في أنظمة الإدارات المحلية في أكثر من مقاطعة وإقليم وولاية ومنطقة إدارية اتحادية ومركزية في هذا البلد مترامي الأطراف.

انقسمت مسارات البحث أو مسارات هذه الدراسة إلىٰ خمسة مسارات أو خمسة فصول رئيسة، إضافة إلىٰ المقدمة والخاتمة والتوصيات وقائمة المصادر، إضافة إلىٰ فصل تحليلي يوضح المعيقات والمعوقات في طريق النهضة الهندية. ففي مسار السيادة والاستقلال، تم التعريج علىٰ الأحداث المفصلية التي مرت بها الهند في فترة ما قبل استقلالها في العام ١٩٤٧، أي في فترة وقوع الهند تحت الانتداب البريطاني وصعود نجم الحركة الوطنية الهندية، والوقوف علىٰ الأدوات والأساليب التي تم استخدامها في الميدان لمنازلة بريطانيا ونفوذها وإدارتها في الهند والسير بخطوات ثابتة نحو الاستقلال. وأهم ما يمز هذه المرحلة من

التاريخ الهندي التركيز علىٰ سمتين أساسيتين:

أولها: بروز شخصية المهاتما غاندي العالمية الذي يعد -بحق- الأب الروحي والقومي للهند الحديثة، حيث استطاعت الحركة الوطنية الهندية تطوير أدوات ووسائل مقاومة لاعنفية راقية تنوعت بين المقاطعة والإضرابات والاعتقالات والاعتصامات والعصيان المدني والمقاومة السلبية، ولاحقا أصبح غاندي وفلسفته الروحية والتحررية مدرسة فكرية ملهمة لكثير من تجارب التحرر والتحرير في العالم حيث أخذ من نيلسون مانديلا في جنوب أفريقيا وياسر عرفات في فلسطين ومارتن لوثر كينغ في حملته لتحرير السود من سطوة البيض في أمريكا. أما السمة الثانية: فكانت انفصال باكستان (في ١٩٤٧) ولاحقا بنغلادش (في ١٩٧١) عن جسد الدولة الهندية حيث فشلت الحركة الوطنية الهندية في إقناع الجماهير الهندوسية والمسلمة أن الهند الموحدة يجب أن تبقىٰ دولة واحدة، ومنذ ذلك اليوم برز التناقض والصراع الهندي الباكستاني الذي استنزف موارد هائلة وجر الدولتين إلىٰ حروب دامية في أكثر من مناسبة كان آخرها في العام ١٩٩٩ وكادت تصل إلىٰ مواجهة شاملة بين البلدين لولا تدخل القوىٰ الخارجية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

ومما يصعب ويأزم من خطورة المواجهة بين البلدين اليوم هو امتلاكهما للقدرات والأسلحة النووية، ما يتبع ذلك من نتائج كارثية إذا ما تم استخدام هذا السلاح المدمر بين خصمين لدودين علىٰ المنطقة والعالم من حولهما.

أما في مسار البرلمانية الديمقراطية الهندية، فإن الدراسة الحالية أظهرت الأسس الديمقراطية ومرتكزات التعددية للدولة الهندية منذ أيام جواهر لال نهرو والمهاتما وغاندي، مرورًا بمختلف التجارب الانتخابية التي مرت بها الهند منذ استقلالها في العام ١٩٤٧ حتىٰ آخر انتخابات حرت هذا العام ٢٠١٤، وشهدت عودة حزب الشعب القومي الهندوسي إلىٰ سدة الحكم كبديل عن حزب المؤتمر الوطني الهندي الذي حكم البلاد لفترات طويلة. ومن المعروف أنه تلازم مع ظهور النظام السياسي الديمقراطي البرلماني الهندي بروز إدارة عامة توازن فيها الصلاحيات بين الحكومة المركزية في العاصمة السياسية وحكومات الولايات الهندية في الأطراف حيث استفادت الهند ما بعد استقلالها من تجارب عالمية في الديمقراطية والإدارة العامة والفيدرالية بما فيها تجار أمريكا وبريطانيا وفرنسا، بحيث كان شعارها دائمًا «عدم الانكماش والانفتاح المتوازن علىٰ الخرج والحفاظ علىٰ السيادة الوطنية». وهذا أيضًا ينطبق علىٰ السياسة الخارجية حيث وازنت الهند بين حلفائها وأصدقائها، وتوسعت دائرة علاقاتها في آخر عشرين عام بحيث انفتحت علىٰ خصوم الأمس خاصة أمريكا والصين، وتوسعت روابطها واستثماراتها في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والمنطقة العربية وحتىٰ «إسرائيل».

في فصل الاقتصاد الهندي (من اشتراكية نهرو إلىٰ انفتاح ناراسيمها راو ومسيرة الاقتصاد الحر) يمكن الإجمال والقول أن

الهند تحولت فيه من المنظور الاقتصادي من التخطيط المركزي المسيطر عليه من قبل الدولة وتضخم القطاع العام والضوابط علىٰ القطاع الخاص، ودعم الدولة المباشر لقطاعات الإنتاج والاستهلاك وتوزيع الموارد، حيث عرف كل ذلك بالاشتراكية الوطنية الهندية. لكن مع بدايات العقد الأخير من القرن العشرين بدأت الهند مسيرة الإصلاحات الاقتصادية، وانتقلت من خلالها من اقتصاد الدولة الموجهة والمختلط إلىٰ اقتصاد السوق، وهذا يعني بكلمات أخرىٰ زيادة تأثير القطاع الخاص وتضاءل دور الدولة في النشاطات الاقتصادية عمومًا والانفتاح علىٰ مختلف مكونات الرأسمالية العالمية ومؤسساتها المتعددة بمن فيها منظمة التجارة الدولية وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وأسهم كل ذلك في سهولة مرور السلع والخدمات ورأس المال والتكنولوجيا والعناصر البشرية بين الهند من جهة والعالم الخارجي من جهة أخرىٰ.

في الفصل الرابع والذي يدور حول التعددية الثقافية الهندية وتشابك الطبقية والإثنية في المجال العام والنظام الاجتماعي والمؤسسات الثقافية والتراثية وإنجازاتها الحضارية ذات الطبيعة الإنسانية، امتزج في هذا الفصل الدمج بين المؤشرات الإيجابية للحياة الثقافية ومساهمة الهند في إغناء تراثها، وإثراء التراث العالمي عبر مؤسساتها المختلفة بما فيها المكتبات ودور النشر والجمعيات الثقافية والابتكارات الثقافية التراثية ودور السينما والمرأة في كل ذلك. لكن علىٰ صعيد آخر، تركز هذا الفصل أيضًا

في التعليق النقدي علىٰ سمات النظام الاجتماعي الهندي والمؤسسات الاجتماعية، وما اكتنف هذا النظام من مظاهر سلبية بفعل الطبقية والتوزيع الهيراركي للوظائف الاجتماعية، وظهور طبقة المعزولين والمنبوذين وسلبية المجتمع تجاه المرأة.

في مسار مؤسسات التعليم العالي ومراكز البحث العلمي في الهند والاستثمار في التكنولوجيا، وتعزيز آفاق العلم والتعلم والبحث العلمي علىٰ عدة مستويات، اقتنع الباحثان من أن ما تمتلكه الهند من ميراث تربوي تعليمي وتعلمي، إنما هو في الحقيقة أحد أهم المظاهر والعوامل لنهضة الهند الفكرية والتحامها مع العالم والحضارة العالمية. وهذا يعود لجذور طويلة حيث الفكر التربوي والتفكير النقاد والبحث عن الحقيقة ونشأة المدارس والجامعات ومراكز البحث العلمي. وهنا لا بد من الإشارة إلىٰ أن أحد مفاعيل الانتداب البريطاني الإيجابية في شبه القارة الهندية، إنما كان في نشر ثقافة اللغة الانجليزية، مما أسهم في إعطاء فرصه للهند للتعلم من تجارب الآخرين وصقل تجاربهم الذاتية والموضوعية. وبالرغم من ضآلة حضور الجامعات والمؤسسات الأكاديمية الهندية علىٰ قوائم الجامعات المرموقة في العالم إذا ما أخذنا بعين الاعتبار عددها الكبير، إلا أنه وفي نفس الوقت فإن هناك استثمار حكومي واضح في هذا القطاع خاصة في العلوم التقنية والطبية والهندسية لدرجة أضحت فيها الهند عَلَمًا من أعلام التكنولوجيا، وأصبحت تمتلك ما يقارب ثلث مهندسي الكمبيوتر

المرموقين علىٰ مستوىٰ العالم والمنتشرين عالميًا من استراليا إلىٰ سنغافورة، ومن دبي إلىٰ كاليفورنيا.

أما بالنسبة للأهداف والأغراض فإن الدراسة الحالية تهدف إلىٰ الغوص في مسيرة الهند النهضوية وإلىٰ معرفة أهم تلك العوامل الكامنة وراء نهضة العملاق الآسيوي، وأهم مظاهر ذلك النهوض والمعيقات والتحديات التي تواجهه في ظل الحراك العالمي المحموم ما بين مختلف القوىٰ الصاعدة والتقليدية، إضافة إلىٰ محاولة الوقوف علىٰ أهم تلك العوامل الداخلية كمعيقات وتحديات، والجهد الهندي المنظم المبذول من أجل تجاوز تلك المعيقات والتحديات.

كما أن الباحثين تناولا التجربة الهندية بالتحليل والعرض والتأويل النقدي بهدف الوقوف علىٰ أهم الدروس والعبر المستفادة من حياة الأمم الأخرىٰ لما فيه من جملة منافع وفوائد قد تعود علىٰ صانع القرار في العالم العربي والإسلامي، مما قد يوظف مرحليًا واستراتجيًا من أجل نهضة عربية لطالما انتظرها الإنسان العربي من دوله وحكوماته المتعاقبة طويلًا.

من هنا تبرز أهمية التطرق إلىٰ موضوع النهضة الهندية كنموذج تنموي ينتمي إلىٰ العالم النامي الثالث، وتبعات ذلك علىٰ المحيط الإقليمي والمسرح الدولي.

كما أن الدراسة الحالية وضعت نصب الأعين أهمية تحقيق مجموعة من الأهداف والغايات والمبررات التي تعكس كلها أهمية

الموضوع وأهمية الكتابة فيه في هذا الوقت بالذات الذي يشهد فيه العالم من حولنا مجموعة من التحولات الهامة علىٰ كافة الأصعدة والجبهات. ومن هذه الأهداف نذكر التالية:

١- التأسيس لمدرسة فكرية عربية ليست استشراقية عن الهند ونهضتها وحضاراتها من كافة الجوانب، بحيث تتطرق هذه المدرسة الفكرية التي يقودها أكاديميون ومختصون، إلىٰ مختلف الانجازات الهندية بعيدا عن الصور النمطية والإعلام الشعبي السلبي عن الهند، وبعيدا عن الأحكام المسبقة والأفكار غير المدروسة.

٢- تعزيز حضور الكتب والدراسات والمقالات المكتوبة عن الهند في المكتبة العربية العامة بما فيها مكتبات أقسام العلوم السياسية والاقتصادية والعلوم الاجتماعية، وفي مكتبات الجامعات العربية والدراسات العليا، وتعزيز فكرة إنشاء مراكز البحث العربية المرتبطة بالهند والدراسات الآسيوية، وتعزيز البحث العلمي العربي عن الهند من خلال آليات تداخلية العلوم والمنهجيات المعرفية. إذ أن دول ومجتمعات علىٰ شاكلة الهند والصين وتركيا والبرازيل وأندونسيا وماليزيا وكوريا أصبحت ظواهر هامة عالميا، وبحاجة أن ندرسها جميعا ضمن منهجيات جديدة ومتجددة حتىٰ نستفيد من تجاربها الغنية في مختلف حقول العلم والمعرفة والإبداع والتنمية.

٣- وضع الجهود الكافية من مختلف الجهات العربية، الرسمية والشعبية والأكاديمية، لاستكشاف الهند من جديد لبناء تحالفات معها في سياقات عربية وإسلامية لا سيما في ضوء حالة

التشتت في النظام الدولي وتراجع الأدوار الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، وبروز دول أخرىٰ خاصة الصين وروسيا والبرازيل إضافة إلىٰ الهند وغيرها من الدول النامية والصاعدة والتي لها دور وشأن واضحين في تحريك منظومات القوة عالميًا وإقليميًا.

٤- الوصول إلىٰ كل شرائح المجتمع الهندي وفئاته وشرائحه الاجتماعية وأحزابه وولاياته وجمعياته ومجتمعه المدني والسياسي والأقليات العرقية والإثنية والطبقية خاصة الأقلية المسلمة التي تعد التجمع الإسلامي الثاني في العالم بعد إندونيسيا، وذلك بهدف تعزيز الروابط معها ودفعها للعب أدوار إيجابية في تقريب وجهات النظر الهندية مع مثيلاتها العربية وأن تلعب دور الجسر الرابط بين الهند الصاعدة والطموحة والعالم العربي الساعي لتنويع علاقاته وروابطه مع مختلف أركان الدول الفاعلة في العالم، ومحاولة وضع البدائل لاستفحال ظاهرة الاختراقات الإسرائيلية للهند ومجتمعها السياسي والمدني، خاصة أن الهند تاريخيا حافظت علىٰ علاقات وثيقة مع العرب، ومع كل قضاياهم خاصة القضية الفلسطينية.

علىٰ صعيد المنهجية، قام الباحثان باتباع المنهج الوصفي التاريخي، للوقوف علىٰ عوامل وأسرار نهوض الهند كدولة وأمة في عالم متعدد الأقطاب، وعالم يسوده التحالفات ومحاور المصالح والقوة، وما أفضت إليه من مظاهر تنموية مختلفة، سواء كانت في

السياق الوطني المحلي أو غيره من سياقات إقليمية ودولية متشابكة.

تم التطرق إلىٰ مصادر أولية ثانوية بما فيها مقالات ودراسات من مصادر هندية وغير هندية، واستفاد البحث علىٰ نطاق كبير من تحليل مضمون مختلف النشاطات والدراسات والمؤتمرات وورش العمل والندوات والمواد التدريبية التي قامت بها مختلف مراكز الأبحاث والدراسات في الهند، وما كتبه الهنود وغير الهنود من خبراء وأكاديميين ومختصين ومحللين اقتصاديين واستراتيجيين عن الهند ونهضتها وصعودها سلم القوة.

ونود أن نشير أن أحد الباحثين (د. وائل أبو حسن) قام بزيارة إلىٰ الهند لمدة زادت عن الشهر ونصف الشهر في صيف هذا العام ٢٠١٤ لحضور جلسات منظمة وورش تدريبية في علم النفس العيادي وتطوير منهجيات العلوم الاجتماعية ومنهجيات البحث العلمي، حيث استغل وجوده هناك لجمع المعلومات والمعطيات الأولية والثانوية والوصول إلىٰ مصادر هندية حول موضوع الصعود النهضوي الهندي بما فيها الكتب والمجلات والدوريات، واجتمع مع العديد من الخبراء والأكاديميين الهنود في جامعات بومباي وبونا وجامعة اليجار الإسلامية. وكان لملاحظات الباحث الميدانية وتعمقه في القصص والسرد والروايات التي سمعها من الخبراء الهنود الأثر الأكبر في صقل نتائج واستنتاجات هذه الدراسة العلمية المتواضعة وإخراجها إلىٰ حيز الوجود، وزادت القناعة لدىٰ

المؤلفين من أن العرب والجامعات العربية ومراكز الفكر والأبحاث بحاجة إلىٰ تأطير وتأصيل مدرسة فكرية عربية موضوعية عن الهند وشرق آسيا وتجارب الشعوب هناك من أجل الاستفادة منها في بناء مستقبل نهضوي أفضل.

الفصل الأول

مسيرة الهند الحديثة ما بين كوابح الاستعمار وتطلعات الاستقلال الوطني والسيادة

مُقَدِّمَة

رسميًا أصبحت الهند مستعمرة بريطانية في عام ١٨٥٨م، بعد أن تدخلت القوات البريطانية لحماية شركة الهند الشرقية التي استثمرت واستغلت الموارد الطبيعية والبشرية في الهند عبر تواجدها قبل تلك الفترة بعقود كثيرة، خاصة في مدينة «كلكتا» (Kolkata) الواقعة علىٰ رأس خليج البنغال، وعاصمة ولاية البنغال الغربية اليوم في شرق الهند[١]. ومن المعروف أن القوىٰ الاستعمارية الغربية الأوروبية الأولىٰ مثل بريطانيا وفرنسا والبرتغال وأسبانيا

(١) في كانون أول ١٦٠٠م، منحت الملكة «إليزابيث الأولىٰ» امتيازًا احتكاريًا شاملًا لمجموعة من المستثمرين ورجال الأعمال الإنجليز لتأسيس شركة الهند الشرقية، وبعد ثلاث سنوات بالضبط توفيت الملكة «إليزابيث» من دون أن يكون لها وريث شرعي من أبناء أو بنات لاعتلاء العرش البريطاني، مما أسهم في انتقال الزعامة في بريطانيا العظمىٰ إلىٰ عائلة «ستيوارت» ذي الأصول الاسكتلندية، ويعتبر هذا التاريخ هو البدايات الحقيقية للإمبراطورية البريطانية التي توسعت بعد ذلك شرقًا وغربًا وجنوبًا، ووصلت العالم الجديد في الأمريكيتين واستراليا والهند والبر الآسيوي، فضلًا عن اقتحامها لإفريقيا وأدغالها في مراحل متقدمة. انظر بهذا الخصوص:

Ryan Brown, The British Empire in India, Ashbrook Statesmanship Thesis, Grove City, Ohio, 2010, p. 15.

وهولندا استخدمت كل مواردها المالية والعسكرية والإدارية والتسليحية والتكنولوجية لاستعمار مناطق كبيرة وواسعة من العالم الجديد في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، وصولا إلىٰ جنوب إفريقيا وجنوب المحيط الهادي والمحيط الهندي واستراليا. الكثير من المستعمرات الجديدة تم الوصول إليها عبر الغزوات العسكرية المباشرة مثلما حدث في أمريكا الشمالية واستراليا حيث تم قتل جزءٍ كبيرٍ من السكان الأصليين، بينما تم تهجير جزء آخر منهم، وتدجين ما تبقىٰ لقبول علاقات القوة والهيمنة والسيطرة التي مارسها الرجل الأبيض عليهم. وكجزء من استراتيجية القوىٰ الاستعمارية في السيطرة علىٰ الأرض والبشر في المستعمرات الجديدة، قام المستعمر بجلب السكان من بلاده الأصلية وسهل عليهم الاستيلاء علىٰ الأرض وتسخير المواطنين الأصليين لخدمته وضمان رفاهيته وتفوقه علىٰ كافة الأصعدة والمستويات.

المستعمرات علىٰ شاكلة الهند وبورما وسيلان وماليزيا وسنغافورة تم السيطرة عليها في المراحل الأولىٰ عبر التجارة والأدوات الاقتصادية، ليتبع ذلك في مراحل متقدمة غزو عسكري مباشر، وصدامات دموية مع سكان البلاد. وقد دافع الإنجليز في تلك المرحلة عن هذا الغزو العسكري المباشر من خلال التبرير بأنهم جنس بشري أرقىٰ من غيره، وأنه في مهمة تحضيرية وتمدينية للشعوب الأصلية، كونها، أي الشعوب الأصلية، متأخرة ومتخلفة، ولن تستطيع أن تسهم في الحضارة الإنسانية بمفردها من دون

مساعدة القوة الأوروبية الصاعده (أي بريطانيا العظمىٰ)[١].

وبالرغم من أن السلطات البريطانية قامت بتدشين الثورة الصناعية في الهند في القرن التاسع عشر لمصالح استعمارية، وتأسيس نظام تعليمي قائم علىٰ اللغة الإنجليزية، وبدء مشروع شق الطرق البرية والسكك الحديدية في شبه القارة الهندية، إلا أن الهنود ببساطتهم وحبهم للتعليم والتعلم استغلوا مثل هذه المقدرات والمنصات التي وفرتها حكومة الانتداب في بلادهم، ليتعلموا كيف أن الأمريكيين قد ضاقوا ذرعًا بالحكم البريطاني، وخاضوا معركة استقلال بلادهم إلىٰ أن وصلت إلىٰ ما وصلت إليه الأمور في عام ١٧٧٦م، كما أن إلمامهم باللغة الإنجليزية والمناهج الغربية مكنهم من فرصة التعلم عن الثورة الفرنسية التي أنهت «الملكية المطلقة» (Absolute Monarchy) في تلك البلاد عام ١٧٨٩م. ولهذا يمكن القول أن حرب التحرير الأمريكية والثورة الفرنسية شكلتا في نهاية المطاف حدثين ملهمين لبسطاء الهنود في سبيل الثورة والتحرر من نير الانتداب البريطاني[٢].

بعد تأسيس شركة الهند الشرقية بقرار ملكي في بدايات القرن السابع عشر، وضعت الشركة مخططًا كاملا لزيادة تأثير بريطانيا العظمىٰ في مناطق خط التوابل القادم من جزر أندونيسيا، خاصة

(١) Hinduism today, India as colony1850-1947, Himalaya Academy: New Delhi, April/ May/ June 2010, pp. 1-3.

(٢) Ibid., pp. 4-6.

«سومطرة وجاوه» مرورا بكل من الهند «وجوا» (Goa) ومشيخات الخليج العربي، قبل الوصول إلىٰ قلب المدن البريطانية، في محاولة جادة من السلطات البريطانية لمنافسة القوىٰ الأوروبية الأخرىٰ في هذه المهمة، خاصة البرتغال وهولندا. كان التصميم البريطاني واضحًا في الحصول علىٰ موطئ قدم في شبه القارة الهندية بالرغم من المواجهات العسكرية التي خاضتها مع الهولنديين والبرتغاليين علىٰ سواحل الهند وصولا إلىٰ سواحل الجزر الاندونيسية، لما مثلته الهند في تلك الفترة من مصادر طبيعية هائلة وعمالة رخيصة وأسواق كبيرة وعمق استراتيجي لتدعيم أواصر الإمبراطورية البريطانية، وربما هذا التفسير يتناغم لدرجة ما مع التفسير الماركسي للحروب الذي لطالما نظر إليها علىٰ اعتبار أنها مواجهات دامية من أجل الوصول إلىٰ الأسواق والمادة الخام والموارد البشرية، خاصة أن بريطانيا بدأت تعاني من ضيق الأسواق والسعي الحثيث للوصول إلىٰ أسواق جديدة بعد تفجر الثورة الصناعية فيها[١]. حيث كان البريطانيون في تلك الفترة من تاريخهم الحضاري يعتقدون جازمين أن نظامهم السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي أفضل بكثير من تلك الأنظمة السائدة في مستعمراتهم بمن فيها الهند، لذلك عكفوا علىٰ مهمة «غربنة» الهند، أي تحويلها سياسيًا واقتصاديًا إلىٰ النمط الغربي في

(١) Niall Ferguson, The rise and demise of the British world order and the lessons for global power, Basic Books, New York 2003, p. 29.

الحياة الحديثة بكل المعايير. من هنا وفي مراحل لاحقة تحولت الهند خاصة بعد الاستقلال إلىٰ تبني النظام السياسي البريطاني القائم علىٰ أساس البرلمانية الديمقراطية، حيث الصلاحيات والمسؤوليات الفعلية بيد رئيس الوزراء، بينما بقي رئيس الجمهورية فخريا أو اسميا أو كما يقال صفر ذهبي أو طابع بريدي (Golden Zero or Postal Stamp). لكن التحدي الذي واجه المستعمر البريطاني في مهمة تمدين الهند تجسد في المحافظة علىٰ نقطة التوازن بين مبادئه الديمقراطية السائدة في بلده من جهة، والمحافظة علىٰ مصالحه «الإمبريالية الكولونيالية» في الهند من جهة أخرىٰ[1].

بدأت الثورة أو الحركة التمردية الأولىٰ في الهند عام ١٨٥٧م، حينما قام الجنود الهنود العاملين مع شركة الهند الشرقية والذين كان يطلق عليهم من قبل مستخدمهم البريطاني اسم «الهندي المأمور» (Sepoy) بالثورة علىٰ مدرائهم وقادتهم الأوروبيين، وقتل بعضهم في مدينة «ميروت» (Meerut)، في شمال الهند، وذلك قبل أن يهربوا إلىٰ العاصمة «دلهي» (Delhi) من أجل الحماية، ومن أجل استنفار زملاء لهم في مناطق أخرىٰ من الهند للثورة ضد المستعمر البريطاني وتواجده في البلاد. ولعل السبب

(١) Edmund Burke, Speech for conciliation with colonies since March, 1775 University of Chicago, Chicago, 2000, pp. 464-471. Link:
http//:press-pubs.uchicago.edu/founders/documents/v1ch1s2.html. (Retrieved 1 June, 2014

المباشر لهذا التمرد الذي فاجأ الإدارة البريطانية في «كلكتا» هو اكتشاف الجنود الهنود من مسلمين وهندوس أن الأسلحة البريطانية النارية التي يحاربون بها قد تم تزييتها بشحم الخنزير والبقر، في مخالفة واضحة لتعاليم الإسلام والهندوسية معا، وعدم مراعاة المستعمر للعادات والتقاليد الهندية المحافظة، القائمة علىٰ التدين والتقشف، وعدم الإيذاء بوجه عام. عند اندلاع التمرد، كان جيش شركة الهند الشرقية يتشكل من حوالي ٢٧٠ ألف جندي مقاتل، منهم فقط ٤٥ ألف جندي أوروبي، من بينهم فقط ٥٠٠٠ بريطاني، أما البقية فكانوا من الهنود، مما يعكس اعتماد البريطانيين في تلك المرحلة علىٰ الجندي الهندي للمحافظة علىٰ مصالحهم وامتيازاتهم وسطوتهم التجارية والاقتصادية[١]. في غضون أيام، تعمق تأثير الثورة في شمال الهند، حيث وصلت إلىٰ مناطق «دلهي ولكنهاو واغرا»، وبسبب التفوق العددي للجنود الهنود في التشكيلات البريطانية المقاتلة، أصبح الجندي الأوروبي والجندي البريطاني في حالة من الدفاع للمحافظة علىٰ حياته وممتلكاته الشخصية.

مع مرور الوقت، استطاعت الإدارة البريطانية من السيطرة علىٰ مواقع الثورة والتمرد بعد أن اتبعت استراتيجية عزل المواقع والمدن الثائرة عن بعضها البعض، وعن محيطها الجغرافي والاجتماعي مما أضعف من تواصلها مع المتضامنين والجنود الآخرين. وضعت الإدارة البريطانية وبالتنسيق مع شركة الهند

(١) Ryan Brown, The British Empire in India,p. 46.

الشرقية مجموعة من الخطط للقضاء علىٰ الثورة، منها: استقدام قوات من مناطق أخرىٰ داخل شبه القارة الهندية إلىٰ مناطق الثورة في شمال الهند ووسطها، خاصة في مناطق «دلهي ولكنهاو»، كما أن الأحداث الميدانية أثبت أن الجنود الهنود الذين تمردوا علىٰ قادتهم الأوربيين والإنجليز لم يثبتوا قيادة واعية وحكيمة في تعاملهم مع الأحداث الميدانية ووضع الخطط والاستراتيجيات الكفيلة بهزيمة الإنجليز، ومن هنا غابت الرؤية والأهداف عن تحركاتهم باتجاه التحرير والمقاومة، يضاف إلىٰ كل ذلك قلة الخبرة العسكرية والميدانية والتدريبية، وقلة الإمكانيات بصورة عامة.

تأسيس حزب المؤتمر الوطني الهندي «الكونغرس» (The Congress I):

يعتبر «ألان هيوم» (Allan Octavian Hume) المؤسس الأول لحزب «المؤتمر الوطني الهندي» (Indian National Congress) في عام ١٨٨٥م، وهو بريطاني الجنسية، وأحد موظفي الإدارة البريطانية في الهند، وكان بأن وضع كل جهوده في هذه المهمة بعد التقاعد، خاصة أنه استشعر زيادة الوعي السياسي عند الهنود، وبالتالي اعتبر أن تأسيس حزب سياسي هندي يمكن أن يسهم في احتواء الطموحات السياسية للناشطين الهنود وتدجين أطروحتهم الوطنية والسياسية، فضلا عن تخفيف صورة الشعور

بالغضب وحالة الاستياء والاحتجاج في أوساط الناس العاديين والنخبة السياسية. وبالفعل تم انتخاب «ووميش شاندرا باناريجي» (Womesh Chandra Banarejee) من مدينة «كلكتا» في شرق الهند كأول رئيس لحزب المؤتمر الوطني هناك.

ومنذ البداية أعلن هذا الحزب عن ثقته بحكومة الهند التابعة للانتداب البريطاني وإدارتها، وسعيه الدائم نحو العدالة والحرية والمساواة الاجتماعية بالطرق السياسية والقنوات الدبلوماسية السلمية[١].

ومنذ التأسيس وحتىٰ بدايات القرن العشرين، بقيت القاعدة الاجتماعية والبشرية لحزب المؤتمر محدودة وضيقة، بحيث مثلتها طبقة المتعلمين الهنود في المدن، من دون أن يكون له قاعدة شعبية في أرياف الهند العريضة. وفي السنوات الأولىٰ بعد التأسيس كانت مهمة حزب المؤتمر هي القيام بنقل مظالم الهنود إلىٰ الحكومة البريطانية والإدارة المدنية والعسكرية هناك، ومن هنا أصبحت القيادة الأولىٰ من قيادات حزب المؤتمر معروفة بأنها معتدلة الشكل وغير ثورية أو «راديكالية». من خلال العرائض والمطالب المختلفة التي تقدمت بها اللجان القيادية في حزب المؤتمر، يتبين أن أغلبها صبت في المسارات والخانات التالية:

١- تسهيل مهمة انتخاب مجالس تشريعية وطنية ومحلية

(١) Bipan Chandra and others, India's struggle for independence1857-1947, Penguin Books, Delhi, without date, pp. 1-40.

منتخبة تعكس القواعد الشعبية وعموم الناس.

٢- هندنة الوظائف والخدمات العامة أو تحويلها إلىٰ الموظفين الهنود بدل الاعتماد علىٰ الكوادر البريطانية البيضاء القادمة من وراء البحار.

٣- تخفيف الإنفاق العسكري علىٰ الحكم والإدارة العسكرية البريطانية في الهند؛ لأن ذلك يسهم في حشد موارد أكبر للتنمية والتوظيف والتعليم والتطوير.

٤- الإنفاق علىٰ التعليم والصحة والتوظيف وتحسين أجواء المنافسة علىٰ الخدمات العامة ونظام الخدمة المدنية عبر تخصيص امتحان لذلك علىٰ المستويات الوطنية والمحلية والبلديات.

٥- تخفيف الأعباء المالية والضرائبية علىٰ الفلاحين والمزارعين وساكني الأرياف.

٦- الكفاح عن الحقوق المدنية والحريات العامة.

٧- فصل الجهاز القضائي عن السلطة التنفيذية.

٨- تخفيف الضرائب علىٰ الأملاك العامة والمنتجات الضرورية وعلىٰ الدخول المتوسطة والمتدنية.

٩- وضع الخطط الكافية لتشجيع الصناعة وبرامج الرفاهية خاصة صناعة المنتجات والصناعات متوسطة وصغيرة الحجم[١].

---

(١) Ibid., pp. 3-6.

مع مرور الوقت، بدأ العديد من قادة حزب المؤتمر إظهار عدم قناعتهم بالمسار السياسي/ الدبلوماسي/ الدستوري؛ لأن السلطات البريطانية لم تنفذ إلا البعض القليل من مطالب «الكونغرس» خاصة تلك المرتبطة بتوسيع قدرات المجالس المحلية التشريعية للولايات، والموافقة علىٰ عقد الامتحانات السنوية لنظام الخدمة المدنية. كل ذلك اقترن مع مخاوف القيادة الانتدابية البريطانية من أن الزعماء المعتدلين داخل حزب المؤتمر يمكن أن يضاعفوا من وتيرة مطالبهم لدرجة تصل فيها إلىٰ محاولة طرد المنتدب والمستعمر البريطاني الجاثم علىٰ صدور الهنود في شبه القارة الهندية. وبالرغم من حالة عدم الإنجاز التي سادت أوساط حزب المؤتمر الوطني في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، إلا أن أهم إنجازاته كانت تعميق المشاعر الوطنية والوعي الوطني، وزيادة درجة الازدراء والكراهية للاستعمار وسياساته الاستعبادية الفوقية. من خلال الانتقاد العلني لسياسات الحكومة والانتداب معًا، بدأ قادة حزب المؤتمر بإعطاء منصات عالية وجسور طويلة وقوية لعامة الناس لانتقاد إدارة الحكومة، وتوفير التدريب السياسي، مما أسهم في خلق حالة من الوعي العام[1]. إدراكا منها لخطورة الوضع في شبه القارة الهندية، بدأت السلطات البريطانية بتضييق الخناق علىٰ

(١) History of British dominance and Indian independence, A module for a book in social studies, Eklavya Publication, Bhopal, 2003, p. 44.

الحريات العامة والحريات الصحافية، كما أن أفكار الحاكم الإنجليزي للهند «اللورد كورزون» (Lord Curzon) القائمة علىٰ أساس علو مقام الأمة البريطانية علىٰ غيرها من الأمم والشعوب، بدأت تلقي بظلالها علىٰ سياساته وقراراته، ومنها: الرقابة الشديدة علىٰ الجامعات الهندية عام ١٩٠٤م، وتقسيم ولاية البنغال عام ١٩٠٥م علىٰ أسس واعتبارات ديموغرافية طائفية، وبحسب بعض الدراسات والأبحاث والتحليلات الهندية، إنما هدفت في تلك المرحلة إلىٰ تسميم العلاقات بين الهندوس والمسلمين؛ لأن هدف القرار خلق شخصية معنوية إسلامية مستقلة في هذه الولاية الشرقية الكبيرة الواقعة علىٰ خليج البنغال (طبعا أصبحت هذه الولاية تضم باكستان الشرقية أو بنغلادش بعد انفصالها عن باكستان عام ١٩٧١م). وهذا ما يتناغم بشكل واضح مع السياسة البريطانية التقليدية المسماة «فرق تسد» (Divide and Rule)[١].

لقد مهدت كل هذه الأحداث المحلية والخارجية إلىٰ بروز قيادة أكثر تشددا داخل حزب المؤتمر الوطني أطلق عليهم اسم (Passionate Nationalists or Garam Dal)، أي «الوطنيين الراديكاليين» ومنهم:

«لال لجبات راي، بي. جي. تيلاك، وبيبن شاندرا»

(Lal Lajpat Rai, B.G.Tilak and Bipin Chandra)

---

(١) Ibid., p. 46.

وإلىٰ قناعات هذه المجموعة القيادية الجديدة أن قيادة حزب المؤتمر المعتدلة فشلت في تحقيق الحد الأدنىٰ من أهداف التحرر والعدالة، وأن البريطانيين مستمرون في استغلال الهنود، وتدمير اكتفائهم الذاتي، واستغلال مواردهم وتشتيت ثرواتهم الوطنية، وأن الحل الوحيد يكمن في تحرر الهند من الحكم الأجنبي والحكم الوطني في بلادهم. وبدلا من كتابة العرائض وتنظيم الاجتماعات مع البريطانيين، بدأ وطنيو حزب المؤتمر بتنظيم المظاهرات والاعتصامات في الشوارع والحارات، وانتقاد سياسات الحكومة علنا، والدعوة إلىٰ تطبيق مبدأ (Swadashi) أي تفضيل الصناعة الوطنية علىٰ الأجنبية[1].

تعمق تأثير الثورة عند الهنود خلال فترة الحرب العالمية الأولىٰ ١٩١٤-١٩١٨م؛ لأن السياسات البريطانية بقيت قائمة علىٰ إجراءات قسرية حتىٰ خلال الحرب، ومنها: زيادة الأجور علىٰ الأراضي الزراعية، والضرائب علىٰ المحاصيل والأملاح والمنتجات، خاصة المنتجة محليا، كما عمدت إلىٰ تجنيد الهنود بالقوة داخل الجيش البريطاني، للمساهمة في أعباء الحرب، وتقديم القرابين البشرية من الهنود، كما تم رفع أسعار السلع الضرورية، وفرض الضرائب العالية علىٰ المداخيل المتواضعة، كل ذلك سهل من توسع نطاق الاحتجاجات وزيادة قوتها الشعبية

(١) Anil Chawla, Story of development of Indian political thought, Smarth Bharat, Lucknow, 2004, pp. 9-17.

وظهور زعامة «الماهاتما غاندي» (Mahatma Gandhijee) علىٰ مسرح الأحداث الوطنية والمحلية في الهند وخارجها[1].

بروز «الماهاتما غاندي» وحكمته القيادية:

ولد «موهانداس غاندي» في عام ١٨٦٩م في ولاية «غوجرات» (Gujarat) غربي الهند، وخلال رحلته المدرسية كان «غاندي» متوسط القدرات في الفهم والتعلم، ومع انتهاء المرحلة المدرسية سافر إلىٰ بريطانيا لتعلم القانون والحقوق بإيعاز واضح من أسرته التي كانت تنتمي لطبقة الأعمال والمال. بعد الانتهاء من دراسته في لندن، سافر إلىٰ جنوب أفريقيا لممارسة المحاماة والقانون والدفاع عن حقوق الإنسان، وفي تلك البلاد بدأ «غاندي» يظهر اهتمامات واضحة للانغماس في العمل العام والعمل السياسي والعدالة والحرية والإنصاف. منذ البداية أظهر «الماهاتما غاندي» قدرات قيادية و «كارزماتية» عالية، حيث كان واقعيًا «براجماتيًا» متفهمًا لما يدور حوله من أحداث وتطورات خاصة علىٰ صعيد القضية الهندية وحرب التحرير ضد «الإمبريالية» البريطانية. ومما عزز من زعامته للحركة الوطنية الهندية منذ بدايات القرن العشرين حتىٰ اغتياله عام ١٩٤٨م، هو حبه للعمل التطوعي والخدمة المدنية العامة وإتقان العمل والنفس الأصيلة والتقشف وحب الفقراء ومساعدتهم وعدم التمييز بين الناس بناء علىٰ الدين

(١) Ibid., p. 17.

أو الطبقة الاجتماعية أو الاقتصادية، كما أنه أظهر تواضعا منقطع النظير ونزاهة عالية في المواقف العامة والمسؤولية المجتمعية[١].

من المعروف أن المقاومة السلمية «اللاعنفية» (Nonviolence) قد ارتبطت مع الأب الروحي للأمة الهندية الحديثة، «الماهاتما غاندي» الذي كان من أكثر المعجبين بالفكر الإنجليزي والإدارة البريطانية، حيث تعلم وتدرب في جامعة «تمبل الوسطىٰ» (Middle Temple) في لندن قبل أن يصبح محاميًا ورجل قانون وقضاء معروف. لكن سفره إلىٰ جنوب إفريقيا في الفترة ١٨٩٣-١٩١٤م[٢] قد هيأ له الأجواء للاطلاع عن قرب علىٰ المظاهر السلبية «للإمبريالية» البريطانية، إذ ساد التمييز العنصري والسياسات البغيضة وقتل الناس ومصادرة الأراضي ومعاقبة السود والآسيويين والملونين لأنهم ليسوا بيضًا، فضلا عن سياسات تأييد ودعم الأقلية الأوروبية البيضاء التي فعلا استحوذت علىٰ مفاصل النظام السياسي والمناصب الإدارية العليا، وسيطرت علىٰ الأراضي والموارد الطبيعية والمعادن والتجارة والصناعة والزراعة، وحولت السود والآسيويين إلىٰ مجرد عبيد وخدم.

---

(١) Annette Barnabas and Paul Sundararajan, Mahatma Gandhi- An Indian model of servant leadership, International Journal of Leadership Studies, 2012, vol. 7, no. 2, pp. 132-150.

(٢) E.S. Reddy and Gopalkrishna Gandhi (ed), Gandhi and South Africa, 1914-1948, Navajivan Publishing House, Ahmedabad, 1993, pp. 1-293.

المنطلق الأول عند «غاندي» كان إيمانه الشديد أن البحث عن الحقيقة هو السبيل الأول لإسعاد الناس والبشرية جمعاء. وقد آمن «غاندي» أن فقدان الإنسان للإحساس بالروحانيات من حوله والشعور مع الآخرين سيؤدي في نهاية المطاف إلىٰ جعل تصرفاته وسلوكياته اليومية العامة فاسدة ومفسدة للبيئة المحيطة، ومدمرة للنسيج الاجتماعي الإنساني[1].

نقطة الانطلاق الأخرىٰ عند «غاندي» كان شعار (Satyagraha) والذي يعني (Soul Force) أو «قوة الروح» والإيمان بإنسانية الإنسان، وتتلخص أطروحة «غاندي» في «قوة الروح» أن المظلوم أو المصادرة حقوقهم أو الواقع تحت الظلم والاستعمار يجب أن يمتلك من المقومات الروحية والمعنوية والأخلاقية لاستفزاز الخير والروح الطيبة عند الخصم أو العدو. واسترسل معتقدًا أن الظالم أو المتجبر أو المستعمر لا يستطيع أن يتجاهل مشاعره الإنسانية ونداءه «الروحي» إلىٰ ما لا نهاية؛ لأن يقظة الإنسانية والقوىٰ الخيرة بداخله ستحصل بالتأكيد إن أحسن المظلوم أو المقهور التصرف، وابتعد عن العنف والمواجهة الدامية. يمكن للفرد، أي فرد أن يقوم بممارسة «يقظة الروح» واستيقاظ الخير، إلا أن النتائج تصبح أكثر ملموسية وأكثر عمقًا إن تجمع البشر معًا كقوة جماعية واحدة قادرة علىٰ إحداث التغيير وتحقيق النتائج المأمولة والملموسة علىٰ أرض الواقع، وابتعدوا عن المناكفات الدموية

(١) Ibid., pp 15-17.

وتسخير القوة الجسدية لأهداف تدميرية[١]. وبالتوسع أكثر في هذا المفهوم من المنظور الفلسفي، يمكن القول أن «قوة الروح» عند «غاندي» تعني أيضا البحث الدائم عن الحقيقة؛ لأن الحقيقة مرتبطة بالدين والخالق والكون من حولنا، وأن «قوة الروح» تتطلب السعي الدائم للوصول إلىٰ الأهداف العامة والخاصة بالطرق والآليات السلمية وعدم الإضرار أو الإيذاء حتىٰ بالنسبة للخصم السياسي أو الأجنبي، إضافة إلىٰ سيطرة كل من يمارس هذه الاستراتيجية في الحياة العامة لمشاعره وعواطفه ونزواته وتحرره من الخوف والكذب والجشع والحياة الاستهلاكية، ويمتلك القدرة لاحترام الإنسان لأنه إنسان، فضلا عن احترام كل الأديان؛ لأن «غاندي» كان يعتقد أن الدين الصحيح يكمن في بعده العالمي والإنساني، وكان يعتقد دائما بأن هنالك دين عالمي (Global religion) قادر علىٰ تمييل كل البشر[٢].

واستكمالا لهذا العرض، فإن الباحث والمتتبع لفكر «غاندي» وفلسفته بمعناها الواسع يدرك أن «قوة الروح» والبحث عن الحقيقة في سياقات الحالة الوطنية والتحررية الهندية، تعني السلاح المعنوي والأخلاقي لمحاربة الفساد والقهر والعنف باستخدام

(١) S. Sendjaya, Leaders as servants, Monash Business Review, 2005, vol.1, no. 2, pp. 1-7.

(٢) Atul Chandra Pradhan, Satyagraha: meaning and application, Orissa Review, September- October 2007, pp. 52-55.

الحقيقة «واللاعنف». وتكمن أهمية هذا السلاح أنه لا ينهي الخصم فيزيائيا أو جسديا، وإنما يخترق جذوره العاطفية والفكرية ليحوله إلىٰ إنسان جديد بفكر إنساني جديد[١]. ويمضي قائلا: إن المسالمة والحرب المعنوية الأخلاقية لا تستهدف الخصم ولا ممتلكاته الشخصية، وإنما تقوم علىٰ أساس إظهار معاناة الضحية من الظلم والاستبداد وغياب العدالة والاستغلال واللامساواة والعنف، حتىٰ يتم تذويب قلب الخصم أو العدو ويعترف عندها بفشل إجراءاته القسرية الظالمة ويعتق المظلوم، وهذا فعلا ما قاد «غاندي» للتقيد به حينما تعامل مع الانتداب البريطاني في بلاده علىٰ مدار أكثر من أربعة عقود متتالية[٢].

ومعروف أيضا أن «غاندي» كان من أوائل من دعا إلىٰ حركة العصيان المدني ضد الإدارة المدنية والعسكرية البريطانية في بلاده الهند، حيث لجأ إلىٰ أدوات ووسائل واستراتيجيات غير عنفيه، ومنها: الإضرابات، ومسيرات الشوارع، والعمل الجماعي، وحماية المنتج المحلي، والتخلي عن البضائع الأجنبية، والتقشف والصيام، والإضراب عن الطعام، وغير ذلك من هذه الأدوات السلمية[٣].

---

(١) Nirmala Singh, A note on the concept of Satyagraha, Indian philosophical quarterly, October 1997, vol, xxiv, no.4, p. 523.

(٢) Ibid, p. 524-525.

(٣) في هذا الإطار لا بد من التذكير أن «غاندي» يمثل مدرسة عالمية في التغيير المجتمعي والمقاومة السلمية تعتمد علىٰ عدم اللجوء إلىٰ العنف وإراقة الدماء، وبدلا من ذلك،=

كان العام ١٩٢٠م عاما حاسمًا للهند ولقيادة «غاندي» لها لا سيما بعد ارتكاب القوات البريطانية وحلفائها المحليين مجزرة مدينة «امريتسار» (Amritsar) في ولاية «البنجاب» (Punjab State) شمالي الهند، حينما تجمع الآلاف من سكان المدينة احتجاجًا علىٰ السياسات البريطانية وحكومة الهند المؤيدة لهم. وبعد أعمال شغب ومهاجمة المقار الحكومية في المدينة، قامت السلطات المحلية باستدعاء الجيش للسيطرة علىٰ الوضع. وبالفعل دخل الجنرال «ديار» (Dyer) المدينة، وأعلن الأحكام العرفية وحالة الطوارئ، وأعطىٰ الأوامر للجنود لإطلاق النار علىٰ المتظاهرين السلميين، الذين تجمعوا في أكبر ساحات المدينة. وقد كانت نتيجة هذه الأحداث الدامية مقتل ما يزيد عن ٤٠٠ متظاهر وجرح أكثر من ١٢٠٠ آخر، في نفس الوقت الذي تم الإشادة فيه بالجنرال «ديار» في لندن؛ لأنه حسب المصادر البريطانية الرسمية منع تمرد جديد في «امريتسار» كما حصل في «دلهي ولكنهاو» في عام ١٨٥٧م[1].

= العمل علىٰ الوصول إلىٰ الأهداف بالطرق غير العنفية واستنطاق الخير في نفوس الخصوم والأعداء، وينافسه في ذلك «جني شارب» الذي يعتقد أن المقاومة السلمية تتطلب محاصرة الخصم وإرغامه للتنازل وعدم الاكتراث بإنسانيته، انظر في هذا السياق: أيمن يوسف، الديمقراطية الطلابية والمصالحة الوطنية والمقاومة الشعبية في فكر وممارسة الحركة الشبابية الفلسطينية، مؤتمر الربيع العربي من منظور حقوق الإنسان، الجامعة العربية الأمريكية، جنين، ٢٠١١م.

(١) S. Sendjaya, J. C. Sarros, and J. C. Santora, Defining and measuring servant leadership behavior in organizations, Journal of Management Studies, 2008, vol.2, no. 45, pp. 402-424.

تركت هذه المجزرة أوجاعها وثقلها النفسي علىٰ «غاندي» الذي بدأ يفكر بتبني إستراتيجية عدم التعاون مع المستعمر واللجوء إلىٰ خيار العصيان المدني علىٰ مستوىٰ عموم الهند. في هذه المرحلة من عمر الحركة الوطنية الهندية، استغل «غاندي» حدثين مهمين كان لهما أبعادهما الخارجية والدولية، الأول تجلىٰ بالتحالف الذي عقده مع «الرابطة الإسلامية» (Muslim League) وحركة «الخلافة الإسلامية».

(khilafat movement) في عام ١٩٢٠م، حيث احتج مسلمو الهند علىٰ انهيار الدولة الإسلامية والخلافة الإسلامية في أعقاب الحرب العالمية الأولىٰ (في تركيا)، وحملوا بريطانيا العظمىٰ جزءًا من مسؤولية انهيار الخلافة الإسلامية، في نفس الوقت الذي طالبوا فيه بأهمية إبقاء تركيا والمشرق العربي وصولا إلىٰ فلسطين تحت السيطرة العثمانية المباشرة لمواجهة المخاطر.

أما الحدث الثاني فكان قدرة «غاندي» للتأثير علىٰ أغلبية الأصوات داخل حزب المؤتمر الوطني الهندي، حيث استطاع تمرير آلية عدم التعاون ليس فقط مع الإنجليز، وإنما أيضا مع حكومة الهند التي يعمل بها هنود؛ لأنها مؤيدة للتواجد البريطاني هناك. وبذلك استطاع «غاندي» إزاحة القيادة التقليدية لحزب المؤتمر، وأخذ هو مقعد القيادة بفضل أفكاره الإبداعية الخلاقة[١].

(١) W. J. Rude, Paradoxical leadership: The impact of servant-leadership on

تناغمت أفكار «غاندي» التحررية علىٰ كل الجبهات والمستويات والأصعدة، فاقترنت بحملة «اللاعنف» أو البحث عن الروح والحقيقة (Satyagraha)، وكان بأن أطلق الرجل حملة أخرىٰ كان لها مردود مؤثر في الحياة العامة الهندية، وألقت بثقلها علىٰ الاستعمار البريطاني، وهي حملة الاستقلال الاقتصادي أو المقاطعة الاقتصادية لكل ما هو بريطاني (Swadashi Movement and Khadi)، حيث يمكن تلخيص هذه الحملة بالنقاط التالية:

١- استبدال كل الملابس البريطانية أو تلك المعتمدة علىٰ مواد خام من بريطانيا بالصناعات القطنية الريفية الهندية المصنوعة والمنسوجة يدويا في الأرياف والمصانع الصغيرة.

٢- جعل القطن والحرير المنتج محليا أحد تجليات الثورة الاقتصادية ضد المستعمر البريطاني من خلال الاستخدام المكثف له علىٰ نطاق واسع ضمن استراتيجية صنع في الوطن أو (Swadashi).

٣- التخلي عن كل الألقاب الحكومية التي حصل عليها الموظفون الهنود من سلطات الانتداب بما فيها البرلمانيون المعينون

---

burnout of staff, Servant Leadership Research Roundtable, Virginia Beach, VA., 2003. Link: http//:www.regent.edu/acad/global/publications/sl_proceedings/2003/rude_paradoxical_leadership.pdf. (Retrieved 10 June, 2014).

في بعض المناصب التشريعية والقضائية والتنفيذية.

٤- عدم حضور أي من الاجتماعات الرسمية وغير الرسمية بمعية البريطانيين[١].

٥- الانسحاب التدريجي لكل طلبة المدارس والجامعات المسيطر عليها بريطانيا، وخاصة تلك التي تعلم اللغة الإنجليزية والأدب الغربي.

٦- مقاطعة المحامين الهنود للمحاكم البريطانية ومجمل العملية القضائية التي يسيطر عليها البريطانيون.

٧- امتناع الهنود من عسكريين ومدنيين وقوىٰ عاملة للمشاركة مع البريطانيين في مجهوداتهم العسكرية في العراق وشرق الأردن وفلسطين وفي كل الشرق الأوسط.

٨- مقاطعة أي شكل من أشكال الانتخابات الوطنية أو الانتخابات المحلية علىٰ مستوىٰ المقاطعات والولايات.

٩- علىٰ الصعيد الاجتماعي الداخلي، العمل بجدية لإزالة الفوارق الطبقية خاصة بين الفقراء والأغنياء، فيما أصبح يطلق عليه لاحقا (Untouchability)[٢].

---

(١) D.D. Pattanaik, The Swadashi movement: Culmination of cultural nationalism, Orissa Review, August 2005, pp. 9-16.

(٢) Daniel Mayton II, Gandhi as peace builder: The social psychology of Satyagraha, in Christie D.J and others (editors), Peace, conflict and violence: Peace psychology for the 21st Century, Englewood Cliffs and Prentice Hall, New Jersey, 2001, pp. 1-12.

في صميم فكره حول (Satyagraha)، كان «غاندي» واضعًا نصب أعينه كيفية استخدام هذه الآلية وهذه الاستراتيجية الكفاحية لخدمة أبناء وطنه في التحرر من الانتداب ولتحقيق الأهداف السياسية للهند كأمة وكوطن في المحصلة النهائية. ومن أوائل الأحداث التي دللت علىٰ ذلك كانت «مسيرة الملح» التي قادها «غاندي» في عام ١٩٣٠م علىٰ شواطئ ولاية الـ«غوجرات» في غرب الهند، حينما قامت السلطات البريطانية برفع الضرائب علىٰ استخراج الملح من البحر، ووضعت العوائق أمام تصنيعه من قبل الفقراء. وقبل البدء بهذه المسيرة، كتب «غاندي» رسالة إلىٰ نائب الملكة البريطانية في حينه، موضحا له الآثار السلبية للسياسات والقوانين البريطانية فيما يتعلق بالملح، ومحذره من عواقب ذلك إن لم تتراجع الحكومة البريطانية عن هذه السياسات. وهذا بالضبط يعكس فلسفة «غاندي» في إشعار الخصم إن هو تحرك لمواجهته في الميدان شريطة أن يكون المتظاهرون أو المعتصمون علىٰ قدر كبير من الانضباط والتروي والصبر والسيطرة علىٰ الذات. سار في مسيرة «غاندي» إلىٰ الشواطئ والبحار أكثر من ٥٠ ألف مشارك ومتضامن، وقد قام «غاندي» نفسه بكسر هذا القانون حينما استخرج الملح مباشرة من البحر من دون إذن سلطات الانتداب[١]. هذا بالرغم أن العديد من القادة السياسيين الهنود خرجوا علنًا ضد استراتيجية «غاندي» السلمية القائمة علىٰ

(١) Ibid., p. 6.

سياسة استجداء الاستعمار والانتداب والانبطاح أمام القوة القسرية البريطانية التي قتلت الناس وقسمت البلاد وصادرت الأرض والممتلكات، وبدلا من ذلك تبنت نموذج العامل المقاوم والمسلح. وقد وقف علىٰ رأس هذه المجموعة من الثوريين السيد «سوباش شاندرا بوسي» (Subhas Chandra Bose)، الذي عمل علىٰ تأسيس الجيش الوطني الهندي، وسافر إلىٰ ألمانيا خلال فترة الحرب العالمية الثانية، ووقع اتفاقية سرية مع «هتلر» تضمنت ثورة الهنود ضد التواجد البريطاني هناك مقابل مساعدة ألمانيا المباشر في استقلال الهند. وبالرغم من أهمية تواجد هذه العناصر المسلحة في داخل الهند وحتىٰ بين أوساط الهنود في جنوب شرق آسيا ومناصرتهم لليابانيين، حلفاء الألمان في الحرب، إلا أن تأثيرهم بقي محدودا بسبب شعبية «غاندي» و«جواهر لال نهرو» (Jawaharlal Nehru)، والعناصر المعتدلة الأخرىٰ في الحركة الوطنية الهندية، الذين عمدوا إلىٰ تحقيق أهدافهم بالطرق السلمية والسياسية والدبلوماسية، وعبر العمل المباشر مع سلطات الانتداب البريطاني، وعدم كسر قواعد اللعبة معهم[1].

ظهرت أفكار «بوسي» (Bose) علىٰ نطاق واسع في العام ١٩٤١م

(١) A. Mani and P. Ramasamy, Subhas Chandra Bose and the Indian national army: A Southeast Asian perspective, Institute of Southeast Asian Studies, Singapore, 2006, pp. 1-2.

خلال الحرب العالمية الثانية في وثيقة مطولة أطلق عليها «الجبهة الأمامية ومبرراتها» (Forward Bloc: Its Justifications)، وقد عرفت هذه الوثيقة أيضا بالاسم «أطروحة كابول» (Kabul Thesis)؛ لأنها كتبت في العاصمة الأفغانية «كابول» لان «بوسي» استخدمها كنقطة عبور في طريقه للهرب من سجنه في مدينة «كلكتا»، وصولًا إلىٰ «برلين» عبر بوابة «موسكو». وفي تلك الوثيقة عرض «بوسي» مجموعة من الأفكار الهامة، منها: أهمية إصدار مواعيد نهائية من أجل انسحاب بريطانيا الشامل والكامل من مختلف الأراضي الهندية، وبناء نموذج اشتراكي قومي علىٰ النمط الهندي، يراعي الخصوصية والعادات الهندية والمستجدات والتطورات التي مرت بها الهند في العقود الأخيرة، فضلا عن اتباع كل طرق المقاومة للمستعمر بما فيها الخيارات العسكرية وغير العسكرية، وبناء سلسلة تحالفات دولية مع قوىٰ عالمية معادية لبريطانيا، خاصة ألمانيا وإيطاليا واليابان وغيرها من القوىٰ الثورية التي تطمح لتغير نظام توازن القوىٰ الذي نشأ بعد الحرب العالمية الأولىٰ[1].

الحرب العالمية الثانية ومسيرة استقلال الهند ١٩٣٩-١٩٤٧م:

في آذار ١٩٣٣م، أعلنت الحكومة البريطانية شروعها بإعداد

(١) Jivanta Schottli, Strategy and vision in politics, Jawaharlal Nehru's policy choices and the designing of political institutions, Ph.D., Thesis, University of Heidelberg, 2009, pp. 180-188.

ما يسمىٰ بـ«الكتاب الأبيض» (White Paper) فيما يتعلق بالوضع في الهند، معلنة الموافقة علىٰ مسودة قانون حكومة الهند الجديد، والذي حمل معاني كثيرة في تلك الفترة، وقد جاءت هذه المسودة أو «الكتاب الأبيض» في محاولة واضحة من السلطات البريطانية لاحتواء التأزم الواضح وحالة الاستياء التي بدأت تتعمق في أوساط الشعب الهندي. وقد نصت مسودة القانون علىٰ أهمية تحويل الهند بحدودها الانتدابية إلىٰ «فيدرالية» من الولايات والمقاطعات المختلفة، وأن ممثلي الولايات بحسب هذه الخطة يجب أن يتم انتخابهم بشكل مباشر من سكان المقاطعات، أما ممثلو الولايات، خاصة تلك المعروفة بالولايات «الأميرية» (Princely States) فيتم اختيار ممثليها في المجالس التشريعية من قبل حكام وأمراء الولايات. الواضح في «الكتاب الأبيض» أن الصلاحيات للمجالس التشريعية كانت محدودة ومحاصرة، إذ ليس لها تأثير واضح علىٰ شؤون الدفاع والأمن والعلاقات الخارجية. وبالرغم من تشجيعه للانفصال والصراعات الطائفية والدينية والعرقية، إلا أن حزب المؤتمر الوطني الهندي، شارك في تطبيق هذه المسودة عبر الدخول في انتخابات عام ١٩٣٧م، حيث استطاع حزب المؤتمر السيطرة علىٰ سبع مناصب أو وزارات من أصل أحد عشر بناء علىٰ وزنه ونفوذه في المجالس التشريعية. وربما كان هدفه الخفي من وراء الدخول في خضم هذه العملية التشريعية والسياسية هو العمل لزيادة منسوب الوطنية الهندية في الأجسام التشريعية

والتنفيذية، والدعوة لاحقا لتأسيس مجلس عمومي لوضع دستور وطني جديد يؤسس لاستقلال الهند عن الانتداب[١].

مع انطلاق العمليات الحربية في الحرب العالمية الثانية في أيلول ١٩٣٩م، أظهر حزب المؤتمر ومؤيدوه الشعور بالتضامن والتعاطف مع بريطانيا العظمىٰ علىٰ أمل عقد صفقة مع سلطات الانتداب لتأسيس حكومة وطنية والإعداد للاستقلال الوطني. إلا أن السلطات البريطانية رفضت التعاطي مع هذه المطالب، مما تسبب باستقالة وزراء حزب المؤتمر من حكومة الهند المسيطرة عليها بريطانيا، وبدء حملة جدية من المقاومة غير العنيفة والسلمية تجسدت علىٰ شكل عصيان مدني في مناطق متعددة من الهند. وتزامن مع هذه الانتفاضة الشعبية السلمية غير المسلحة، بروز قيادة «بوسي» الذي رفع بدوره لواء وشعار «العمل المسلح» ضد التواجد البريطاني في شبه القارة الهندية من دون أن يعمل اختراقات واضحة في موازين القوىٰ العسكرية ضد البريطانيين[٢].

في محاولة احتوائية منها للسيطرة علىٰ الأحداث علىٰ أرض الواقع، بعثت السلطات البريطانية السيد «ستيفورد كريبس» (Sir Stafford Cripps) في آذار ١٩٤٢م لمنع أية انتفاضة

(١) Sukanta Pramanik, Cripp's mission: The beginning process to the way of Indian independence, Journal of Humanities and Social Sciences, 2014., vol. 19, no.2, pp. 1-7.

(٢) Ibid., p. 6.

شعبية جديدة بعد زيادة وتيرة العمل الميداني المناهض للإدارة الانتدابية، وبالرغم من وقوف «الفيدرالية الوطنية» و «حزب العدالة» مع السلطات البريطانية، إلا أن حزب المؤتمر الوطني بزعامة «غاندي» و«جواهر لال نهرو» و «الرابطة الإسلامية» بقيادة «محمد علي جناح»، وأحزاب أخرىٰ علىٰ الساحة الهندية، رفض الجميع التعاطي مع هذه البعثة مما تسبب بإفشالها. وفي اجتماع لجنته التنفيذية في «بومباي» (Bombay) عام ١٩٤٢م، اعتبر حزب المؤتمر الوطني أن اعتقال قادته مثل «غاندي» و«نهرو» يمثل إعلان مواجهة جديدة مع الشعب الهندي، لذلك دشن اجتماع «بومباي» حركة مقاومة ميدانية جديدة أطلق عليها اسم «ارحلوا عن الهند» (Quit India Movement)[١]. وكرد فعل علىٰ ما حصل في آب ١٩٤٢م، تحركت سلطات الانتداب سريعا، واعتقلت قادة حزب المؤتمر بمن فيهم «غاندي» و «نهرو»، كما تم إصدار قرار بحظر حزب المؤتمر علىٰ اعتبار أنه غير شرعي. كل هذه الإجراءات ألقت بظلالها علىٰ الهنود، الذين عبروا عن غضبهم من خلال الإضرابات والمسيرات والمظاهرات والاعتصامات. ومع مرور الوقت خرجت الأمور عن نطاق المظاهرات السلمية؛ لأن أغلب قادة حزب المؤتمر كانوا في سجون الانتداب، إذ تم حرق

(١) R. Suresh, The role of Kanyakumari district in Quit India Movement: A study, International Journal of Physical, and Social Sciences, March 2012, vol. 2, no. 3, pp. 95-96.

المباني الحكومية ومحطات الشرطة، وتحركت الجماهير لقطع الطرق والسكك الحديدية وشبكات الاتصالات والبريد خاصة في مدينة «بومباي» و «كلكتا» و «كيرالا» (Kerala) وغيرها من المواقع والولايات. في هذه الأجواء الغاضبة والمشحونة، تحركت القوات البريطانية وقتلت المئات بالسلاح الناري المباشر في شوارع المدن الهندية، واحتلت حركة «ارحلوا عن الهند» مكانًا بارزًا في تاريخ الحركة الوطنية الهندية؛ كونها عكست المشاعر الوطنية الفياضة عند جموع الهنود والإصرار علىٰ حق تقرير المصير والاستقلال الوطني[1].

وبالرغم من انتصار الحلفاء بمن فيهم بريطانيا العظمىٰ في الحرب العالمية الثانية علىٰ دول المحور بزعامة ألمانيا عام ١٩٤٥م، إلا أن هذا التاريخ شهد أيضا بداية أفول «الامبرطورية البريطانية»؛ لأن العشرات من مستعمراتها في آسيا وإفريقيا بدأت تستغل ضعفها العام لتعبر عن رغبة في الاستقلال والسيادة. مباشرة بعد انتهاء الحرب، تم إرسال بعثة رسمية بريطانية أطلق عليها بعثة «مجلس الوزراء المصغرة»: (Cabinet Mission) إلىٰ الهند للتباحث في توسيع دائرة الصلاحيات الممنوحة لحكومة وطنية منتخبة هناك تمثل الهندوس والمسلمين، وبالفعل اجتمعت اللجنة مع أعضاء حزب المؤتمر الوطني، وأعضاء في الرابطة الإسلامية،

(١) Allen Grimshaw, Genocide and democide, Encyclopedia of violence, peace and conflict, 1999, vol. 2, pp. 58-60.

وبعد ذلك الاجتماع ظهرت خلافات واضحة بين الحزب والرابطة حول طبيعة الصلاحيات وتوزيعها الجغرافي. اللافت للنظر أن انتخابات الجمعية التأسيسية أو البرلمان الهندي تحت الانتداب جرت في هذه الفترة، وفيها حصد حزب المؤتمر **١٩٩** مقعدا، في حين اكتفت الرابطة الإسلامية بالحصول علىٰ **٧٣** مقعدًا[١].

رفضت الرابطة الإسلامية التعاطي مع مقترحات لجنة مجلس الوزراء المصغرة، ولم تدخل في تشكيل حكومة مركزية في «دلهي» التي قام بتشكيلها حزب المؤتمر الوطني لوحده، وفي هذه الأثناء بدأت الرابطة بقيادة محمد علي جناح تروج لفكرة «دولة المسلمين» في جنوب أسيا، وهي «الباكستان» في أقاليم شمال غرب وشمال شرق شبه القارة الهندية. وأدىٰ ذلك إلىٰ اشتعال أعمال عنف طائفية وصراعات دموية خلفت عشرات الآلاف من القتلىٰ من الجانبين، ونزوح الآلاف الآخرين عبر الحدود الذين أصبحوا مع الوقت لاجئين في بلادهم الممتدة. أرسلت السلطات البريطانية «اللورد مونت باتن» (Lord Mountbatten) كحاكم جديد للهند وممثل للملك هناك، مباشرة أصدر مرسوما يقضي بتقسيم شبه القارة الهندية إلىٰ دولتي الهند وباكستان في منتصف آب **١٩٤٧**م، ومن أجل أن لا يتصادف ذكرىٰ الاستقلال لكلتا الدولتين في نفس الوقت، فإن باكستان تحتفل بعيد استقلالها الوطني في الرابع عشر

(١) Ibid., p. 58.

من آب، بينما الهند تحتفل به في الخامس عشر من آب[1]. الغريب في الأمر أن تقسيم شبه القارة الهندية إلىٰ دولتي الهند وباكستان (بشقيها الشرقي والغربي) رافقه أكبر حركة نزوح بشري عبر الحدود، وصل بحسب بعض التقديرات إلىٰ ما يقارب ١٢-١٣ مليون إنسان، ولامس هذا النزوح حياة الملايين من المسلمين والهندوس والسيخ بشكل أساس، لكن ما كتب حول هذا الموضوع ما زال قليلا من المنظور العربي الأكاديمي، وما زال الإلمام به في الدوائر المختلفة في المنطقة العربية، وفي دوائر الباحثين والأكاديميين ضئيلا ومحدودا. في نفس هذا السياق، لا بد من الإشارة أن استقلال الهند وباكستان في عام ١٩٤٧م تزامن أيضا مع حملة تقتيل طائفي عنيف بين المسلمين والهندوس، وصلت ضحاياه إلىٰ ما يزيد عن نصف مليون شخص من الطائفتين، مع أن أعداد المسلمين الضحايا -بحسب أغلب الدراسات- بقيت الأعلىٰ في تلك المواجهات. وقد أسست هذه الصدامات الدامية والتهجير القسري العابر للحدود بين البلدين إلىٰ علاقات مأزومة بين البلدين، نتج عنها عدة مواجهات لاحقة في أعوام ١٩٤٧م، ١٩٦٥م، ١٩٧١م، و١٩٩٩م، وعشرات المواجهات الصغيرة عبر الحدود الطويلة بين البلدين، وعلاقات باردة، غالبا ما يسودها الشك وعدم الثقة

(١) Pual Brass, The partition of India and retributive genocide in the Punjab 1946-1947: Means, methods and purposes, Journal of Genocide Research, 2003, vol. 5, no.1, pp 73-75.

بين الهند وباكستان حتىٰ اليوم[١].

لم يكن التقسيم الخسارة الوحيدة التي عانت منها الهند في تلك الفترة، وما رافقه من اقتتال دموي طائفي، فإضافة إلىٰ ذلك، صحت الهند في صباح ٣١ كانون الثاني ١٩٤٨م علىٰ حادثة اغتيال زعيمها ورمز تحررها «الماهاتما غاندي» علىٰ يد متشدد هندوسي يدعىٰ «ناثورام غودسي» (Nathuram Godse)، حيث كان هذا الأخير يعتقد أن «الماهاتما غاندي» تواطأ مع المسلمين وأعطاهم وطنا قوميا في باكستان علىٰ حساب «الأم الهند»، وأن «غاندي» قد أسهم بشكل مباشر في تقسيم الهند، وعمل علىٰ إضعاف الروح الوطنية والقومية الهندوسية!

من هنا يمكن تلخيص نشأة الحركة الوطنية الهندية وتأثيرها في الحالة الوطنية العامة هناك من خلال الحديث عن ثلاث مراحل هامة مرت بها تلك الحركة في الفترة الواقعة من ١٨٨٥م، حتىٰ استقلال الهند في العام ١٩٤٧م:

المرحلة الأولىٰ يمكن أن نطلق عليها تجذر الفكر «الليبرالي» وبروز النخبة الهندية المتعلمة ذات الميول الغربية، والتي كانت ترىٰ في الانتداب البريطاني فرصة هائلة أمام الأمة الهندية وشعوب جنوب آسيا للتحضر والتطور والتمدن وفرصة لاكتساب إنجازات الإمبراطورية البريطانية في الفكر والثقافة والصناعة والنظام السياسي

(١) Gyanendra Pandey, Remembering partition: Violence, nationalism and history in India, Cambridge University Press, Cambridge, 2001, pp. 1-20.

والأدب والفن. إن النخبة السياسية والقيادية الهندية في تلك الفترة الزمنية من أمثال: «بانيرجي، آر. سي. دوت، وأناند موها بوسي» (Bose W.C. Baneerji, R.C. Dutt and Anand Mohan) اعتبرت أن مصلحة الأمة الهندية تتطلب العيش في كنف الحضارة البريطانية والاستفادة من تجارب الأمة البريطانية من أجل تسهيل عملية بناء الأمة والدولة في مرحلة لاحقة. لذلك كان التركيز علىٰ السير بخطوات إصلاحية وتصالحية مع الواقع المعاش من خلال التقدم بمجموعة من المطالب لسلطات الانتداب، ومنها علىٰ سبيل المثال لا الحصر إصلاح التعليم والتقليل من الإنفاق علىٰ الجوانب العسكرية وتطوير نظام الخدمة المدنية والإدارة العامة والتوسع في إنشاء المجالس التشريعية في الولايات والمقاطعات والأقاليم وإعطاء مساحات أكبر للحوار والحريات والعدالة الاجتماعية والاقتصادية. هذا فضلا عن إصلاح المنظومة الزراعية وفصل القضاء عن السلطة التنفيذية وإطلاق العنان لحريات الإعلام والصحافة والنقد البناء ووقف الصادرات الزراعية، خاصة للمحاصيل الهامة التي تستهلك داخليا؛ لأن تصديرها يعني من المنظور الاقتصادي زيادة في أسعارها وقلة توفرها في السوق للمستهلكين الفقراء.

باختصار شديد ركزت النخبة الهندية السياسية علىٰ ثلاثة مسارات لتثبيت الهوية الوطنية، هي: التدرج في مسار الإصلاحات الدستورية والتشريعية، والعمل ضمن المسار السياسي والثقة

بالنموذج البريطاني في العدل والمساواة الاقتصادية، ومنظومة القانون والقضاء[١].

المرحلة الثانية في الحركة الوطنية الهندية امتدت من ١٩٠٥-١٩٢٠م، ويمكن أن يطلق عليها بمرحلة الطبقة الوسطىٰ وظهور النزعة المتشددة ذات الميول الوطنية القائمة علىٰ أساس تبني استراتيجية وطنية للمقاومة والعمل الكفاحي النضالي المبادر دون الاتكال علىٰ المسارات السياسية الدبلوماسية، وكان من تجليات هذه المرحلة زيادة الحديث الهندي عن المقاطعة الشاملة لكل شيء أجنبي وتبني كل شيء محلي وطني، وإعادة تكوين الهوية الوطنية والثقافية والرجوع إلىٰ التاريخ واستيعاب قصص البطولة في التاريخ الهندوسي خاصة تلك المرتبط بتاريخ «آلهة الهندوس» والملوك الذين حاربوا الشر وانتصروا عليه في معارك ومنازلات عديدة. وقد أطلق علىٰ هذه المجموعة اسم المتشددين داخل حزب المؤتمر الوطني والذي تعرض إلىٰ الانقسام بعد جلسة مدينة «كلكتا» عام ١٩٠٦م، حينما استطاع المتشددون أو القوميون من انتزاع موافقة حزب المؤتمر علىٰ ثلاثة قرارات هامة في تلك الجلسة هي: الحكومة الوطنية والتعليم الوطني، والمقاطعة الشاملة، وإمكانية حمل السلاح في وجه المستعمر والمنتدب البريطاني[٢].

---

(١) Ibid, p. 15-20.

(٢) Biplap Dasgupta, The colonial political perspective, Social Scientist, 2003, vol. 31, no. 3-4, pp. 30-35.

أما المرحلة الثالثة فهي بامتياز مرحلة «الماهاتما غاندي» بكل ما تحمله من إبداعات التحرير والاستقلال الوطني من جهة، ومن لوعة وخسارة التقسيم من جهة أخرىٰ. وتتلخص هذه المرحلة بقيادة «غاندي» بعناوين عريضة، أبرزها: العمل لتأسيس حكومة وطنية وتحرر كامل، واتباع الأساليب السلمية في المقاومة، والتعبير عن الحس الوطني، والعمل باتجاه بناء حركة وطنية بناءة متفاعلة غير متعصبة مدعومة بحركة شعبية علىٰ مستوىٰ القاعدة الشعبية والفعاليات الوطنية بمختلف ألوانها الطبقية والاجتماعية والدينية والطائفية. وبالتالي فإن هذه المرحلة مثلت إعادة إنتاج الأمة الهندية وتفكيك المنظومة الاستعمارية وما حملته من معاني البطش والمعانة والاستعباد، واستبدالها بنظام وطني إنساني يعمل علىٰ التواصل مع منجزات الأمم والشعوب، وسيكون لهذه المسيرة تداعيات وإسقاطات علىٰ وضعية الهند داخليا وخارجيا[1].

حول انفصال باكستان:

يعتقد كثير من المؤرخين المهتمين بالشأن الهندي وتقسيم شبه القارة الهندية إلىٰ دولتي الهند وباكستان، أن الأعوام الحاسمة التي عززت توجهات الرابطة الإسلامية Muslim League بقيادة محمد علىٰ جناح للانفصال عن الهند، وتأسيس دولة لمسلمي

(١) Jean Comaroff, The colonization of consciousness in South Africa, Economy and Society, August 1989, vol. 18, no. 3, pp. 267-268.

جنوب آسيا هي ١٩٣٧-١٩٤٦. ففي أعقاب فشل مهمة مجلس الوزراء المصغر البريطانية Cabinet Mission Plan في العام ١٩٤٦، وتغيير حاكم الهند البريطاني الورد Wavell واستبداله باللورد Mountbatten كأحد مظاهر تعمق الأزمة بين الرابطة الإسلامية وحزب المؤتمر الوطني الهندي. اجتمع اللورد مونتباتن مع القيادات السياسية للملايات الأميرية الهندية والتي تتمتع بحكم وإدارة ذاتية تحت التاج البريطاني، وعرض عليهم قصة انفصال بعض الولايات في غرب القارة الهندية وفي أقصىٰ شرقها بهدف إنشاء دولة لمسلمي الهند، وكانت إجابات زعماء هذه الولايات بالموافقة علىٰ هذا المقترح إيمانا منهم أن هذا سيخفف من حدة التوتر بين أكبر مجموعتين في جنوب آسيا وسيؤسس لعلاقة أكثر تعاونا بينهما في المستقبل[١].

ترافق مع تقسيم شبه القارة الهندية نزوح أكثر من ١٠ مليون شخص عبر الحدود، جزء من المسلمين ارتحلوا إلىٰ باكستان وغالبية الهندوس نزحوا نحو الهند، وكان من نتائج هذه الأزمة فقدان أكثر من مليون شخص من الطائفتين (أكثرهم من المسلمين) في صراعات طائفية ودينية دموية خاصة في غرب الهند حيث تم تقسيم ولاية البنجاب بين الدولتين الناشئتين. من خلال تتبع بعض

(١) Paul Brass, The partition of India and the retributive genocide in the Punjab 1946-1947: means, methods and purposes, Journal of Genocide Research, Vol. 5, No. 1, 2003, p. 71-101.

المصادر المحايدة حول نوايا محمد علي جناح، تبين للباحثين أن مطالبته بوطن مستقل للمسلمين هناك إنما كانت في حقيقة الأمر نقطة مساومة مع حزب المؤتمر الوطني (نهرو وغاندي) للحصول علىٰ صلاحيات أوسع أو ربما حكم ذاتي في الدولة الفيدرالية الهندية الناشئة، وليس الانفصال النهائي عن جسد القارة الهندية[١].

كما أن القرار البريطاني بالانسحاب من جنوب آسيا جاء بشكل مفاجئ وفي خضم الحرب العالمية الثانية والدمار الهائل الذي لحق بالعالم بسبب ذلك، يضاف إلىٰ ذلك كله أن حزب العمال البريطاني حصل علىٰ أغلبية في مجلس العموم البريطاني وذلك أهله لتشكيل الحكومة في ويستمنستر، ودفعه لاحقا لإعلان انسحاب قوات بريطانيا العظمىٰ من جنوب آسيا بعد أن أنهكت الحرب قدرات الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس بعد معركة طويلة مع ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية واليابان الإمبراطورية[٢].

كما كان لأفكار السيد أحمد خان (مؤسس الجامعة الإسلامية في عليكرة) دور كبير في التأسيس الباكر لحركة باكستان (Pakistan Movement) ومشروع انفصال المسلمين عن الهند واستقلالهم في كيان خاص بهم عن الهندوس والبريطانيين،

(١) http//:www.bbc.co.uk/history/british/modern/partition1947_01.shtml.

(٢) The high politics of India's Partition: the revisionist perspective' by Asim Roy (Modern Asian Studies, No. 24 Vol. 2, 1990, p. 385-415.

حيث كان الرجل من السباقين لطرح نظرية حل «الأمتين» في شبه القارة الهندية، خاصة بعد توغل وتمكن حزب المؤتمر بزعامة غاندي من قيادة الجماهير في شبه القارة الهندية،[١] حيث، شكك منذ البداية السيد خان بنزاهة حزب المؤتمر، وعمله من أجل مصالح المسلمين، وليدفع ذلك لاحقا إلىٰ حراك سياسي تارة سلمي وتارة دموي أفضىٰ في نهاية المطاف إلىٰ خروج الكثيرين من حزب المؤتمر وعلىٰ رأسهم محمد علىٰ جناح، لينتهي الأمر إلىٰ أن وافقت الجموع المسلمة (بعد إعلان لاهور بست سنوات) علىٰ فكرة الانفصال التام وإنشاء دولة باكستان ككيان للمسلمين، وكان ذلك في العام ١٩٤٦م، وليتجسد الانفصال واقعا في العام ١٩٤٧م[٢].

كما كان لاحتضان فكرة نظرية الهند لأمتين من قبل العلامة والمفكر والفيلسوف الكبير محمد إقبال أثره في تعزيز مسيرة الانفصال، وكان بأن نظّر إقبال ومن معه ممن آمنوا بالفكرة علىٰ طريقتهم الفكرية والفلسفية والروحانية، وكان بان أيقظ ذلك في نفوس جموع المسلمين الهنود أهمية أن يكون لهم كيانا سياسيا مستقلا عن الهندوس وعن البريطانيين، لتكون في نهاية المطاف الثمرة باكستان الإسلامية، هذا وإن كان إقبال لم يدرك تلك اللحظة

(١) Story of Pakistan, Sir Syed Ahmad Khan. Link: http//:storyofpakistan.com/sir-syed-ahmad-khan/. (Retrieved ..., 2014.

(٢) Jaswant Singh, Jinnah: India, partition, independence, Oxford University Press, London, 2010.

التي ولدت فيها باكستان، حيث وافته المنية في العام ١٩٣٨[١].

هذا ولا يفوتنا بأن ظهور دعوات «النقاء الهندوسي» والنزوع المحموم إلىٰ «الهندوكية» كاتجاه سياسي -اجتماعي- ثقافي عنيف في بداية العشرينيات من القرن العشرين، علىٰ يد رجل يكنىٰ بـ«فير» (أي البطل)، أو كما يسميه المفكر والناقد الهندي الكبير «أمارتيا سن» بالزعيم الهندوسي الشوفاني، دفعت هي الأخرىٰ وبقوة باتجاه انفصال المسلمين عن الهندوس، حيث كان بأن سبق «سارافاك فير» في تنظيره القائم علىٰ فكرة أن في الهند أمتين غير متجانستين (أمة الهندوس وأمة الإسلام) زعيم الرابطة الإسلامية محمد علي جناح، ومناداة الأخير بضرورة إنشاء كيان سياسي ديني وجغرافي للمسلمين. حيث كان الفارق الزمني بينها حول الفكرة، وكما يقول «سن» حوالي خمسة عشر سنة[٢].

وقد نتج عن تلك الأحداث والتطورات ميلاد دولة باكستان، ممهدة الطريق أمام مرحلة جديدة من الصراعات وتداخل المصالح المحلية والإقليمية والدولية في منطقة جنوب آسيا، أقل ما يقال عنها أنها منطقة تقع فيها كل من الهند وباكستان وكلتاهما تمتلكان السلاح النووي وقدرات الدمار الشامل . .

---

(١) The Pakistan movement: Pakistan set up. Link: http//:roshni.stepuppakistan.com/wpcontent/uploads/2012/12/THEPAKISTANMOVEMENT.pdf. (Retrieved .... 2014).

(٢) Amartya Sen, The argumentative Indian, Penguin Books, London, 2005, p. 51.

الفصل الثاني

الهند ما بين قوة نظامها السياسيّ الديموقراطيّ ومتانة علاقاتها الخارجية والدولية

مُقَدِّمَة

يمكن القول إن الديمقراطية الهندية بنمطها البرلماني الواسع والمتجدد، قد تجسدت عمليا في فقرات الدستور الهندي الذي خرج إلىٰ الوجود في ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٠م، وهو اليوم الذي تحتفل فيه الهند بعيد الجمهورية؛ لأن الدستور عبر فقراته المختلفة ومواده المتعددة أعلن ومنذ البداية أن الهند جمهورية مرتبطة بالشعب، جمهورية تستمد شرعيتها من صناديق الاقتراع. وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلىٰ أن الهند في فلسفتها العامة نحو «دسترة» حياتها السياسية اتبعت نموذج «الهيئة التأسيسية» (Constituent Assembly) لوضع وكتابة دستورها بفقراته ومواده ومقدمته وأهدافه العامة، ومدىٰ ملائمته للهند كبلد كبير ومترامي التاريخ والجغرافيا ومتعدد الأعراق والأديان والطبقات الاجتماعية. وتشكلت الهيئة التأسيسية في عام ١٩٤٦م، أي قبل عام من رحيل الاستعمار البريطاني عن الهند ضمن صفقة توصلت لها القيادات الهندية مع لجنة مجلس الوزراء البريطاني، والتي أرسلت خصيصا للسيطرة علىٰ الأوضاع المتفجرة في الهند في حينه، من أجل استكمال انسحاب بريطانيا عن مستعمراتها في شبه

القارة الهندية، بعدما أتعبتها الحرب العالمية الأولىٰ والثانية، وفقدت جزء من مستعمراتها في أكثر من مكان بفعل الثورات الشعبية وحروب الاستقلال.

تم انتخاب أغلب أعضاء «الجمعية التأسيسية الهندية» من المجالس التشريعية للولايات والأقاليم المختلفة، بما فيها المناطق التي تسمىٰ اليوم باكستان وبنغلادش ضمن معادلة ديموغرافية معينة عكست أعداد السكان، وكان بأن وصل عدد أعضاء هذه الهيئة ما يقارب الـ٢٩٩ عضو، بينهم تسع نساء[١].

نظمت «الجمعية التأسيسية» عملها في خمسة مراحل هامة، هي: ١- اللجان المختلفة المرتبطة بالجمعية، والتي طلب منها أن تقدم تقارير وافية وشافية حول أهم القضايا التي تواجه الأمة الهندية في تلك المرحلة، ٢- قام المستشار الدستوري للجمعية «بي. أن. راؤو» (B.N Rau) بعرض تجاربه المختلفة فيما يتعلق بعمل اللجان، وتجارب الأمم والدول الأخرىٰ التي وضعت دساتير متشابه في مراحل زمنية متعددة، ٣- أما لجنة الصياغة في الجمعية بإدارة «بي. يٰر. أمبيدكار» (B.R Ambedkar) فقامت بعرض النسخة الأولية عن الدستور، وتم نشرها من أجل تحفيز النقاش الشعبي حولها، ٤- بعد المناقشة الواسعة حول مسودة الدستور النهائية، أدخلت التعديلات والتطويرات المنهجية والقانونية علىٰ

(١) Rajni Kothari, India's political take off, The Economic Weekly, February 1969, pp. 149-154

النسخة الأولىٰ من الدستور، ٥- اعتماد الدستور بالشكل النهائي حيث لعب أعضاء الجمعية من حزب المؤتمر الوطني الهندي الدور الأبرز والحاسم في هذا المضمار[١].

العديد من الدراسات والأبحاث حول أهمية وجود الجمعيات التأسيسية أو المجالس النخبوية المختارة والمكلفة بوضع دستور للبلاد تناولت تجارب دول مختلفة من آسيا إلىٰ إفريقيا، ومن أمريكا الجنوبية إلىٰ شرق أوروبا، وأغلب هذه الدراسات أجمعت علىٰ أن الدستور وثيقة هامة تعمل علىٰ خلق توازنات داخلية بين تجمعات مختلفة وحتىٰ متصارعة، خاصة في بلدان العالم الثالث التي خرجت من تحت نير الاستعمار والعبودية والأنظمة السلطوية، كما أن كثير منها دخل في حالة صراعات وحروب واقتتال داخلي، وحتىٰ نزوح جماعي من منطقة إلىٰ أخرىٰ بسب الاعتبارات الطائفية أو المناطقية، مما أفقد الدولة جزءًا من هيبتها وسلامة أراضيها، وهذا بدوره ينطبق علىٰ الهند بكل أبعاده ومستوياته التحليلية[٢].

---

(١) حول «الجمعية التأسيسية» وعملها المتعلق بالدستور الهندي، يمكن النظر حول الموضوع من خلال الرابط الإلكتروني:

Braja Paikrary, First historical session on Indian constituent Assembly, Orissa Review, January 2007, pp. 3-4, link: http//:odisha.gov.in/e-magazine/Orissareview/jan-2007/engpdf/3-4.pdf (Retreived 9 October 2014).

(٢) Yash Ghai, The role of constituent assembly in constitution making, Institute for Democracy and Electoral Assistance, University of Hong Kong, 2012, pp. 1-35.

وقد استفادت «الجمعية التأسيسية الهندية» التي كلفت بوضع الدستور من تسلسل منطقي في عملية إعداد الدستور عبر الجلسات المطولة والمبادئ العامة التي وضعت من أجل تحقيق أهداف وطنية عليا، والتوافق علىٰ الإجراءات والمؤسسات التي تعمل لصالح إخراج هذه الوثيقة إلىٰ حيز النور، كما أن عملية إعداد الدستور خلقت حالة من النقاش العام وتعزيز المواطنة والتعليم المدني، وأخذ آراء ووجهات نظر الخبراء والمختصين القانونيين والسياسيين، والتدرج في صياغة النسخة الأولىٰ من الدستور قبل الذهاب إلىٰ النسخة النهائية والمصادقة عليها من قبل أعضاء المجلس، مما يعكس درجة «الدمقرطة» الداخلية، والتشاور والنقاش العاصف حول النظام السياسي في الهند، ومدىٰ قدرته لتلبية احتياجات البلد إلىٰ الاستقرار والأمن والتنمية، والمحافظة علىٰ النسيج الاجتماعي في ضوء تعدد طائفي وطبقي وديني[1].

قبل العام ١٩٥٠م، كان هناك نقاشات ومداولات (Debates) بين أعضاء «الجمعية التأسيسية الهندية» حول النظام السياسي الهندي والهوية الهندية القادرة علىٰ جعل هذا البلد الكبير متماسك وموحد في وجه التحديات والصعوبات التي واجهتها في تلك المرحلة خاصة الاستعمار والانفصال والانقسام.

الأهم في جلسة الجمعية التأسيسية في كانون أول ١٩٤٦م،

(١) Tom Ginsburg and Rosalind Dixon, Comparative constitutional law, Northampton, USA, 2011, pp. 1-18

أعلن «جواهرلال نهرو»، أول رئيس وزراء للهند، أن أهم قرار اتخذته الجمعية كان في العمل الدؤوب المتواصل لوضع دستور للبلاد يحدد ملامح الحكم والحكمانية والعلاقة بين مؤسسات الدولة التنفيذية والتشريعية والقضائية، فضلا عن قوائم الحقوق العامة والواجبات والحريات التي يتمتع بها عموم الناس. وفي نفس الجلسة أعلن «نهرو» أن الجمعية أجمعت علىٰ أن الهند أصبحت في هذه اللحظات التاريخية المقدسة جمهورية وطنية ذات سيادة ومستقلة، وهذا يعني عدة مضامين سياسية وقانونية، ومنها الاعتبارات التالية[١]:

١- إعلان «الجمعية التأسيسية» أن الهند جمهورية مستقلة صاحبة سيادة علىٰ أراضيها وأقاليمها الجغرافية، وأن وثيقة الدستور المستقبلي هي التي سوف تحدد طبيعة نظام الحكم والتعامل مع القضايا الوطنية العليا داخليًا وخارجيًا.

٢- أن الهند جغرافيًا هي كل الأراضي والمناطق التي أطلق عليها «الهند البريطانية»، فضلا عن كل الولايات الأميرية والمناطق البعيدة التي بقيت خارج الإدارة البريطانية، علىٰ أن يكون اتحادها مع الهند واندماجها مع الوطن الأم طواعية، وبفعل التفاوض

(١) F.M. Ibrahim Khalifulla, NJA South Z one Regional Judicial Conference on "Role of Courts in upholding Rule of Law" atTamil Nadu State Judicial Academy January 2014. Link: http//:hcraj.nic.in/joc2014/16pdf (Retrieved 8 October, 2014).

السياسي السلمي مع الحكومة المركزية.

٣- أن الولايات والأقاليم التي تشكل الاتحاد الهندي في نهاية المطاف هي الأساس في تشكيل الجمهورية الهندية، وأن صلاحياتها ونطاق عملها القانوني والسياسي معروف ضمن الدستور، وأن هناك تقاسم واضح للعمل بين الحكومة المركزية وحكومات الولايات في الأقاليم والمناطق البعيدة.

٤- أن كل الصلاحيات الممارسة والمسؤوليات الملقاة علىٰ الحكومة بكل فروعها مستقاة مباشرة من قوة الناس والشعب والذين انتخبوا هذه الحكومة عبر انتخابات دورية مباشرة وفاعلة.

٥- أن الدستور يضمن الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية للشعب الهندي، كما أن الشعب له حق التمتع بالحريات العامة بما فيها حرية الرأي والمعتقد والديانة والمهنة والوظيفة والانتماء الحزبي وتشكل الجمعيات، وكل هذه الحريات خاضعة للقوانين والأنظمة المرعية التي تنظم نطاق عملها في المحصلة النهائية.

٦- أن الجمعية معنية بوضع الترتيبات القانونية اللازمة لحماية الأقليات خاصة الجماعات البدائية المتخلفة والقبائل الساكنة في المناطق النائية والتي تحتل قاع السلّم الاجتماعي الطبقي في المجتمع الهندوسي، حيث يمارس ضدها كل أشكال التمييز الطبقي والمجتمعي.

٧- تشدد الجمعية التأسيسية علىٰ المحافظة علىٰ الوحدة

الجغرافية والإقليمية للهند في إقليمها البري والبحري والجوي، وأنه لا بد من اتخاذ كل الإجراءات للمحافظة علىٰ هذه الوحدة الوطنية الجغرافية.

السمات العامة للدستور الهندي:

الكثير من الدراسات العلمية والنظرية ربطت بين متغيرين عند دراسة الحالة السياسية الداخلية في بلد ما، أولها الدستور من حيث طبيعته ومكوناته ومواده وفقراته، وثانيها النظام السياسي ومحدداته العامة علىٰ الصعيدين الداخلي والخارجي. وبالرغم من أن الدستور لأي بلد كان يوضح عملية توزيع الصلاحيات والمسؤوليات بين أفرع الدولة والحكومة المختلفة خاصة المدنية والعسكرية والأمنية، وبين السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية ضمن معادلة قانونية دستورية مكتوبة وواضحة، إلا أنه وفي نفس الوقت فإن دراسة النظام السياسي علىٰ الوجه الأكمل ما هو إلا انعكاس للظروف المحيطة بوثيقة الدستور، بكل ألوانها وأطيافها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتىٰ الدينية والروحية. لذلك يعتبر البعض من المختصين بالأنظمة السياسية والدستورية أن دراسة النظام السياسي هي في حقيقة الأمر عملية معقدة أكثر من مجرد وثيقة مكتوبة خاصة إن كانت هذه الوثيقة لا تعكس روح الظروف والمستجدات التي تعيشها الأمة أو الدول، لذلك فإن دراسة النظام السياسي تحتم الإلمام بمتغيرات هامة علىٰ شاكلة الثقافة السياسية والبيئة السياسية وثقافة الجماهير ووعيهم وإدراك النخبة السياسية

لطبيعة المرحلة التي تمر بها الدولة داخليًا وخارجيًا[1].

حدثت تطورات هامة علىٰ صعيد دراسة الأنظمة السياسية المقارنة علىٰ صعيد العالم خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد نهاية الحرب الباردة أيضًا في العقد الأخير من القرن العشرين. وهذا واضح من خلال صدور عشرات الكتب والمقالات البحثية حول هذا الموضوع، حيث أصبح النظر إلىٰ النظم السياسية المقارنة من باب عمل مقارنات ومقاربات بين دول العالم المختلفة خاصة العالم المتقدم من جهة والعالم الثالث أو النامي من جهة أخرىٰ.

فالدول اليوم منقسمة فيما بينها ليس فقط بسبب الفوارق في الدخل القومي ومستوىٰ المعيشة والمعايير والاعتبارات الاقتصادية، وإنما أصبحت متغيرات وعوامل وفواعل علىٰ شاكلة الدين واللغة والتعليم والثقافة والتاريخ ودرجة الاتصال مع الخارج، واحترام الأقليات علىٰ درجة كبيرة من الأهمية. وقد انعكست كل تلك العوامل علىٰ الدستور الهندي وعلىٰ مجمل العملية السياسية في ذاك البلد الذي عانىٰ بعد خروج البريطانيين من شبه القارة الهندية؛ لأنها تعرضت للتقسيم الديني والعرقي، حيث برزت كل من الهند وباكستان وبنغلادش، وتزامن استقلال الهند مع حروب دموية وتطهير عرقي وديني تسبب بموت الآلاف، وتشريد الآلاف عبر الحدود بين بلدان جنوب آسيا، وانعكس بعد ذلك بشكل سلبي علىٰ

(١) Gregory Mahler, Comparative politics: An institutional and cross - national approach, Prentice Hall, New Jersey, 2000, pp. 25-44.

مجمل المنظومة العلائقية الإقليمية في تلك المنطقة[1].

كل دستور يهدف إلىٰ بناء ثقافة سياسة محددة اعتمادًا علىٰ المبادئ والأيديولوجيات السائدة والتي تختلف من بلد إلىٰ آخر. وفي نفس هذا السياق فإن الدستور الهندي يمتلك خصائصه التي تعكس التصورات النظرية والأيديولوجية والفلسفية التي تضمنها. ويبدو أن هذا الأمر قد كان واضحًا من خلال التمعن في تشكيلة «الجمعية التأسيسية»، حيث ضمت تلك الجمعية «الاشتراكيين والماركسيين والوطنيين الغانديين» (وغير الغانديين)، فضلا عن مجموعات من الجماعات الهندوسية المتشددة والأقلية المسلمة. بناء علىٰ هذه الأرضية التاريخية والسياسية المغايرة، يمكن إجمال أهم سمات الدستور الهندي في الأمور والخصائص التالية والتي تطورت عبر الزمن، خاصة الفترة الواقعة ما بين ١٩٥٠م، وهو تاريخ اعتماد الدستور الوطني الهندي وحتىٰ اليوم:

١- دستور مكتوب (Written Constitution): حيث تضمن الدستور الهندي ما يقارب ٣٩٥ فقرة أو مادة قانونية تم تقسيمها عمليا إلىٰ ٢٢ جزء، وفي مراحل لاحقة تم إضافة مجموعة من التعديلات علىٰ الدستور، لكن مع هذا حافظ الدستور الهندي علىٰ فقراته الأساسية وبقي الدستور الأطول في العالم؛ لأنه عكس الأمة الهندية المتنوعة علىٰ

(١) Gabriel Almond and Bingham Powell, Comparative politics: A theoretical framework, Harper Collins College Publishers, New York, 1996, pp. 3-25.

كافة المسارات والجبهات والأرضيات الوطنية والطبقية والروحانية[١].

٢- السيادة الشعبية (Popular Sovereignty): وهذا يعني بكلمات أخرىٰ أن إرادة الشعب وعامة الناس هي التي تفرض ذاتها علىٰ شؤون الدولة وسياساتها المختلفة. وقد تضمنت مقدمة الدستور الهندي عبارة «نحن الشعب الهندي»، وتجلىٰ ذلك عمليا من خلال الانتخابات التشريعية للبرلمان المركزي بمجلسيه، وفي برلمانات الولايات والأقاليم، حيث الانتخاب علىٰ أساس الاقتراع العام للبالغين الذين أتموا ١٨ سنة فعليا. وهذا يعني بكلمات أخرىٰ أن الهند دولة ديمقراطية برلمانية تقوم حكوماتها وأعضاء برلماناتها وسلطتها التشريعية علىٰ أساس الاختيار والانتخاب الشعبي الدوري، حسبما يمليه قانون الانتخابات العامة، وأن بقائها في ممارسة مهامها السياسية والدستورية يعتمد علىٰ الرضا الشعبي والمزاج العام[٢].

٣- جمهورية ديمقراطية (Democratic Republic): أعلن الدستور في مقدمته العامة أن الهند جمهورية ديمقراطية مستقلة وذات سيادة علىٰ أراضيها وسكانها، وكلمة الديمقراطية هنا تعني أن الشعب مصدر السلطات والصلاحيات عبر انتخابات دورية، أما الجمهورية فتتضمن أن الهند يرأسها رئيس وليس ملك أو ملكة

(١) R.K. Joshi, Indian constitution, Viniyog Parivar Trust, Mumbai, 2005, pp. 1-10.

(٢) K.N. Chatruvedi, The constitution of India, Ministry of Law and Justice, New Delhi, 2007, pp. 4-10.

منتخب بشكل غير مباشر من قبل الشعب. وهنا لا بد من الإشارة الىٰ أن الديمقراطية الهندية، هي برلمانية بامتياز تتشابه مع النمط البريطاني من الديمقراطيات المعاصرة، والتي تعني أن السلطة التنفيذية لها شقين، الرئيس صاحب الصلاحيات الاسمية نوعًا ما، ورئيس الوزراء زعيم الحزب صاحب الأغلبية في البرلمان، وله صلاحيات فعلية؛ لأنه منتخب من قبل الشعب، وهو الذي يدير مجلس الوزراء[١].

٤- دستور مرن وجامد في نفس الوقت (Rigid and Flexible):
لأن تعديل الدستور وتطويره ليس سهلا كما هو الحال في بريطانيا علىٰ اعتبار أن الدستور البريطاني غير مكتوب، ويعتمد علىٰ الأعراف الدستورية، وليس جامدًا علىٰ النمط الأمريكي، فالبرلمان الهندي قام بتعديل الدستور أكثر من مرة بأغلبية بسيطة سهلة المنال والحصول عليها، في نفس الوقت الذي تم فيه تمرير بعض التعديلات والتغيرات بنسبة الأغلبية أو الثلثين، مما شكل حالة من صعوبة إجراءات التعديل[٢].

٥- وجود حكومة مصغرة أو ما يسمىٰ بـ«الكابينت» داخل **الحكومة الأوسع** (Cabinet System): وهذا النمط من الإدارة

(١) C. M. James, Indian constitution and politics, University of Calicut, Kerala, 2011, pp. 5-28.

(٢) J. C. Kothari, Indian government and politics, Vishal Publications, New Delhi, 1991, pp. 406-433.

الحكومية التنفيذية موجود في أروقة الحكومة المركزية في «نيودلهي» (New Delhi)، وفي حكومات الولايات أيضا، والحكومة هنا الموسعة والمصغرة تكون مسئولة بشكل جماعي أمام البرلمان والسلطة التشريعية، وهذا جزء من النظام الديمقراطي البرلماني في الهند. تتشكل «الكابينت» من رئيس الوزراء ومن وزراء محوريين آخرين منهم وزير الدفاع والداخلية والخارجية والمالية، وتعد «الكابينت» الجسم أو الهيئة العليا لصياغة السياسة وتنفيذها ومتابعة التغذية الراجعة من وراء القيام بهذه العلمية، وعادة ما يكون لهذه المجموعة من النخبة السياسية أدوارًا هامة في أوقات الأزمات والحروب والطوارئ[1].

٦- دولة علمانية (Secular State): حيث نص علىٰ ذلك الدستور عبر مقدمته الطويلة، وكان بأن أضيفت إلىٰ الدستور في التعديل رقم ٤٢، والذي صدر في العام ١٩٧٦م، معلنا أن الدولة لا يوجد بها ديانة واحدة رسمية، وأن الشعب بجموعه وأفراده لهم حرية اختيار الأديان والمعتقد من دون أية ضغوطات. والعلمانية الهندية لا تعني بالضرورة معاداة الدين بقدر أنها محاولة من الدولة لأن تكون علىٰ مسافة واحدة من كل الأديان الموجودة في هذا البلد المتعدد والمتنوع من حيث الأديان والمذاهب والرؤىٰ الفلسفية والتقسيمات الطبقية الاجتماعية. وبما أن الدولة تقف علىٰ مسافة واحدة من كل الأديان بما فيها الهندوسية التي تعد التجمع

(١) Ibid., pp. 618-658.

الأكبر لسكان الهند، فإن الدولة لا تمول أو تشجع أي نشاط ديني علني؛ لأن ذلك جزء من فلسفتها العامة، ولئلا تثير هكذا خطوة حفيظة أتباع الديانات الأخرىٰ، خاصة المسلمين الذين يشكلون ما يقارب ١٥% من السكان، ولهم إشكاليات واضحة مع الأغلبية الهندوسية[١].

٧- سواد النظام الفيدرالي (Federal System): والذي يناسب الهند الكبيرة المساحة (٣,١٦٦,٤١٤)، والتعداد السكاني الهائل، حوالي مليار و٢٧٠ مليون تقريبا حسب إحصائيات العام ٢٠١٤م، إذ يوجد في الهند ٢٩ ولاية و٧ مناطق اتحادية تدار بشكل مباشر من قبل الدولة أو الحكومة المركزية. والفيدرالية هنا في الحالة الهندية لها خصائص وسمات محددة؛ لأنها تميل في الصلاحيات لحساب الحكومة المركزية، لكن مع هذا هناك تقسيم واضح في المسؤوليات والصلاحيات بين الحكومة المركزية والولايات، فالمركز يتمتع بصلاحيات متعلقة بالدفاع والأمن الوطني والقومي والعملة الوطنية والعلاقات الخارجية والتمثيل الدبلوماسي، أما الولايات فتشرع في قضايا داخلية بحتة مثل الصحة والتعليم والصناعة والسياحة والقوانين الجنائية والتجارة الداخلية والزراعة والأراضي وما إلىٰ غير ذلك من مواضيع خدماتية مختلفة، وإن حصل هناك تضارب بين صلاحيات الجهتين، فإن

(١) Paul Brass, Indian secularism in practice, Indian Journal of Secularism, April-June 2006, vol. 9, no. 1, pp. 115-132.

الصلاحيات المركزية هي التي تسود وتطغىٰ في نهاية المطاف، وعادة للولاية رأسين تنفيذيين، رئيس وزراء الولاية المنتخب (Chief Minister)، ومحافظ الولاية (Governor) المعين من قبل الرئيس الهندي، ويستطيع هذا الأخير عبر المادة ٣٥٦ من الدستور إعلان حالة الطوارئ في الولاية وحل الحكومة والبرلمان المحلي وقيادة العمل الإداري فيها بشكل مباشر خاصة في أوقات الاقتتال الداخلي والطوارئ[١].

١- سيادة القضاء والقانون (Independent Judiciary):

ذلك كون التمتع في الحريات الديمقراطية والحقوق الأساسية يصبح أكثر نفاذا وشيوعا في حالة وجود قضاء نزيه وشفاف ومحايد، بعيد عن كل التجاذبات السياسية، وهذا ما أدركه الآباء المؤسسون للدستور الهندي حيث اعتبروا القضاء أداة هامة للدمقرطة والأنسنة وحماية حقوق الإنسان، وذلك عبر إبعاد القضاء عن مخالب السلطة التنفيذية تحديدًا. وهذا ما جعل السلطة القضائية تتمتع بصلاحيات واسعة، منها: حماية الحريات والحقوق كما أسلفنا، يضاف لها المراجعة القضائية (Judicial Review) لكل التشريعات الصادرة عن البرلمان الهندي، فالقضاء هو الذي يفسر الدستور ويوقف أية تشريعات يمكن أن تخرج الدستور عن نصوصه الأصلية، كما أن السلطة القضائية هي المخولة بالتدخل في حال

(١) M. P. Jain, Some aspects of Indian federalism, Banaras Hindu University, Varanasi, 1968, pp. 301-368.

وجود نزاع أو صراع أو خصام بين الحكومة المركزية من جهة وحكومة أية ولاية من جهة أخرى[1].

٢- الحقوق والواجبات الأساسية (Fundamental Rights and Duties): والتي نظر لها واضعو الدستور علىٰ اعتبار أنها جزء أصيل من الدستور ومن الحياة السياسية في الهند، وتمتاز بأنها مفصلة وشاملة ومبررة علىٰ كافة الأصعدة ويتمتع بها الجميع رجالا ونساء بغض النظر عن اللون أو العرق أو الدين أو المذهب أو المنطقة الجغرافية أو الطبقة الاجتماعية لكنها في نفس الوقت ليست دائمة وقابلة للتعديل والتطوير بناء علىٰ اعتبارات قومية ووطنية، وبحسب الظروف التي تمر بها الهند داخليًا وخارجيًا؛ لأنها عرضة للمصادرة في حالات الحروب والطوارئ. ومن أهم الحقوق الأساسية التي تضمنها الدستور الهندي: حق المساواة، وحق الحرية بكافة أشكالها وصورها، والحق ضد الاستغلال بكل ألوانه، والحق في الدين والتدين واختيار المذهب الديني، والحقوق التعليمية والثقافية، وحق التملك، والحق في المعالجات الدستورية والذهاب إلىٰ القضاء في حال تعرض الإنسان لأي شكل من أشكال المظالم. في الوقت نفسه الذي تضمن فيه الدستور قائمة من الواجبات الهامة التي علىٰ الشعب جموعًا وأفرادًا أن يقوموا بها خدمة للأمة الهندية والوطن الهندي

(١) Vinod Kothari, Note of the Indian judicial system, Vinod Kothari and Company, New Delhi, 2013, pp. 1-6.

ومنها علىٰ سبيل المثال لا الحصر: احترام العلم الهندي، والنشيد الوطني، واحترام تاريخ الحركة الوطنية الهندية، وتجربة الهند في التحرر والاستقلال من الاستعمار البريطاني في العام ١٩٤٧م، وحماية سيادة الهند واستقلالها الوطني، ووحدتها الجغرافية والدفاع عنها في حال تعرضها لأية هجوم خارجي أو غزو أو حركات انفصالية داخلية، وتنمية روح الوفاق والتناغم الوطني بين كل أفراد الشعب الهندي بكل طوائفه وأديانه وطبقاته الاجتماعية، والمحافظة علىٰ الإرث الحضاري والتاريخي والثقافي للأمة الهندية، والمحافظة علىٰ البيئة والموارد والمصادر الطبيعية والمائية والغابات، وعدم التبذير، وحماية الملكية العامة والخاصة، والعمل بروح الأمة الجماعية[١].

٣- المبادئ التوجيهية لسياسة الدولة (Directive Principles of State Policy): والتي تضمنتها المواد ٣٦-٥١ من الدستور الهندي، وبحسب أغلب الخبراء فإن هذه المبادئ العامة تعكس الطبيعة الاشتراكية للدولة الهندية، وتهيأ الظروف أمامها للتدخل لتحقيق درجات مقبولة من العدالة الاجتماعية والاقتصادية، وسد الفجوات، وردم الفوارق الطبقية في المجتمع الهندي المحكوم بفعل توزيع «هيرراكي» اجتماعي معين. وتعد هذه المعايير التوجيهية بمثابة خارطة طريق أخلاقية تسمح للدولة

(١) T. K. Vishwanthan, Constitution of India, Secretary of Government of India, New Delhi, 2004, pp. 12-35.

بالتدخل في شؤون معينة لا سيما أن مقدمة الدستور نصت بوضوح علىٰ أن الأمة الهندية يجب أن تسعىٰ لتحقيق درجات من الأخوة والعدالة والتحرر والحرية. ويمكن أن توضع هذه المبادئ التوجيهية العامة في أربع مجموعات: المجموعة الأولىٰ تشمل علىٰ مبادئ دولة الرفاه من خلال وضع مبادئ لدمقرطة الأرياف من خلال ما يطلق عليه في الهند بنظام "Village Punchayat"، والحق في العمل والتعليم ومساعدة الدولة للفقراء والموعزين وكبار العمر والعاطلين من العمل، وضمان الظروف الإنسانية في مكان العمل ومنع الاستغلال، خاصة للنساء، والحقوق المدنية بمختلف أنواعها. أما المجموعة الثانية فتضمنت حقوق ثقافية تعليمية حيث أصبح التعليم المدرسي إجباري حتىٰ سن ١٤ وهو مكفول لكل الأطفال في هذا العمر، في حين وضعت الدولة مبادئ توجيهية للمحافظة علىٰ الحقوق العلمية والثقافية والتربية التراثية للأقليات، والمرأة والأرياف والمهمشين علىٰ نطاق واسع. أما المجموعة الثالثة فهدفها الاستمرار في الترويج للمبادئ «الغاندية» في «اللاعنف» والسلم الأهلي والديمقراطية المباشرة والمحافظة علىٰ حقوق المهمشين والمسحوقين، وتنمية الصناعة المحلية خاصة في القطاعات الزراعية والعناية بالثروة الحيوانية والغابات والموارد الطبيعية ومحاربة المخدرات والمسكرات والخمور والمتاجرة بالنساء والأطفال. أما المجموعة الرابعة والأخيرة فأطلق عليها أهمية العمل لصالح السلم العالمي والدولي حيث انتشار السلاح

النووي وزيادة الفوارق بين أغنياء العالم وفقرائه وحل الصراعات سلميًا وتجنب الحروب وتقوية المنظمات الدولية ووضع المعايير الأخلاقية لنظام عالمي سياسي واقتصادي يراعي دول العالم الثالث ومحاربة الفقر والعوز والجوع علىٰ مختلف مناطق العالم، وإعادة الاعتبار للعدالة الاقتصادية الدولية، وإعادة هيكلة المنظومة الاقتصادية الدولية بما فيها مؤسسات المال الدولية (البنك الدولي وصندوق النقد الدولي) لصالح الفقراء ودول الجنوب[١].

العلمانية الهندية: علمانية مغايرة

يعتقد علىٰ أصغر انجير Ali Asghar Engineer أن علمانية الهند لها معاني ومضامين وإسقاطات علىٰ الحياة العامة وعلىٰ الحياة السياسية، وأنها ليست العلمانية بالمعنىٰ الغربي الذي فصل الدين عن الدولة، وعزز القومية الشوفينية والتعصب القومي للدولة الوطنية Nation-State ووضع الكنيسة في أصغر حجم لها من حيث التأثير السياسي، ونما العداء للدين وعمق الإلحاد والمادية والاعتبارات الاستهلاكية الوضعية، ووضع الدين في مواجهة غير عادلة مع العلم والعقلانية والسببية. وهذا بالتأكيد ليس كذلك في الحالة الهندية؛ لأن الدين والفلسفات الروحانية تلعب أدوارًا هامة في حياة وفي جزئيات يوميات الشعب الهندي

(١) P. Swapna, The concept of welfare state, International Journal of Business and Management Research, 2011, vol. 1, no. 8, pp. 514-524.

ككل، حيث أن الكتاب الهندي المقدس القديم المعروف بـ Dharma Sambahava يعني باللغة الهندية المحلية احترام كل أديان العالم وعدم التمييز بينها؛ لأنها جميعا تؤمن بأن هناك إله أو خالق وراء نواميس وخفايا الكون ووراء الحياة والموت[١].

وبالتالي كانت الهند قبل قدوم المسيحية والمدارس التبشيرية مجتمع متعدد الأديان والطوائف والتفسيرات اللاهوتية والكهنوتية، ومع مجيء الإسلام والمسيحية إلىٰ بلاد الهند والسند أصبحت الهند أكثر تعددية من المنظور الديني والفلسفي.

بعد الاستقلال وتقسيم شبه القارة الهندية إلىٰ دولتي الهند وباكستان، لجأ نهرو وغاندي إلىٰ نمط جديد من الفلسفة العلمانية حيث تم التشديد علىٰ علمنة الدولة الهندية اعتبار أن عدد كبير من مسلمي الهند فضلوا المكوث والبقاء في دولة الهند، ولم يرتحل منهم إلىٰ باكستان إلا القليل. وبالتالي أصبحت الرؤية الهندية في العلمانية قائمة علىٰ أساس أن التخلص من أو عدم اللجوء إلىٰ الصراعات الدموية الطائفية الدينية في الهند يكمن في فصل الدين بكل أطيافه عن مؤسسات الدولة الهندية؛ لأن أي صراع هندوسي إسلامي سيضعف بالتأكيد ركائز ودعائم الدولة الهندية[٢]. وبالتالي يمكن الاختصار والقول أن العلمانية في الهند تعني علمنة مؤسسات

(١) Asghar Ali Engineer, Secularism in India, WLUML Dossier, No. 28, 2006, p. 74-80.

(٢) Ibid.

الدولة وإبعادها عن الدين والأديان بالمجمل، في نفس الوقت الذي يلعب فيه الدين والفلسفات الروحانية الوضعية أدوار محورية في حياة الهنود العاديين من كل الأديان.

ومن الأسباب الهامة التي دعت النخبة السياسية والقيادية الهندية تذهب باتجاه العلمانية هو إيمانها بالقيم العالمية كالحرية والعدالة والمساواة للجميع بغض النظر عن اللون أو العرق أو الدين أو الطائفة أو الطبقة الاجتماعية، وهذا ما جسده الدستور الهندي في العديد من فقراته ومواده الدستورية حيث التشديد علىٰ الحرية والحق في الحياة والحق في الأمن الشخصي والرعاية والعمل والتعليم وتأسيس الأسرة والزواج وحق ممارسة أو عدم ممارسة أي شكل من أشكال التدين والتعبد والعبادة[1].

وربما هذا له امتدادات فلسفية وعملية في خدمة المشروع النهضوي الهندي المعاصر؛ لأن العلمانية بحسب بعض الرؤىٰ والقراءات السياسية والإستراتيجية، وقفت في وجه القوىٰ الأصولية الطائفية لا سيما في ضوء التأزم الواضح في العلاقة بين الأغلبية الهندوسية والأقلية المسلمة. يضاف إلىٰ ذلك أن آباء ومؤسسي الدستور الهندي أرادوا، من خلال تبني مشروع العلمانية، أن يوجهوا رسالة مفادها أن العلمانية يجب أن تكون نبراسًا للعمل السياسي والحزبي مقابل الأصوليات الدينية والتشدد الطبقي

(١) Paul Brass, Indian Secularism in Practice, Indian Journal of Secularism, Vol. 9, No. 1, Jan-Mar 2006, p. 116-132.

والانغلاق الاجتماعي، ومن أجل منع أي حزب سياسي من التلاعب بعواطف ومشاعر الجماهير الدينية بهدف استغلال ذلك لأغراض سياسية وانتهازية ومصالحيه ضيقة[١].

من هنا يمكن القول أن علمانية الهند مختلفة في الشكل والمحتوىٰ والمضمون عن علمانية الغرب، وأنها أسهمت في النهضة الهندية المعاصرة من خلال:

١- خلق انطباع بين الهنود أنهم أحرار في الممارسات الدينية.

٢- العمل علىٰ سد الفجوات الطبقية والاجتماعية داخل المجتمعي الهندوسي نفسه.

٣- العلمانية تخفف من حدة التوتر بين المسلمين والهندوس.

٤- العلمانية تعمل علىٰ إصلاح علاقات الهند مع العالم الإسلامي علىٰ اعتبار أن الدولة الهندية ليست أصولية هندوسية، وأنها تكفل حق الإيمان وممارسة الشعائر الدينية[٢].

التعددية السياسية والحزبية في الهند:

يمتاز النظام الحزبي والحياة السياسية في الهند بالتعددية

(١) Gurharpal Singh, State and religious diversity: Reflections on post 1947 India, Totalitarian movement and political religions, vol. 5, no. 2, 2004, p. 220.

(٢) J.C Aggrawal and N.K. Chowdhry, Elections in India 1952-1996: constituency, Results and Analysis, Delhi: Shapira, 1996, p. 50-51.

والانفتاح، بحكم بروز عدة أحزاب فاعلة علىٰ الساحة السياسية، خاصة بعد الاستقلال في العام ١٩٤٧م. لكن الملاحظ أيضا أن حزب المؤتمر الوطني الهندي (Indian National Congress) قد سيطر علىٰ مجريات الحياة الوطنية والسياسية في الفترة ١٩٤٧-١٩٧٧م؛ لأنه بقي الحزب الوطني الأول المسيطر علىٰ مفاصل الحكومة والبرلمان ومكونات الحياة السياسية الأخرىٰ لعدة أسباب، منها الإرث الوطني النضالي في مقارعة الانتداب البريطاني، ودوره في استقلال الهند، فضلا عن بروز قيادات تاريخية «كارزماتية» ملهمة لجموع الهنود مثل «غاندي» و«جواهرلال نهرو» و «أنديرا غاندي» و «أبو الكلام أزاد»، وغيرهم. أما في الثمانيات والتسعينيات من القرن الماضي، فبرزت شخصيات قيادية أخرىٰ مثل «راجيف غاندي» و«شراد بوار» و«ناراسيمها راو» و«مان موهان سينغ». بعد منتصف الثمانينات، بدأت الحياة السياسية والحزبية هناك تشهد مجموعة من التحولات أهمها تراجع شعبية حزب المؤتمر الوطني الهندي لعدة أسباب وعوامل ومتغيرات أهمها: غياب أسرة «غاندي» و«نهرو» (اغتيال «راجيف غاندي» في ١٩٩٢م)، وقضايا الفساد والمحسوبيات، وزيادة حجم الصراعات الطائفية، فضلا عن بروز حزب الشعب القومي الهندوسي المتشدد (Bhartya Janata Party-BJP)، ذي الميول اليمينية المعتمد أصلا علىٰ أصوات الطبقة الوسطىٰ الهندوسية والمعادي للمسلمين والأقليات الدينية والطبقية الأخرىٰ. كما كان لظهور عدة أحزاب

بل العشرات منها علىٰ مستوىٰ الولايات الهندية والأقاليم بما صار يعرف بـ(State Party) أو الأحزاب المحلية الصغيرة، لا سيما في ولايات «بيهار» و«اوتار برادش» و«مهاراشترا» و«كارناتكا» و«البنغال الغربية»، مما أضعف بشكل متزايد حزب المؤتمر الوطني، خاصة في وسط الفقراء والطبقات الدنيا والأقليات الدينية والمسلمين[١].

وبالرغم من النتائج المتواضعة التي حققها حزب المؤتمر الوطني في انتخابات العام الحالي ٢٠١٤م، حيث حصل علىٰ ١١٤ مقعد من أصل ٥٤٣ في البرلمان الهندي، وهي النتيجة الأسوأ له منذ عقود في السياسة الهندية، إلا أن بعض الخبراء اعتبروا أن هناك إمكانيات لتجديد ماكينات الحزب من جديد خاصة إذا اعتمد علىٰ عملية مراجعة نقدية داخلية، وتجدد فكر قيادته بزعامة «سونيا غاندي» (زوجة «راجيف غاندي»)، فضلا عن استغلاله لأخطاء الحزب الحاكم الحالي وهو حزب الشعب القومي[٢]. دافع حزب المؤتمر منذ تأسيسه عن مجموعة من المبادئ والاعتبارات الأيديولوجية والسياسية، وعلىٰ رأسها البرلمانية الديمقراطية والاشتراكية الديمقراطية التي سمحت بوجود شكل من أشكال

(١) Steven LaRue (ed.), The India handbook, Fitzroy Dearborn Publishers, London, 1997, pp. 2-10.

(٢) Milan Vaishnav, India's Congress Party: Down but not yet out, Carnegie Endowment for International Peace, May 2014, pp. 1-2.

الاقتصاد الموجه أو المختلط، والذي يفسح المجال أمام الدولة والقطاع العام للتدخل في آليات عمل السوق وعمليات التبادل الاقتصادي من أجل مساعدة الفقراء وتوجيه التنمية والتخطيط. وتزامن ذلك مع تدخل الدولة المباشر في دعم الصناعات الكبيرة وإحداث تحولات في القطاع الزراعي والاستثمار في التعليم والبحث العلمي[١]. وقد رأت العديد من المصادر الصحفية والقراءات السياسية المعاصرة أن تراجع حزب المؤتمر الوطني في آخر عقدين إلىٰ مجموعة كثيرة من العناصر المتشابكة والمتداخلة مع بعضها البعض، منها: المشكلات الداخلية والمحلية التي واجهها من حيث بنائه الداخلي، وعدم قدرته علىٰ توفير كوادر قيادية شابة وجذابة لا سيما بعد وفاة «راجيف غاندي»، وعدم القدرة الواضحة في تلبية طموحات الشعب الهندي في المجالات الاقتصادية خاصة في محاربة الفقر والأمية وغياب العدالة الاجتماعية والاقتصادية[٢].

---

(١) Md. Ayub Mallick, Ideology of the national congress: Political economy of socialism and socialistic pattern of society, Journal of Humanities and Social Sciences, May–June 2013, vol. 12, no. 2, pp. 96-112

(٢) Ashok Desai, The economics and politics of transiation to an open market economy, OECD Development Center, India, 1999, Working paper No. 155. Link:cd-ilibrary.org/docserver/download/ 5lgsjhvj7bg1. pdf?expires14128 36324id =idaccname =guestchecksum =7610AD3 F3FD1 D554D553558 B3 EA.D4AA

الملاحظ من خلال استعراض خريطة الأحزاب السياسية الهندية أن هناك زيادة في أعدادها خاصة علىٰ مستوىٰ الولايات والأقاليم المحلية بسبب زيادة تأثير القضايا المحلية في السياسة، وبسبب تداخل عوامل الدين والطبقة الاجتماعية واللغة المحلية وقضايا التنمية والفقر والبطالة والعلاقة بين الحكومة المركزية في «نيودلهي» والولايات والأقاليم في المناطق النائية. وبحسب بعض الدراسات المهمة التي أجريت في نطاق رصد التغيرات علىٰ أصوات الناخبين الهنود مع بداية القرن الحادي والعشرين خاصة في انتخابات عام ٢٠٠٤م، تبين أن الأحزاب الوطنية الهندية العاملة علىٰ مستوىٰ الوطن (كحزب المؤتمر وحزب الشعب القومي والأحزاب الشيوعية)، قد تراجع مستوىٰ الدعم المقدم لها من قبل الناس العاديين، وتراجع في عدد الأصوات التي تحصل عليها بنسبة ١٣% لصالح أحزاب صغيرة ومحلية تعمل علىٰ مستوىٰ الولايات والأقاليم[١]. ونفس الدراسة أشارت أنه لا يوجد حزب ذو طبيعة دائمة وله نفس درجات السيطرة؛ لأن بعض الأحزاب لها سيطرة واضحة علىٰ مستوىٰ الحكومة المركزية بينما الأخرىٰ -أي المعارضة- تسيطر علىٰ أكثر من ولاية رئيسية في البلاد. في آخر عقدين لم يستطع حزب واحد أن يشكل الحكومة المركزية وحده مما يعني أن الحكومات الائتلافية التي تضم أحزاب كبيرة

(١) K. C. Suri, Parties under pressure: Political parties in India since independence, A paper prepared for State Democracy in South Asia, New Delhi, 2004, pp. 1-10.

وصغيرة، وبقيت هذه الحالة مستمرة حتىٰ انتخابات العام ٢٠١٤م، حيث صعد حزب الشعب القومي بقوة وحصل علىٰ أكثر من نصف مقاعد البرلمان الهندي مما يعني قدرته لتشكيل الحكومة المركزية بمفرده، وهو بالتالي ما يعني نهاية السياسة الائتلافية (Coalition Politics).

لكن مع هذا، وبالرغم من انتصار «بي جي. بي» (BJP) الأخير في وحصوله علىٰ أغلبية مريحة في مجلس الشعب الهندي (Lok Sabha)، إلا أن هذا الحزب لا يستطيع أن يبتعد كثيرًا عن السياسة التحالفية الائتلافية؛ لأنه لا يمتلك أغلبية في مجلس الولايات (Rajya Sabha)، حيث يسيطر حزب المؤتمر الوطني هناك، ولأن حزب (BJP) يدير بعض الولايات في وسط وشمال وغرب الهند مثل «بيهار» و «مهاراشترا» بالشراكة مع أحزاب إقليمية ومحلية صغيرة[١]. ومن أجل التعمق أكثر في مفاصل النظام السياسي، عمد حزب الشعب القومي إلىٰ بناء تحالفات وشراكات قوية مع المجموعات الهندوسية المحلية وأحزابها الدينية المتطرفة مثل (RSS and Shiva Sena)، فضلا عن استغلال المعابد الهندوسية لأغراض سياسية واضحة، كما استغل أيضا القضايا الإشكالية المرتبطة بحزب المؤتمر، ومنها: الترهل الإداري، والفساد المالي، وانتهاكات حقوق الإنسان، والبناء علىٰ ذلك من

(١) Milan Vaishnav, It is too soon to proclaim death of coalition politics, Carnegie Endowment for International Peace, June 14, 2014, pp. 1-3.

أجل استثمار وتوظيف ذلك سياسيًا في أوقات الانتخابات. وأخيرًا لا بد أن نشير في هذه العجالة البحثية أن حزب الشعب القومي قام بتقديم الكثير من خدمات الرفاه الاجتماعي لفئات كثيرة من الشعب الهندي مثل توفير الخبز والأرز للفقراء، وعمل ضمن الفلسفة الاشتراكية الغاندية[١].

تزدحم الخارطة الحزبية الهندية بالعديد من الأسماء للأحزاب الوطنية العاملة علىٰ مستوىٰ الحكومة والمؤسسات الوطنية، وأولىٰ هذه الأحزاب كما أسلفنا كان حزب المؤتمر الوطني الذي تأسس في العام ١٨٨٥م، ولعب دورًا هامًا في حرب التحرير الهندية والاستقلال عام ١٩٤٧م. في آخر ثلاث فترات انتخابية (١٩٩٩ و٢٠٠٤ و٢٠٠٩م)، صوت لحزب المؤتمر الوطني أكثر من ١٠٠ مليون ناخب، أما أيدولوجيًا فإن حزب المؤتمر الوطني يقف مع قيم الديمقراطية والعلمانية والاشتراكية والوطنية المعتدلة، والتناغم الديني والوطني ودعم الأقليات والفقراء، كما أن الحزب تبنىٰ سياسات اقتصادية انفتاحيه مثلت النموذج الليبرالي الاقتصادي الممزوج بآليات تدخلية من جانب الدولة لصالح الفقراء والمعوزين، خاصة بعد العام ١٩٩١م[٢]. في انتخابات العام ٢٠١٤م، وبحسب دراسة «فيشناف» (Vaishnav)، فإن عدد الأحزاب

(١) Joseph Disilvio, Rise of the Bharatya Janata Party, Orater, Spring 2007, vol. 2, no. 1, pp. 17-23.

(٢) Ibid., pp. 20-22.

السياسية التي دخلت الانتخابات قد ازداد بشكل مطرد ليصل عددها جميعا علىٰ المستويات الوطنية والمحلية إلىٰ ما يقارب ٤٦٤، بينما كانت حوالي ٣٦٣ في عام ٢٠٠٩م، والزيادة هنا تعني ترشح أحزاب صغيرة غير معروفة للانتخابات خاصة علىٰ المستويات المحلية بحيث كان لها أجندات محلية أكثر منها وطنية، مما يعكس أهمية القضايا المحلية علىٰ القضايا الوطنية الكبرىٰ، وهذا أيضا يعني تآكل في شعبية الأحزاب الوطنية الكبرىٰ[١].

الهند وسياستها الخارجية المنفتحة علىٰ الجميع:

تعتمد السياسة الخارجية الهندية مثلها مثل السياسات الخارجية للدول الأخرىٰ علىٰ مجموعة من المحددات والعوامل المؤثرة، الداخلية منها والخارجية، وعلىٰ رأس هذه المحددات والعوامل: الموقع، والمساحة، والحدود، والاعتبارات الجيوبوليتيكية، والموارد الطبيعية، والإمكانيات الاقتصادية، والسكان، والقوة العسكرية، ومؤسسات الدولة السياسية والدبلوماسية، والنمو الاقتصادي، والتطور التكنولوجي، والصراعات الحدودية مع الجيران، خاصة مع باكستان والصين وبنغلادش وسريلانكا[٢].

---

(١) Milan Vaishnav, A New era in Indian politics, Carnegie Endowment for International Peace, June 2014, pp. 1-7.

(٢) وليد عبدالحي (تحرير) آفاق التحولات الدولية المعاصرة، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٢م، ص. ٦٧.

في الوقت نفسه الذي تحمل فيه السياسة الخارجية الهندية تقريبا نفس الأهداف والاعتبارات في تعاطيها مع جيرانها الإقليميين وحلفائها وأصدقائها وخصومها الدوليين، ولعل من بين أهم هذه الأهداف المعلنة والمنشودة، حماية السيادة الوطنية والأمن القومي من المخاطر الخارجية والداخلية، وهذا يعني أن السيادة الحقيقية للهند اليوم تتجلىٰ في قدرتها علىٰ الربط بين ما تمتلك من إمكانيات علمية وعسكرية متقدمة، تتيح لها حفظ أراضيها من أي اعتداء خارجي، وتوفر لها معرفة ما يدور حولها وفي إقليمها الأوسع، جنوب آسيا من أحداث وتطورات[1]. كما سعت الهند، وما زالت تسعىٰ إلىٰ إعادة تأطير سياسة السلام وعدم الانحياز التي تبنتها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، إذ كانت الهند بزعامة رئيس الوزراء «نهرو» أحد مؤسسي حركة عدم الانحياز في مؤتمر «باندونغ» في أندونسيا في العام ١٩٥٥م، وما زالت تلتزم سياسة عدم الانضمام إلىٰ التحالفات الدولية والتكتلات العالمية، وتسوية الصراعات سلميا وحل الصراعات بين الدول عبر الآليات والطرق الدبلوماسية وعبر التفاوض والتحكيم واللجوء إلىٰ المؤسسات الدولية خاصة الأمم المتحدة. ومن أهداف السياسة الخارجية الهندية اليوم تنمية قدرات الدولة والتنمية الاقتصادية المتوازنة ومحاربة التخلف والفقر وتنمية علاقات اقتصادية ودولية فاعلة وحماية مصالح الأقليات

(١) محسن خضر، أزمة الجنوب وتأثيرها في مستقبل حركة عدم الانحياز، مجلة عالم المعرفة، العدد ٤٤٤٧، ٢٠٠٠م، ص ص. ٤٩-٥١.

والرعايا الهنود في مختلف دول العالم بما فيها الدول العربية والخليج العربي[1].

وبالرغم من امتلاك الهند للعديد من مقومات الدولة القوية، بما فيها السكان الذين تجاوز تعدادهم المليار والاقتصاد الناشئ والنمو الاقتصادي العالي، خاصة بعد منتصف تسعينيات القرن الماضي، والطفرة التكنولوجية، وامتلاك السلاح النووي، والقدرات البشرية العالية، والاستثمار في البحث العلمي، إلا أنه ومع ذلك فإن الهند تعيش في بيئة «جيوبوليتيكية» و «جيواستراتيجية» غير مستقرة، وتميل إلىٰ التغير اللامنتظم، نظرًا لوقوعها في محيط قوىٰ دولية تمتلك سلاح نووي، ولها طموحات عالمية وإقليمية مثل الصين وروسيا وباكستان وإيران وجمهوريات آسيا الوسطىٰ إلىٰ الشمال. كما أن هناك تداخلات إثنية وعرقية في جنوب آسيا، وصولا إلىٰ غرب آسيا من جهة وجنوب شرق آسيا من جهة أخرىٰ، تمتزج وتتفاعل مع متغيرات أخرىٰ مثل التطرف الديني والأصولية الدينية والمخدرات والإرهاب وتجارة السلاح، مما ينعكس علىٰ علاقات الهند مع بعض هذه الدول، من أفغانستان في الشمال، إلىٰ أندونسيا في الجنوب الشرقي، وصولًا إلىٰ دول الخليج العربي في الغرب، وإيران وجمهوريات آسيا الوسطىٰ.

العلاقة مع الصين مرت بمراحل عديدة بعد الحرب العالمية

---

(١) عبد المنعم طلعت، إدارة المستقبل: الترتيبات الآسيوية في النظام العالمي الجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ص. ١٦٢-١٦٥.

الثانية، حيث كانت الهند من أوائل الدول في العالم اعترافا بجمهورية الصين الشعبية التي خرجت منتصرة في حربها ضد الصين الوطنية- تايوان اليوم والتي دامت ثلاث سنوات ١٩٤٦-١٩٤٩م، قناعة من «نهرو» في تلك المرحلة أن الصين يمكن أن تكون مصدر قوة لدول آسيا وإفريقيا الفقيرة، وداعمًا لها في جهودها لتجاوز القطبية الثنائية، ووضع مسار مستقل لهذه الدول الناشئة تحت مظلة عدم الانحياز.

إلا أن المواجهة العسكرية بين البلدين في العام ١٩٦٢م وضعت حدا لأحلام «نهرو» وأسقطت الأبعاد المثالية في السياسة الخارجية الهندية؛ لأن الصين خلال عدة أيام استطاعت ليس فقط هزيمة الهند، وإنما أيضًا احتلال جزء كبير من أرضها في مرتفعات «الهمالايا» المتنازع عليها بين البلدين. أما في بداية الثمانينيات من القرن الماضي، فكان للتدخل العسكري «السوفيتي» في أفغانستان في العام ١٩٧٩م الأثر الإيجابي في تحسين العلاقات الثنائية بين البلدين حيث شهدت هذه الفترة تقريبًا وصولا إلىٰ تسعينيات القرن العشرين التوقيع علىٰ عدة اتفاقيات بينها مفاوضات علىٰ الحدود والتجارة البينية وغيرها من القضايا الاقتصادية. وبالرغم من التحسن الواضح في العلاقات الثنائية بين البلدين وزيادة التبادل الاقتصادية بينهما، إلا أن هناك منافسة واضحة علىٰ الموارد والتأثير والطموحات الإقليمية والدولية، وستستمر هذه المنافسة في إلقاء ظلاها علىٰ هذه العلاقات في المستقبل المنظور، علىٰ اعتبار أن

كل من الهند والصين يمثلان عملاقي آسيا.

أما العلاقة مع باكستان، فتعد الأهم والأكثر تعقيدًا بحكم أن دولة باكستان الحديثة كانت جزءًا من شبه القارة الهندية، انفصلت عنها في العام ١٩٤٧م، بناءًا علىٰ اعتبارات دينية وجغرافية وبمساعدة السلطات البريطانية التي كانت القوة الانتدابية هناك. وقد خلق هذا الانفصال القسري، وما تزامن معه من حركة نزوح وإراقة دماء، العديد من المشاكل والتعقيدات السياسية بين البلدين خاصة الصراع علىٰ «كشمير»، والمنافسة الإقليمية في جنوب آسيا، إضافة إلىٰ امتلاك كلتا الدولتين للقدرات النووية. وبحسب العديد من المراقبين والمحللين الاستراتيجيين، فإن تأسيس دولة باكستان شَكّل عاملا سلبيًا في مستقبل الهند وطموحاتها العالمية، ورغبتها في التحول إلىٰ قوة دولية فاعلة في عالم متغير ومشتت، وذلك لما لباكستان من دور في عرقلة الوحدة الجغرافية للهند، وتمزيق التعددية الثقافية، وإعاقة لجهودها في توحيد الجماعات المحلية المتفاوتة محليًا وعرقيًا وثقافيًا في بلد مترامي المساحات والجغرافيا. هذا فضلا عن توظيف باكستان لمواردها وطاقاتها الطبيعية والبشرية والعسكرية والاقتصادية لمنافسة الهند علىٰ مقومات التأثير والقيادة في منطقة جنوب آسيا، والتأثير علىٰ علاقاتها المتنامية مع العديد من الدول الإسلامية في غرب آسيا والعالم العربي وجنوب شرق آسيا، من خلال استغلال السياسية الهندية القامعة لطموحات المسلمين في «كشمير»، ولمعاملتها

التمييزية ضد المسلمين في الهند نفسها.

وأخيرًا لا بد من المرور سريعا علىٰ العلاقة الهندية مع الولايات المتحدة الأمريكية حيث شهدت هذه العلاقة نوعا من التباعد والبرود والجفاء خلال فترة الحرب الباردة (١٩٤٥-١٩٩٠م) بفعل عدة عوامل، كان أولها، أن أمريكا كانت وما زالت حليفة بريطانيا العظمىٰ التي استعمرت الهند وأسهمت بتقسيمها، وبفعل التقارب الهندي مع الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية، ولأن باكستان، عدوة الهند اللدود تقاربت بشكل كبير مع الولايات المتحدة، حيث أسهمت هذه الأخيرة في تقوية القدرات العسكرية لباكستان في مواجهاتها المستمرة مع الهند في جنوب آسيا، خاصة في صراعهما علىٰ «كشمير». وقد لوحظ تحسن في العلاقة الثنائية في بداية عقد الثمانيات من القرن الماضي بفعل مجموعة من العوامل، أهمها: غياب «أنديرا غاندي» عن المسرح السياسي الهندي، حيث تم اغتيالها عام ١٩٨٤م علىٰ يد مجموعة سيخيه متعصبة بعد أن أمرت «أنديرا غاندي» القوات الهندية باقتحام المعبد الذهبي للسيخ في ولاية البنجاب الشمالية، كما يعرف عنها أنها كانت امرأة متحيزة لصالح العلاقة مع «السوفيت»، إلا أن بروز شخصية ابنها «راجيف غاندي»، المتعلم في بلاد الغرب والمتزوج من سيدة إيطالية (سونيا غاندي)، غير من بعض المعادلات النمطية السائدة، حيث قام «راجيف» بزيارتين لأمريكا في ١٩٨٥م و١٩٨٧م، كما أن تراجع وتيرة الحرب الباردة وانهيار «الاتحاد

السوفياتي» في مرحلة لاحقة أسهم بشكل مباشر في إعادة رسم ملامح نظام عالمي جديد ألقىٰ بظلال إيجابية علىٰ علاقة البلدين. بعد أحداث أيلول ٢٠٠١م، تعمقت الشراكة الهندية الأمريكية في مجالات عدة بما فيها التعاون العسكري والاقتصادي والشراكة الاستراتيجية، بحيث تم تدعيم هذه الشراكة بحكم حدوت مجموعة من التطورات العالمية والإقليمية، أهمها توجه روسيا لتمتين علاقاتها مع الصين، مما جاء علىٰ حساب العلاقة مع الهند، وبروز الصين كعامل مهدد للاستقرار في آسيا والمحيط الهادي، إلىٰ جانب تنامي ما أطلق عليه بالخطر«الأصولي الإسلامي» المهدد لمصالح البلدين في باكستان وكشمير وأفغانستان، وامتدادا لآسيا الوسطىٰ وغرب آسيا، كما ولعبت إسرائيل دورًا بارزًا في تقريب وجهات النظر الأمريكية الهندية بحكم العلاقة الوثيقة التي تربطها مع الهند اليوم.

السياسة الخارجية الهندية تجاه القضية الفلسطينية ومحدداتها:

كانت أغلب الأدبيات الهندية في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية الإقليمية تركز علىٰ الروابط التاريخية والأخلاقية والمعنوية والسياسية التي تربط الهند بغرب آسيا، خاصة علاقتها مع مكونه العربي في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. من هذا المنظور الهندي التاريخي/ الثقافي، فإن كلا من الهند ودول غرب آسيا عانت من السيطرة الأجنبية والاستعمار البريطاني، حيث انتهجت الحكومة البريطانية سياسة «فرق تسد»

(Divide and Rule) في فلسطين عبر اللعب علىٰ تناقضات العرب واليهود هناك، وهي تلك السياسة التي اتبعتها في شبه القارة الهندية، حيث غذت النعرات الدينية والطائفية والمناطقية بين الهندوس والمسلمين، وكان من نتائج ذلك انقسام الهند إلىٰ دولتي الهند وباكستان في عام ١٩٤٧م، والذي سرعان ما مهد للحرب الهندية-الباكستانية الأولىٰ في العام الذي تلا استقلال الدولتين.

وفي أقوىٰ تصريح له علىٰ هذه السياسية البريطانية في فلسطين، اعتبر «نهرو»: أن بريطانيا العظمىٰ عملت علىٰ ضرب المشاعر اليهودية الدينية الصهيونية ضد المشاعر القومية للعرب في فلسطين، من أجل أن تظهر في عيون كل من العرب واليهود علىٰ أنها تنتهج سياسة توفيقية بين المجموعتين، وأنها تلعب دور الراعي النزيه والمحايد حتىٰ يبقىٰ تأثيرها واضحًا ومستمرًا في فلسطين وفي المنطقة العربية. إنها نفس اللعبة الإمبريالية القديمة التي لعبتها الدول الاستعمارية عبر التاريخ، وقامت بها بريطانيا أيضا في شبه القارة الهندية حيث إنها مسئولة بشكل مباشر عن استثارة العواطف الدينية للهندوس والمسلمين هناك[1]. وسبقت أفكار «نهرو» هذه أطروحات تبناها حزب المؤتمر الوطني الهندي (Indian Congress Party) الذي انتمىٰ له «نهرو» و«غاندي» وقادة العمل الوطني الهندي في مرحلة التحرر الوطني والاستقلال،

(١) Arthur Rubinoff, Normalization of India-Israel relations, Asian Survey, May 5, vol. 5, no. 5, pp. 496-498.

إذ دعا في أكثر من مناسبة اليهود في العالم إلىٰ عدم الانجرار وراء الأهداف البريطانية في فلسطين والقائمة علىٰ أساس استخدامهم كأدوات ووسائل لخدمة مصالحها الإمبريالية[1].

ومن أجل فهم التصورات الهندية للقضية الفلسطينية خاصة في مرحلة الحرب الباردة، لا بد من استعراض المحددات والضوابط الأخلاقية والمعنوية والمصالحية والبوليتيكية الحقيقية التي حكمت السياسة الخارجية الهندية تجاه غرب آسيا والعالم العربي والقضية الفلسطينية؛ لأن فلسطين كقضية بقيت في الأدبيات الهندية جزء من تركيبة العلاقة الثنائية التي ربطت الهند بالعالم العربي؛ ولأن جزءًا كبيرًا من الدعم الهندي للقضية الفلسطينية نابع من عمق العلاقة التي تربط الهند بالدول العربية. ومن هذه المحددات نذكر التالي:

١- كشمير والبعد الإسلامي في الصراع الهندي-الباكستاني: حيث يُشكّل المسلمون في الهند أكبر أقلية تتجاوز ١٥% من السكان، بالرغم من أن المصادر الرسمية الهندية تضع المسلمين الهنود في نسبة أقل من ذلك، حسبما ترىٰ إحصاءات الدولة الهندية التي تعاني من نواقص كثيرة في المنهجيات وطرق الأداء والتعامل مع الأرقام السكانية، فالمسلمون الهنود يعتبروا التجمع الإسلامي الثاني بعد أندونسيا في العالم، وفي هذا السياق عارضت الهند والقيادة الهندية ما قبل الاستقلال الوطني، أي قبل العام ١٩٤٧م

(١) Jawaharlal Nehru, Glimpses of world history, Bombay, Penguin Books 1962, p. 789.

قيام دولة يهودية في فلسطين لاعتبارات أخلاقية وسياسية. أحد هذه الاعتبارات كان للفوز بالصوت الإسلامي داخل حزب المؤتمر الوطني لا سيما أن المسلمين الهنود ارتبطوا معنويًا ودينيًا مع العرب.

وثانيها هو بعد الاستقلال بعام وتقسيم شبه القارة الهندية وقيام الباكستان كدولة إسلامية، نرىٰ الدولتان تدخلان في حربهما الأولىٰ علىٰ «كشمير»[1]. بناء علىٰ هذه الأرضية النظرية المعقدة للصراع في جنوب آسيا، أدركت الهند ومنذ البداية استراتيجية باكستان لعزل الهند وقطع الطريق أمامها لتعزيز علاقتها مع العالمين العربي والإسلامي من خلال الادعاء أن «كشمير» هي قضية إسلامية من الطراز الأول، وأن الهند تقتل المسلمين هناك بناء علىٰ اعتبارات دينية وأيديولوجية. ومع الأخذ بالاعتبار هذا العامل، والروابط التاريخية الطويلة مع العالم العربي، تبنت الهند سياسة خارجية قائمة علىٰ دعم القضايا العربية والإسلامية وعلىٰ رأسها القضية الفلسطينية كجزء من استراتيجية الهند لزيادة مجال نفوذها وتأثيرها (Expanding influence and leverage) علىٰ الدول العربية، ولإثبات أنها لا تعادي الإسلام وقضاياه الإسلامية كما يزعم الباكستانيون. وقد تجلت مثل هذه السياسة الخارجية بوضوح عبر عدم ربط الهند لعلاقات دبلوماسية مع «إسرائيل» المحتلة

(١) D. Chokrabarty and C. Bhattacharya, Congress in evolution, Calcutta, Book Company, 1946, p. 21.

لفلسطين حتىٰ العام ١٩٩٢م، هذا بالرغم من أنها قد اعترفت بالكيان «الإسرائيلي» كدولة في العام ١٩٥٠م[١]. من هنا يمكن القول، إن الصراع الهندي- الباكستاني تداخل فيه الدين والسياسة والعوامل الخارجية والاعتبارات الأيديولوجية والمصالح الجيوسياسية.

٢- معاداة الإمبريالية والاستعمار (Anti-Imperialism and Anti-Colonialism) بكل أشكالهما وصورهما علىٰ اعتبار أنهما من محددات السياسة الخارجية في فترة «نهرو» و «أنديرا غاندي» التي خلفت والدها في رئاسة الحكومة الهندية في فترة الستينيات والسبعينيات. وقد أظهرت الهند عبر قيادتها السياسية في فترة الحرب الباردة كل أشكال الدعم والمؤازرة للشعوب الواقعة تحت الاستعمار والاحتلال بمن فيهم الشعب الفلسطيني، وفي أحد تصريحاته المهمة حول هذا الموضوع رأىٰ «نهرو» أن بناء علاقة إيجابية بين آسيا وإفريقيا من جهة، والدول الغربية بمن فيها أمريكا وأوروبا الغربية من جهة أخرىٰ لن يتم إلا بعد التخلص من كل أشكال الاستعمار والهيمنة الأجنبية علىٰ الدول والشعوب الأخرىٰ[٢].

عدم الانحياز (Non-Alignment) كمبدأ عام صبغ

(١) Sayel Khataybeh, India foreign policy and the Arab world, Print Well، Jaipur, 1993, p. 6.

(٢) Ibid.

السياسة الخارجية الهندية بلون معين خلال فترة الحرب الباردة؛ لأن عدم الانحياز منح الهند مساحة كبيرة للمناورة والمساومة مع الدول الكبرىٰ والمؤثرة عبر الابتعاد عن الأحلاف العسكرية والتكتلات الأيديولوجية، واختيار النهج السلمي لحل الصراعات الدولية والإقليمية. وفي مختلف مؤتمرات حركة عدم الانحياز كان الصوت الهندي دائما عاليًا بالمطالبة بحل الصراع العربي- الإسرائيلي سلميًا ودعوة إسرائيل إلىٰ الانسحاب غير المشروط من الأراضي العربية والفلسطينية، والاعتراف الشرعي بالحقوق السياسية للشعب الفلسطيني، وخاصة حقه في أن يعيش آمنًا في وطنه. وفي القمة السابعة لمنظمة عدم الانحياز التي انعقدت في «دلهي» عام ١٩٨٣م برئاسة «أنديرا غاندي» رئيسة وزراء الهند، شددت علىٰ أن القضية الفلسطينية هي جوهر الصراع العربي- الإسرائيلي، وأن لا حل ممكن للصراع من دون مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي عن الشعب الفلسطيني وعلىٰ قدم المساواة، وانتقد المؤتمر بصراحة ووضوح السياسات الأمريكية الداعمة لإسرائيل في استمرار احتلالها للأراضي العربية والفلسطينية، واستخدامها غير المسئول لحق «النقض الفيتو» في مجلس الأمن لحماية إسرائيل من أية التزامات دولية؛ لأن في ذلك انتهاكًا لميثاق الأمم المتحدة، وتعطيلا لمجلس الأمن ومنعه من ممارسة مسؤولياته في عدم الاستيلاء غير الشرعي علىٰ أراضي الغير بالقوة العسكرية الغاشمة. وتحفظ البيان النهائي للقمة السابعة لحركة عدم الانحياز علىٰ

الرابط الاستراتيجي والتحالف المعلن بين أمريكا وإسرائيل لا سيما بعد خروج مقولة أن إسرائيل هي رصيد استراتيجي لأمريكا وللغرب في منطقة الشرق الأوسط، حيث اعتبر البيان أن هذا التحالف إنما يهدد السلم والاستقرار في المنطقة، ويدعم النزعة العدوانية لإسرائيل، خاصة تجاه جيرانها العرب[1].

١- العلاقات الاقتصادية وعامل النفط (Economic Relations and Oil Factor)؛ لأن الهند كانت وما زالت تحتفظ بعلاقات اقتصادية وتجارية متنامية مع الدول العربية، فالهند مصدر العديد من التوابل والشاي والسكر والأرز والقهوة والملبوسات والسلع الاستهلاكية للدول العربية خاصة الخليجية منها، كما ترتبط الهند باتفاقيات تجارية مع دول مثل مصر والأردن والجزائر والعراق والكويت وتونس، إضافة إلىٰ تشكيل لجان اقتصادية وتجارية مع بعض الدول العربية مثل الإمارات العربية والسعودية. وفي سياق العلاقة الاقتصادية مع العالم العربي، لا بد من الإشارة إلىٰ عامل النفط حيث تعتمد الهند بشكل شبه كامل علىٰ الموارد النفطية القادمة من الدول العربية وإيران. وفي عام ١٩٩٠م وقعت الهند اتفاقيات مع السعودية لتزويدها بـ٣ ملايين طن من البترول الخام، ومع العراق لتزويدها ٢,٢٥ مليون طن، ومع الكويت لتزويدها بما يعادل ١,٥ مليون طن، ومع الإمارات العربية

(١) Charles Heimasah and Surjit Mansingh, A diplomatic history of India, Calcutta، Allied Publishers, 1971, p. 103.

بـ ١ مليون طن من البترول الخام[١]. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار عامل البترول، فإن السياسة الخارجية الهندية قد وضعت لدعم القضية الفلسطينية في المحافل الدولية مقابل ضمان استمرار تدفق البترول من منابع الخليج العربي إلىٰ الأسواق الهندية. وتعد قضية البترول من القضايا المهددة للأمن القومي الهندي لا سيما في حال نشوب حرب بين الهند وباكستان، وتضامن الدول المصدرة للنفط في الخليج مع المجهود العسكري الباكستاني ضد الهند. وفي عام ٢٠١٠م استوردت الهند ما يعادل ٧٠% من احتياجاتها النفطية من الدول العربية الخليجية، مما يجعلها تعتمد بشكل شبه كامل علىٰ موارد الطاقة الخليجية في وقت زاد فيه استهلاك الهند للطاقة، ومشتقاتها بسبب الثورة الاقتصادية والتكنولوجية التي تمر بها[٢]. يضاف إلىٰ ذلك أن دول مجلس التعاون الخليجي هي الشريك التجاري الأول للهند بمعدل تبادل تجاري تجاوز في ٢٠٠٨م ما يزيد عن ١٠٠ بليون دولار أمريكي، حيث وصلت الواردات الهندية من دول الخليج العربي الست إلىٰ ما يزيد عن ٧٩ بليون، مقابل صادرات هندية إلىٰ نفس الدول وفي نفس الفترة قدرت بحوالي ٣٠ بليون دولار[٣].

(١) A. W. Singham and S. Hune, Non-alignment in the age of alignment, The College Press, London, pp. 275-276.

(٢) Ibid, pp. 261-279.

(٣) Ramananda Sengupta, India and its relations with Israel and the Arab world. Link: http//:www.alzaytouna.net/arabic/?c1519=a121577=. (Retrieved 5 June, 2014).

العلاقة مع دولة الاحتلال «إسرائيل»:

دأبت إسرائيل بصورة ثابتة ومتصاعدة علىٰ توثيق أواصر علاقة حميمة متأصلة مع الهند، وصلت إلىٰ درجة الشراكة الاستراتيجية الفاعلة بين البلدين، بالتحديد منذ العام **١٩٩٢**م.

إلىٰ ذلك كان لإسرائيل دوافعها وأسبابها المتعددة والمتشابكة لتعزيز علاقتها الاستراتيجية والعسكرية مع الهند حيث تعتبر الأخيرة القوه السكانية الثانية في العالم لمجموع بشري هائل يزيد عن المليار والمئة مليون، وما لذلك من تبعات وإسقاطات علىٰ القوة العسكرية الهندية، وقدرة الهند علىٰ حماية حدودها المترامية الأطراف، فضلا عن بروز قوة سكانية شبابية يافعة ومتعلمة، لها توجهات علمية وتقنية عالية، حيث تعتبر الهند اليوم أولىٰ دول العالم احتضانًا لشهادات هندسة الكمبيوتر في العالم. وبما أن أعدادًا كبيرة من المهندسين الهنود في الكمبيوتر والإلكترونيات قد أثبتوا أنفسهم ليس فقط في الهند، وإنما رحل عدد منهم للعمل في البلدان الأجنبية والشركات متعددة الجنسيات بما فيها أمريكا وأوروبا الغربية واستراليا وهونغ كونغ وسنغافورة والخليج العربي. وبالتالي تبقي إسرائيل عيونها متيقظة علىٰ هذه القوة المؤهلة والمدربة من أجل الاستفادة من خدماتها وقدراتها في صناعات ومشاريع مشتركة بين البلدين قائمة، علىٰ الأرجح في الهند، وذلك للاستفادة من رخص قوىٰ الأيدي العاملة، وعظم حجم السوق الناشئة، حيث تعد الهند من الأسواق الناشئة الجديدة

(Newly Emerging Markets)، مع الصين والبرازيل والمكسيك وجنوب إفريقيا. كما أن الهند دولة تمتلك موقعًا استراتيجيًا هامًا في العمق الآسيوي، حيث إنها حلقة الوصل بين غرب آسيا والمشرق العربي من جهة، وشرق آسيا، وآسيا-المحيط الهادي من جهة أخرىٰ.

لقد نظرت إسرائيل بكل اهتمام إلىٰ حدود الهند المشتركة مع الباكستان التي هي الدولة الإسلامية الوحيدة صاحبة القدرات النووية المعروفة. فاستراتيجيًا المضي قدمًا في توثيق الشراكة بين الهند وإسرائيل، سيمنح إسرائيل علىٰ المديين المتوسط والبعيد القدرة علىٰ تحييد القدرات النووية الباكستانية في أي صراع مستقبلي بين العرب وإسرائيل، خاصة إذا حدث تغيير مفاجئ في الباكستان ووصلت نخبة سياسية أو عسكرية إسلامية، تؤمن فعلا أن تكون الباكستان جزءً من معادلة الصراع بين العرب والإسرائيليين علىٰ اعتبار أن الباكستان وقدراتها النووية يجب أن تكون في خدمة المشروع الإسلامي الكبير ذي الميول العالمية، فضلا عن أن المشروع النووي الباكستاني نفسه قد تم تمويله بأموال إسلامية خالصة (السعودية والإمارات العربية)، إضافة إلىٰ ذلك موجات الأسلمة والتزمت الديني التي تجتاح الشارع الباكستاني خاصة بعد أحداث سبتمبر من عام ٢٠٠١م، ولاحقًا الاحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق مثيرًا للحفيظة والمشاعر الدينية لدىٰ

الباكستانيين[1]. وخوفا من تحول شعار باكستان حول «القنبلة الإسلامية» (Islamic Bomb)، في إشارة واضحة إلىٰ القنبلة النووية الباكستانية التي يجب أن تكون في خدمة الأغراض الإسلامية والمصالح العليا للأمة الإسلامية، مع أن هذا الشعار تحول مع مرور الوقت إلىٰ مجرد «بروبوغندا» دعائية (Propaganda)، ليس إلا، تهدف من وراءه الباكستان فقط حشد الدعم العربي والإسلامي ورائها لتوظيفه في صراعها المرير مع «الهند الهندوسية».

حقيقة ومن زاوية أخرىٰ تمثل هذه الأطروحة وجهة النظر الهندية التي قامت علىٰ أساس تضخيم القوة العسكرية الباكستانية خاصة بعد حصول باكستان علىٰ قدرات نووية في بداية الثمانينات من القرن الماضي، لكن وجهة النظر الهندية هذه التي عششت في بعض أوساط اليمين الهندي المتشدد، تلاقت بشكل تلقائي وغير مدروس مع الدعاية الباكستانية التي أثارت الجوانب الإسلامية للقنبلة النووية الباكستانية، ليس لهدف، وإنما لاستجلاب الدعم العربي والإسلامي ماديًا وسياسيًا لمشاريع باكستان العسكرية، ولقطع الطريق أمام العلاقات الجيدة بين الهند والعالم العربي، لا سيما بعد الدعم الكبير الذي قدمته الهند للقضية الفلسطينية في المحافل الدولية والإقليمية.

---

(١) Indiastat, Indian official population clock. Link: http//:www.indiastat.com/. (Retrieved 5 June, 2014).

إن فتح القنوات الإسرائيلية الواسعة تجاه الهند في الحقول والمجالات كافة، خاصة العسكرية والعلمية، وزيادة وتيرة الحديث الإسرائيلي عن «الإسلام الراديكالي» و «القنبلة النووية الإسلامية» (الباكستانية)، والإشارات الإسرائيلية الضمنية إلىٰ الدعم السعودي لباكستان النووية، يمكن أن يشكل عامل ابتزاز ومساومة مع السعوديين والخليجيين عمومًا لزيادة درجة علاقات التطبيع مع إسرائيل. فزيادة التعاون الإسرائيلي مع الهند «الهندوسية»، صاحبة القنبلة النووية والصواريخ بعيدة المدىٰ الىٰ جانب التقنية الإسرائيلية، يمكن أن يشكل حساسية كبيرة عند السعوديين؛ لأن أي خلل في ميزان القوىٰ في جنوب آسيا بين الهند والباكستان سيكون له تبعات وأصداء علىٰ منطقة الجزيرة العربية والخليج العربي، لا سيما في ظل الروابط الاستراتيجية والدينية والأيدلوجية التي تربط السعودية ودول الخليج العربي مع «باكستان المسلمة».

انشغلت المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية ومراكز الأبحاث المتنوعة (وخصوصًا مراكز دراسات الأمن في جامعة تل أبيب وجامعة حيفا) بالتركيز علىٰ المخاطر المشتركة التي تهدد كلتا الدولتين من الناحية الجيوبوليتيكية، كما أنها عمدت إلىٰ الرجوع إلىٰ بعض الأدبيات والمصادر الهندية التي تتبنىٰ نفس هذا المسار البحثي والمنهجي، والذي يهدف إلىٰ أن كلا من الهند وإسرائيل يجب أن يمضيا قدمًا وبسرعة في علاقاتهما من أجل قطع الطريق علىٰ «الأعداء المشتركين أو المفترضين». وبالمجمل يمكن تعقب

ثلاثة «أخطار» مشتركة عملت المؤسسة الأمنية والسياسية في إسرائيل، فضلًا عن المؤسسات الأكاديمية علىٰ الترويج لها وهي:

١- «الإرهاب الإسلامي» المتنامي في العالم.

٢- معاداة الجيران لكل من الهند وإسرائيل حيث عداء الباكستان بالنسبة للهند والعرب بالنسبة لإسرائيل.

٣- انتشار أسلحة الدمار الشامل، فقد ظهر تركيز إسرائيلي خاص علىٰ القدرات النووية الباكستانية والبرنامج النووي الإيراني[١].

لإسرائيل أهداف عليا وأجندات إستراتيجية من وراء علاقاتها المتصاعدة مع الهند الصاعدة بسرعة علىٰ سلم النظام الدولي المتجدد، حيث بقي علىٰ رأس الأولويات الإسرائيلية مواجهة واحتواء القدرات النووية الباكستانية التي تتلمس «الثوب الديني الإسلامي»، المتزامن والمترافق مع موجات أصولية دينية متصاعدة في جنوب آسيا خاصة مسرح الباكستان/ كشمير/ طالبان أفغانستان، وامتدادات ذلك حتىٰ القوقاز واسيا الوسطىٰ في ظل محيط إسلامي متعاظم التأثير والتزايد في أدلجته الدينية الأصولية. إن موقع الهند يمنح إسرائيل موطئ قدم استراتيجي في منطقة هامة محاذية لباكستان وإيران وآسيا الوسطىٰ. كما أن السوق الهندية يمكن استغلالها لصالح الصادرات الإسرائيلية المدنية والعسكرية

(١) Israel-Pakistan: Prelude to normalization, Tel Aviv notes, September 2005, no. 146, p. 4.

علىٰ حد سواء. وهذا يمنح إسرائيل فرصة تنويع دائرة خياراتها السياسية والاقتصادية والعسكرية، وتوسيعها في عالم أصبح يميل بوضوح إلىٰ التعددية القطبية، حيث جعلته العولمة معتمدًا علىٰ بعضه البعض (Interdependent World)[1]. من هنا تستغل إسرائيل علاقاتها مع الهند لقطع الطريق أمام أية محاولة تعاون حقيقي مثمر بين الهند من جهة والدول العربية والشرق الأوسطية من جهة أخرىٰ خاصة تلك الدول المعادية لإسرائيل، وهذا يسهم في منع وصول أسلحة أو تكنولوجيا متطورة عبر البوابة الهندية للدول العربية والإسلامية المناوئة لإسرائيل مثل سوريا وإيران والسودان وغيرها[2]. كما يضاف إلىٰ ذلك مجموعة من الأهداف العليا الأخرىٰ، منها:

١- إرسال رسالة واضحة لأمريكا وأوروبا ولبقية القوىٰ الدولية الفاعلة من أن إسرائيل ما زال دورها هامًا في المنطقة والعالم حيث تستغل علاقاتها المتنامية مع العديد من الدول الفاعلة في العالم لاحتواء «الأصولية الإسلامية والإرهاب» (Islamic Fundamentalism and Terrorism) **مثلما**

---

(١) أيمن يوسف وامطانس شحادة، فصل علاقات إسرائيل الخارجية في التقرير الاستراتيجي الإسرائيلي، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، ٢٠٠٨، ص. ٩٠-١٠٠.

(٢) P.R. Kumaraswamy, India and Israel evolving strategic partnership, Mideast Security and Policy Studies, September 1998, no. 40, pp. 1-10.

كان دورها فاعلًا في احتواء «الشيوعية والراديكالية» (Containing Communism and Radicalism).

٢- العمل بجد لإخراج منطقة الشرق الأوسط الكبير من محتواها ومضمونها الحضاري والثقافي العربي/الإسلامي وجعلها منطقة كبرىٰ تدخل عليها قوىٰ جديدة وثقافات متنوعة بهدف إذابة البعد العربي الإسلامي خاصة بعد دخول قوة سكانية هائلة مثل الهند في هذه المنطقة الحيوية.

٣- استغلال العلاقة مع الهند بحكم قربها من المحيط الهندي الذي يشكل منطقة العبور إلىٰ جنوب شرق آسيا وشرقها حيث الموارد والأسواق والتكنولوجيا وما يرتبط مع ذلك من بوابات مائية وجغرافية هامة مثل مضيق باب المندب والبحر الأحمر وقناة السويس وإمدادات البترول والغاز.

٤- استراتيجية إسرائيل من وراء هذه العلاقة القوية مع الهند يهدف أيضا إلىٰ اختراق العالم العربي معنويًا ونفسيًا عبر إقامة علاقات طبيعية مع دولة كانت تعد حتىٰ وقت قريب من أقوىٰ أنصار العرب ومؤيديهم في العالم خاصة مواقفها المتقدمة من القضية الفلسطينية والقضايا العربية الأخرىٰ، ولما للهند من قرب متاخم للحزام الإسلامي الكبير الممتد من جنوب شرق آسيا إلىٰ جنوبها وصولًا إلىٰ الخليج العربي وغرب آسيا[١].

(١) أمين شعبان عبد النبي، إسرائيل والهند: توسيع نطاق الأمن القومي الإسرائيلي، مجلة الدراسات الفلسطينية، صيف ٢٠٠٩، عدد رقم.٧٩، ص ص. ٦٤-٦٥.

وللتأثير في المجتمع الهندي عمومًا، تعتمد إسرائيل عدة وسائل، منها استقطاب الأحزاب اليمينية المتطرفة ذات اللون الهندوسي الأصولي خاصة «حزب الشعب القومي المتشدد» (Janata Party Bharty) وبعض الشخصيات المحافظة والمتشددة داخل حزب المؤتمر الوطني الحاكم، فضلا عن استمالة بعض البرلمانيين الهنود خاصة أولئك الذين زاروا إسرائيل في غير مناسبة، وجمعيات أصدقاء إسرائيل المتواجدة في أكثر من مدينة هندية، ويلاحظ أيضا أن إسرائيل لها نفوذ بين الأكاديميين والباحثين ومراكز الأبحاث والدراسات والصحافة الهندية خاصة الهندوسية اليمينية، فضلا عن منظمات المجتمع المدني والنقابات المهنية واتحادات الأعمال.

الفصل الثالث

الاقتصاد الهندي

من اشتراكية «نهرو» ومركزية التخطيط

إلى الإصلاحات والاندماج في الاقتصاد العالمي

«جواهر لال نهرو» (Jawaharlal Nehru) والروح المركزية:

مباشرة بعد حصولها علىٰ الاستقلال السياسي في العام ١٩٤٧م، تبنت الهند نموذج «الاقتصاد المختلط» (Mixed Economy) الجامع لسمات الرأسمالية والاشتراكية في آن واحد، وذلك تحت تأثير مبادئ «نهرو» في السياسة الخارجية، ونمط الاقتصاد الاشتراكي القائم علىٰ التخطيط الاقتصادي المركزي. والتخطيط بمعانيه الواسعة ومضامينه الفعلية يعني تطوير برنامج عمل[١]، لتحويل الواقع المعاش إلىٰ سياسة اقتصادية «براجماتية» قابلة لإحداث تحولات فعلية علىٰ أرض الواقع. ومعروف أن السياسات الاقتصادية تعتمد في أحد جزئياتها، علىٰ تصورات وانطباعات صانع القرار السياسي. ومن هنا، فإن أية دراسة للسياسة الاقتصادية أو منظومة التخطيط يجب أن تأخذ بعين الاعتبار منظور الاقتصاد السياسي علىٰ اعتبار أن الهند في فترة ما بعد الاستقلال تبنت الاقتصاد المختلط كمنظومة اقتصادية والديمقراطية كفاعل ومنظومة للحياة السياسية. ومن أجل وضع رؤية اقتصادية للهند في فترة ما بعد الاستقلال أنشأ حزب المؤتمر الوطني الهندي في العام ١٩٤٧م لجنة أو هيئة التخطيط (Planning Commission) من أجل

(١) Nurual Hasan, Nehru's contribution to the shaping of the international outlook of India's freedom movement, in Nehru, The man and his vision, ann International Seminar Organized by UNESCO and Government of India, September 1989, pp. 1-10.

تضمين السياسيات الاقتصادية والتنموية في أجندة بناء الدولة والأمة في الهند. وقد تضمن نموذج «نهرو» في السياسة الداخلية والخارجية والبناء الاقتصادي مجموعة من المبادئ أهمها معاداة «الإمبريالية» والاستعمار وعدم الانحياز والديمقراطية الاشتراكية والتخطيط المركزي، وغيرها من المبادئ الوسطية التي استقاها «نهرو» من الرأسمالية والاشتراكية والتجربة الهندية[١].

في تقييمنا لفكر نهرو الاقتصادي العام وارتباطه مع التخطيط والتنمية، فإننا نستطيع أن نقول إن رؤية «نهرو» كانت منصبة في تلك الفترة علىٰ الصناعة والعلوم والتكنولوجيا والبنية التحتية، إضافة إلىٰ إدراكه للبنية الفوقية والزراعة والنظام الاجتماعي؛ لأن إحداث تحولات اقتصادية يتطلب تحولات متوازية اجتماعية وثقافية، كما أن «نهرو» أظهر إيمانًا شديدًا بأهمية استخدام العلم والعقلانية لمعالجة مشاكل الهند الكثيرة. وعند استعراضه لأهمية التكنولوجيا، فقد أظهر نهرو حساسية كبيرة لمحورية التكنولوجيا والعلوم لخدمة التنمية الزراعية والصناعية والتربوية والتعليمية، كونها تسهم في زيادة الدخول والثروة وتحسين الظروف الاقتصادية، وتخلق ظروف لتحول الهند إلىٰ دولة مكتفية ذاتيا من دون اللجوء إلىٰ الخارج، خاصة فيما يتعلق بالأمن الغذائي،

(١) N. P. DasGupta and others, Nehru and planning in India, Proceedings of the National Seminar on Pandit Nehru, Planning commission and planned development, Indian Center for Socialist Studies, Ghaziabad, 1993, pp. 29-79.

فضلا عن إيمان «نهرو» أن الهند والعلماء الهنود يجب أن يكون لهم إضافات نوعية وأصلية للتكنولوجيا المستوردة من الخارج خاصة في مراكز الأبحاث والجامعات[١].

عند تعريفه لنموذجه في التخطيط، وضح «نهرو» بما لا يدع مجالا للشك أن التخطيط بالنسبة له خاصة في مظاهره الاقتصادية والسياسية والإنتاجية إنما يعني أنه عملية منظمة لها طبيعتها ومضامينها ومظاهرها، ولها أهدافها العامة والخاصة، ومعيقاتها الاجتماعية والاقتصادية والمجتمعية، وأن التخطيط الجيد يتطلب إدراك الأهداف الصحيحة والواقعية القابلة للتطبيق والتحقيق علىٰ أرض الواقع، مقابل إدراك الإمكانيات والقدرات والطاقات والموارد المتاحة من أجل تحقيق هذه الأهداف علىٰ الوجه الأكمل[٢]. كما أن بعض الفقرات الدستورية قد عكست فلسفة التخطيط في الهند وأهميته مجتمعيا ووطنيا وتنمويا، ومنها أن التخطيط الاقتصادي والاجتماعي متزامن مع بعضه البعض وأن إيجابيات الأول تنعكس إيجابا علىٰ الثاني، والعكس بالعكس، وهذا ما كان واضحا في الدستور الذي حض علىٰ علاقة تكاملية انسجامية بين الحكومة المركزية وحكومات الولايات فيما يتعلق بالتنسيق في وضع رؤىٰ تنموية اقتصادية واجتماعية استنهاضية علىٰ

(١) Ibid., p. 55-60.

(٢) Ramesh Singh, Indian economy for civil services examinations (sixth edition), McGraw Hill Education Offices, New Delhi, 2014, pp. 42-58.

نطاق واسع، كما أن العديد من فقرات الدستور بينت أن المنظومة الإدارية الوطنية يجب تسهيلها لغرض إحداث التنمية المتوازنة، وتعزز كل ذلك مع نموذج دولة الرفاه والحقوق العامة والواجبات المجتمعية اتجاه الدولة والتنمية بشكل عام[١].

ومعروف أن غاندي تحدث عن أولويات الهند الاقتصادية في برنامجه المعروف (Hind Swaraj)) أو (Indian Home Rule)، والتي يعد من أهم عناوينها الاقتصادية الاستقلال الاقتصادي والاعتماد علىٰ الذات والاكتفاء الذاتي، تنمية المناطق الريفية والتمكين الاقتصادي والإدارة المحلية اللامركزية. أما «نهرو» علىٰ الجانب الآخر، فكان همه الأول علىٰ الصعيد الاقتصادي، تحديث الهند علىٰ كل المستويات من أجل اللحاق بالغرب وتطوره السياسي والاقتصادي، والسير باتجاه التنمية الاقتصادية، ولهذا كان التصنيع علىٰ نطاق واسع أحد المفاتيح الاقتصادية المهمة التي اعتمد عليها، رافعًا شعار: «التصنيع أو الاندثار» (Industrialize or Perish)؛ ذلك أن انطباعه الشخصي أن تبني النموذج الغربي في التنمية الاقتصادية والتصنيع يسهم في نهاية المطاف من التخلص من مشاكل الفقر والبطالة والجهل والأمية ومحاربة الفوارق الاقتصادية وإطعام الجياع[٢].

---

(١) Ibid., pp. 58.

(٢) Suranjan Das, The Nehru years in Indian politics, Edinburgh Papers in South Asian Studies, 2006, no. 16, pp. 1-17.

كانت تصورات «نهرو» واضحة بالنسبة لأهداف هيئة الانتخابات الوطنية التي تم تأسيسها بأوامر من نهرو نفسه؛ لأن مثل هذه الهيئة تخدم عملية التنمية في البلاد عبر مساهمتها في معالجة الفقر وتوليد فرص العمل والسيطرة علىٰ الفوارق الاقتصادية والطبقية والتمييز الاقتصادي والاعتماد علىٰ الذات كانت والتحديث، وما إلىٰ ذلك من أهداف وأغراض مهمة لمحاربة الآفات الاقتصادية والاجتماعية في بلد كبير مثل الهند.

الملامح العامة لنموذج «نهرو» في التنمية الاقتصادية:

برز نموذج «نهرو» في التنمية الاقتصادية كرافعه للاقتصاد الوطني الهندي في منتصف خمسينيات القرن الماضي لا سيما في فترة وضع اللمسات النهائية للخطة الخمسية الثانية. وقد استمر هذا النموذج حتىٰ منتصف الثمانينيات من القرن الماضي لا سيما مع رحيل «أنديرا غاندي»، وقدوم ابنها «راجيف غاندي» إلىٰ المشهد السياسي الهندي. باختصار كان نموذج «نهرو» يعتمد علىٰ تلبية التصدي للأهداف بعيدة المدىٰ للتنمية، وليس التركيز علىٰ الأهداف القصيرة المدىٰ. ومن هنا كان بأن ركزت هذه الاستراتيجية علىٰ القضايا والأولويات التالية:

١- مستويات عالية من التوفير والادخار من أجل تشجيع الاستثمار لمستويات عليا.

٢- الانحياز لصالح الصناعات الثقيلة لتنمية وبناء البنية

التحتية الاقتصادية لمستقبل أفضل ومنافس.

٣- تبني السياسيات الاقتصادية الحمائية (Protectionism Policies) بهدف حماية المنتج المحلي والصناعات الناشئة.

٤- تشجيع بدائع الاستيراد من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي.

٥- توسيع فرص العمل والحياة للطبقات المهملة (Neglected Classes) في مجتمع هندي طبقي تراتيبي[١].

وبهذا المعنىٰ الواسع، فقد مثلت رؤية «نهرو» للديمقراطية الاشتراكية وملحقاتها من الاقتصاد المختلط والتخطيط المركزي شكلًا من أشكال نقطة التحول من فكر «غاندي» القائم أصلا علىٰ الاعتماد علىٰ الذات واللامركزية الإدارية والسياسية، إلىٰ نموذج آخر مرتبط بالتخطيط المركزي وتدخل الدول في قطاعات الإنتاج، وتوزيع الموارد المتاحة، وتحديد الأولويات وتوجيه الاستثمار والادخار والإنفاق العام. العديد من المراقبين السياسيين والمحللين والخبراء الاقتصاديين دافعوا عن وجهة نظر «نهرو» فيما يتعلق بالتنمية الاقتصادية خاصة أنها أعطت أولويات للقطاع الزراعي والتنمية الريفية وبناء المشاريع الإنتاجية الصغيرة والصناعات المعتمدة أصلا علىٰ الزراعة، والتي يمكن تسويقها في الأسواق المحلية الكبيرة، مع توافر موارد أولية وبشرية وقوىٰ

(١) I. S. Gulati, New economic policy and self reliance, Economic Development and Quest for Alternatives, New Delhi, 1997, pp. 141-148.

عاملة رخيصة وتواقة للعمل والإنتاج[1].

وفي هذه العجالة البحثية لتوصيف هذا النموذج التنموي، لا بد من الإشارة إلىٰ أن رؤية «نهرو» للاقتصاد الهندي في تلك الفترة لم تكن تعني تبني الاشتراكية الكاملة كنمط إنتاج علىٰ شاكلة «الاشتراكية السوفياتية» من خلال ملكية الدولة الكاملة لوسائل الإنتاج، وإنما كان التركيز أكثر علىٰ حساسية «نهرو» نحو العدالة الاجتماعية والمساواة، والتوزيع الجيد للدخل القومي ووضع البرامج والسياسيات الاقتصادية والاجتماعية لإزالة الفوارق الطبقية بين مختلف الشرائح في المجتمع الهندي. وهذا أيضًا يعني أن فكر نهرو كان واضحًا في استخدامه للقطاع العام والمشاريع العامة الضخمة لإحداث تحولات كبيرة في الاقتصاد الهندي عبر تدخلات الدولة المدروسة والمنظمة في الإنتاج والاستهلاك وإدارة السوق العام والإنفاق والاستثمار. وليس غريبا بناء علىٰ هذا التوجه أن الفترة الأولىٰ من التخطيط الاقتصادي كانت محكومة بالتركيز الشديد علىٰ تأميم البنوك ودعم العملة الوطنية والتصنيع والتنمية الريفية والزراعية[2].

التخطيط المركزي كسمة من سمات الاقتصاد الهندي الموجه:

ركزت الخطة الخمسية الأولىٰ (١٩٥١-١٩٥٦م) علىٰ قطاعين

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

رئيسين من الاقتصاد الهندي، وهما: الزراعة والصناعة، ففي القطاع الزراعي، عملت الحكومة الهندية منذ أيام نهرو، وانتهاء بسنوات «أنديرا غاندي» في الحكم علىٰ دعم القطاع الزراعي بشكل مكثف علىٰ اعتبار أن أكثر الهنود يعيشون في الأرياف والمناطق النائية غير المحظوظة بأولويات التنمية. وفي هذا المجال عمدت الحكومة الهندية علىٰ دعم هذا القطاع من خلال توفير المعلومات التوعوية التثقيفية للمزارع الهندي البسيط الجاهل وغير المتعلم حول أساليب الزراعة، ووفرت له القروض الزراعية من خلال بنك زراعي متخصص بالإقراض الزراعي، فضلا عن البذور والري وتوفير المياه[1].

أما في قطاع الصناعة فأخذ بعين الاعتبار أن الهند بلد موارده الطبيعية محدودة خاصة المعادن والأحجار الثمينة، وفيه أعداد كبيرة من البشر والسكان، وعليه تبنت الحكومة الهندية خاصة في سنوات رئيس الوزراء «نهرو» خطة الاستثمار الحكومي المنظم في قطاع الصناعات الكبيرة والثقيلة، فضلا عن استثمارها في الصناعات الصغيرة المنتشرة في الأرياف والمناطق المهمشة، إيمانا منها أن الصناعة تسهم في زيادة الدخل القومي وتخلق فرص العمل، إضافة أنها تحافظ علىٰ استقلالية الخيارات السياسية والاقتصادية لبلد كبير وجرار مثل الهند. وخلال السنوات التي تلت

(١) Jerome Cohen, Problems of economic development in India, Economic Development and Cultural Change, 1953, vol. 2, no., 1, pp. 196-205.

الخطة الخمسية الأولىٰ، كان نصيب الصناعة من العناية والاستثمار الحكومي أكثر بضعفين من مثيلتها الزراعة. وبما أن نسبة كبيرة من السكان تعيش تحت خط الفقر، فقد عملت الحكومة إلىٰ الاستثمار في القطاعات الحيوية والحساسة، ووضعت القيود في الوقت نفسه علىٰ الاستهلاك من قبل طبقة الأغنياء والأثرياء، ذلك كون استهلاك هذه الطبقة يعني السيارات والأدوات الكهربائية، مما يعني الاستيراد من الخارج، والذي لم تفضله الحكومة في تلك المرحلة، وبالفعل تم وضع قيود علىٰ استيراد السيارات والسلع الاستهلاكية الفاخرة الأخرىٰ[1].

وكما سبق وذكرنا فإن الخيارات الاقتصادية للحكومة الهندية خاصة في فترة رئيسة الوزراء، «أنديرا غاندي»، الابنة الكبرىٰ لرئيس الوزراء «جواهر لال نهرو»، بقيت حبيسة الاستقلالية والسيادة السياسية في فترة الحرب الباردة بين القوتين الدولتين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي)، لذلك سعت «أنديرا غاندي» إلىٰ وضع خطة إضافية للاستثمار في الصناعات الكبيرة والثقيلة لا سيما الفولاذ والصلب والحديد والسكك الحديدية والكيماويات والتلفونات والطاقة والراديو والإذاعة والتلفزيون، وبناء السدود ومحطات الري والاستثمار في قطاع الطاقة المتجددة وغير المتجددة. وهذا بطبيعة الحال تطلب المساعدة المالية والتقنية والفنية من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وتشبيك لعلاقات

(١) Ibid., pp. 200-203

اقتصادية قوية مع دول مثل ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفياتي ومنظومة الدول الاشتراكية في شرق ووسط أوروبا. وهذا يتضمن بكلمات أخرىٰ تضخم القطاع العام زيادة تدخل الدولة في توجيه الاقتصاد الوطني وتحديد الأولويات والخيارات الاقتصادية بناء علىٰ واقع سياسي وجيو استراتيجي معقد عاشته الهند بعد الاستقلال الوطني العام[١].

اعتمد النموذج التنموي الهندي خلال فترة ما بعد الحرب الباردة علىٰ المعلومات الإحصائية الدقيقة، خاصة نظريات الإحصائي الهندي الشهير «ماهالانوبيز» (Mahalanobis) الذي ارتبط بعلاقات شخصية ومهنية مع رئيس الوزراء «نهرو». كانت التصورات الهندية الاقتصادية في تلك المرحلة تؤمن أن الادخارات الشخصية والحكومية والعامة إنما تخدم أغراض التنمية والاستثمار في التصنيع علىٰ نطاق عال وواسع، ولهذا كانت الموجات الأولىٰ من السلع الرأسمالية (Capital Goods) مرتبطة بالاستثمارات المالية في قطاعات تحديثية وبناء التقنيات أكثر من معالجتها لقضايا التوظيف والعمالة[٢].

---

(١) Surendra Kaushik, India's evolving economic model: A perspective on economic and financial reforms, American Journal of Economic and Sociology, January 1997, vol. 56, no. 1, pp. 69-82.

(٢) Ronald Inden, Embodying God: From imperial progresses to national progress in India, Economy and Society, 1995, no. 24, pp. 245-278.

وبما أن الهند من أكثر دول العالم اكتظاظا بالسكان، كان «نهرو» يؤمن من خلال نموذجه التنموي المسيطر عليه من قبل الدولة والقطاع العام، أن معالجة مشاكل الفقر والبطالة والمجاعة والتخلف الاجتماعي والعلمي والمجتمعي والانفجار السكاني خاصة في وسط الفقراء والفلاحين والأرياف، إنما يمكن حله من خلال آليتين: الآلية الأولىٰ عبر طلب المساعدات الاقتصادية والزراعية من الخارج لا سيما الولايات المتحدة وأوربا واستراليا والاتحاد السوفيتي والمؤسسات المالية الدولية، وأما الآلية الثانية فكانت متعلقة بالإصلاحات الزراعية، ورزمة التشريعات والقوانين الناظمة لامتلاك الأراضي الزراعية خاصة غير المستخدمة أو الأرض البور منها، حيث عملت رزمة الإصلاحات تلك إلىٰ تفكيك جزء من منظومة الإقطاع وإعادة هيكلة القطاع الزراعي بشكل يسمح لفقراء الفلاحين بتملك أراض زراعية صالحة للفلاحة والاستصلاح، مما انعكس إيجابا علىٰ الإنتاج الزراعي، وتسبب بزيادة إنتاج الغذاء، خاصة القمح والأرز والذرة والمانجا والفواكه الأخرىٰ والخضروات[1].

وضعت «أنديرا غاندي» الخطط والرؤىٰ المختلفة لمعالجة الأوضاع الاقتصادية في الهند في فترة حكمها (١٩٦٦-١٩٨٤م) في فترة ما بعد وفاة والدها «نهرو» في العام ١٩٦٢م، حيث عانت

(١) V.M. Dandekar and N. Rath, Poverty in India: Dimensions and trends, Economic and Political Weekly، January 1971, vol. VI, no. 1, pp. 25-48.

الهند مباشرة من ضحالة الإنجازات علىٰ صعيد التنمية المستدامة وضعف العملة الوطنية وزيادة الإنفاق العسكري في أعقاب الحرب مع باكستان (١٩٦٥، ١٩٧١م)، والمواجهة العسكرية مع الصين في العام ١٩٦١م. كم أن المخططين الاقتصاديين والإحصائيين المقربين من «أنديرا» حددوا بروز ثلاث طبقات اقتصادية اجتماعية مصالحية جديدة سيطرت علىٰ الاقتصاد الهندي في فترة (١٩٧٠-١٩٨١م)، وهي تضم طبقة أغنياء المزارعين والإقطاعيين المسيطرين علىٰ الإنتاج الزراعي والأراضي، وطبقة البرجوازية الصناعية المدينية (نسبة إلىٰ المدينة)، المسيطرة علىٰ القطاع الصناعي، وطبقة موظفي الدولة «والبيراقراطيين والتكنوقراطيين» وكبار موظفي القطاع العام المشرفين علىٰ إدارة الدولة للقطاعات الإنتاجية، خاصة الزراعة والصناعة والخدمات والتعليم العالي والتكنولوجيا وأجهزة الدولة الشرطية والحقوقية والأمنية، حيث ثبت في أكثر من واقعة ارتشاء بعض هؤلاء الموظفين الكبار من قبل أغنياء الفلاحين والمزارعين وأصحاب رؤوس الأموال في المدن[١].

كما وارتبط اسم «أنديرا غاندي» مع «الثورة الخضراء» (Green Revolution) في الأرياف والتي كانت السبب الأول في زيادة إنتاج الهند من القمح والأرز والمنتجات الزراعية الأخرىٰ

(١) I. Bhagwati and T.N. Srinivasan, Reform of industrial and trade policies, Economic and Political Weekly, September 1991, no. 37, pp. 2143-2147.

خاصة في ولايات شمال الهند ووسطها وغربها مثل: (West Bengal, Punjab, Haryana, UP, MP and Bihar) حيث عمدت الحكومة الهندية إلىٰ مساعدة القطاع الفلاحي عبر التشريعات القانونية والإصلاحات الزراعية ورزمة المساعدات الأخرىٰ التي اشتملت علىٰ استثمارات كبيرة في الري وتقنياته وبناء السدود، وتوليد الطاقة الكهربائية والطاقة المتجددة والإقراض الزراعي وتحسين البذور والأسمدة والمكنكة الزراعية، وما إلىٰ ذلك من تحسينات أخرىٰ[١].

يمكن تصنيف فترة «راجيف غاندي» (١٩٨٤-١٩٩١م) علىٰ أنها فترة انتقال الهند إلىٰ منصات جديدة في اللامركزية الإدارية والمناطقية، والتكنولوجيا في خدمة الإنسان، ونمو في المصادر والموارد اعتمادا علىٰ الزراعة، الإصلاحات الاقتصادية، وتحول الهند إلىٰ قناعة جديدة علىٰ أنها القوة الصاعدة الجديدة في السياسة الإقليمية والدولية، وفي مختلف المجالات والميادين[٢]. من هنا صار جل اهتمام الرجل منصبًا علىٰ أهمية رفع مستوىٰ استخدام الموارد المالية والبشرية المتوفرة من خلال تخفيف حدة سيطرة الدولة علىٰ الصناعات الكبيرة، وفتح المجال أمام المبادرات

(١) Stuart Corbridge, The political economy of development in India since independence, in Paul Brass, Handbook of South Asian politics, Rutledge, London, 2009, pp. 1-30.

(٢) Dilip Mohite, India the fourth great power, Swords and ploughshares series, University of Illinois, spring 1993, vol. vii, no. 3, pp. 7-9.

الفردية والقطاع الخاص، وتخفيف التكاليف المفروضة علىٰ رأس المال، وكل ذلك من أجل تحسين الأداء الاقتصادي ورفع مستويات النمو الاقتصادي والتنمية بصورة عامة. كما وقف في الوقت نفسه مع تفعيل نظام المحليات في الهند المعروف بـ(Panchayat Raj) حتىٰ تتمكن القرىٰ والأرياف من تطوير قدراتها الإدارية وصناعاتها الصغيرة المعتمدة أصلًا علىٰ الزراعة وعلىٰ ما تنتجه القرية والناحية المحلية.

الإصلاحات الاقتصادية في الهند:

تشير أغلب التقارير والدراسات والأبحاث إلىٰ أن مسيرة الإصلاحات الاقتصادية في الهند ترجع إلىٰ فترة ما بعد العام **١٩٩١**م، حيث كان لنهاية الحرب الباردة في العلاقات الدولية واغتيال راجيف غاندي، وصعود حكومة حزب المؤتمر بزعامة «ناراسيمها راو» ووزير ماليته «مانموهان سينغ» الدور الأكبر في إحداث هذه التحولات الإستراتيجية علىٰ صعيد الاقتصاد الهندي وعلاقات الهند الاقتصادية الخارجية. لكن في الوقت نفسه معروف أن رئيس الوزراء الهندي «راجيف غاندي» كان قد بدأ مسيرة الإصلاحات الاقتصادية وإن كان ذلك علىٰ نطاق أضيق، حيث أبدىٰ ترحيبًا بالاستثمارات الأجنبية وبدأ بتحديث الاقتصاد الهندي من خلال التركيز علىٰ قطاعات الاتصالات واستخدام الحواسيب الضخمة العملاقة، ونسج علاقات جيدة مع الدول الغربية، إضافة إلىٰ انفتاحه علىٰ قوىٰ السوق والمنافسة الاقتصادية، وقيامه بتحرير

جزء من تجارة الهند الخارجية[١].

ومن العوامل الأخرىٰ الدافعة باتجاه «اللبرلة» الاقتصادية وتسيّد الإصلاحات الاقتصادية، المقاعد الأولىٰ في الفكر الاستراتيجي الهندي، في بداية العقد الأخير من القرن العشرين. ففي الفترة ١٩٦٦-١٩٨٩م، كانت نسبة النمو الاقتصادي ما يعادل ٤% من الناتج المحلي الإجمالي، ونمو نصيب الفرد لم يتجاوز ٢,٢%، في حين كانت نسبة نمو الناتج المحلي الإجمالي خلال هذه الفترة ما يعادل ٥%، أما احتياطي الهند من العملات الصعبة فارتفع من ٣٦٥ مليون دولار في العام ١٩٦٦م إلىٰ ٤ مليارات دولار في العام ١٩٩٣م. في نفس الوقت الذي ارتفعت فيه الواردات من ٣ مليارات إلىٰ ما يقارب ٢٦ مليار. أما العجز في الميزان التجاري فوصل إلىٰ ٢,٦% من الناتج المحلي الإجمالي علىٰ اعتبار أن الصادرات وصلت إلىٰ ١٨ مليار دولار أمريكي، أما الواردات فارتفعت إلىٰ ما يقارب ٢٤ مليار دولار لنفس الفترة الزمنية[٢].

أسهمت «اللبرلة» الاقتصادية والإصلاحات المالية المختلفة التي عممتها التجربة الهندية إلىٰ بروز نموذج هندي علىٰ شاكلة نماذج شرق آسيا التنموية خاص لعملية التحولات الاقتصادية،

(١) S. K. Kaushik and L. Silk, India's evolving economic model, Economic Policy, Fall 1992, pp. 17-23.

(٢) Ganesh Kumar, Some comments on the debate on India's economic development, The Economic Journal, vol. 71, no. 282, pp. 436-446.

حيث وقفت مجموعة من المعايير والمؤشرات لصالح تبني هذه الرزمة من الإصلاحات، أهمها: زيادة في نسبة النمو الاقتصادي علىٰ المستوىٰ الوطني العام، كما أن الإصلاحات وتحرير نظام الاستيراد والتصدير مع الخارج هيأ الفرص أمام الشركات الهندية للوصول إلىٰ التكنولوجيا المتطورة ورأس المال الخارجي الباحث عن فرص للاستثمار في أرض عذرية جديدة، كما أن هذه الأجواء الجديدة مكنت الشركات الهندية، خاصة تلك العاملة في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والكمبيوتر؛ لتخوض غمار تجارب المنافسة مع شركات أجنبية، وهو ما حسن من فرصها للوصول إلىٰ أسواق عالمية جديدة[1].

بالإضافة إلىٰ السمات والميزات سالفة الذكر بخصوص تداعيات الانفتاح الاقتصادي علىٰ الهند قبل أكثر من ربع قرن، فإن هناك ثمة أصداء ايجابية أخرىٰ تمكن الباحثان من رصدها وتلمسها علىٰ قطاعات مختلفة منها:

أولًا: أن القطاع غير المنظم في الهند استفاد من التكنولوجيا المتطورة خاصة في مجال الاتصالات، حيث انعكس ذلك علىٰ منظومة زيادة الإنتاج علىٰ وجه العموم.

ثانيًا: زيادة إنتاج بعض السلع والخدمات من قبل القطاع

(١) A. Kotwal, B. Ramaswami and W. Wadhwa, Economic liberalization and Indian economic growth: What's the evidence? Journal of Economic Literature, 2011, vol. 4, no. 49, pp. 1152-1200.

المنظم واستهلاكها علىٰ نطاق واسع من قبل القطاع غير المنظم، مما أدىٰ إلىٰ زيادة في أجور العمالة في مختلف القطاعات، والحد من البطالة المتفشية.

ثالثًا: أدىٰ تحسن أجور العمال في مختلف القطاعات الإنتاجية، المنظمة وغير المنظمة إلىٰ زيادة الاستهلاك والادخار في نفس الوقت، وتحريك الماكينة السوقية وزيادة في الاستثمارات المحلية[١].

المشهد الاقتصادي الهندي ما بعد إصلاحات ١٩٩١م:

لا شك أن انهيار «السوفييت» أكبر شريك تجاري واقتصادي للهند، ونشوب حرب الخليج الثانية (١٩٩١م) وانتهائها لصالح أمريكا وحلفائها في تلك الحرب، وما ترتب علىٰ ذلك من ارتفاع حاد في أسعار النفط الخام، كله قد خلق أزمة حادة للهند، دفع بها تجاه صندوق النقد الدولي (IMF-International Monetary Fund)، لاستقراض (١,٨) بليون دولار أمريكي، بشروط ذلك الصندوق، والتي كان علىٰ رأسها إعادة هيكلة وجدولة الاقتصاد الهندي[٢] [٣].

---

(١) B. Pulapre and M. Parameswaran, Understanding economic growth in India: A Perquisite, Economic and Political Weekly, 2007, vol. 42, no. 27-28, pp. 2915-2922.

(٢) Arunabha Ghosh, Pathway through financial crisis: India, Global Governance, no. 12, 2006, pp. 413-429.

(٣) Sandeep Ahuja and others, Economic reform in India: Task force report, Harris School of Public Policy, University of Chicago, January 2006, p. 7.

من هنا، فتحت الهند وبمبادرة من رئيس وزرائها «ناراسهيما راو» ووزير ماليته (في حينه) السيد «مان موهان سينغ» أبوابها المغلقة للمستثمر الأجنبي وشركاته في العديد من القطاعات[١]، لتكون نقطة التحول قد أعلنت عن نفسها.

ومع طي سجل القرن العشرين، وانعطاف العالم نحو القرن الحادي والعشرين، أخذت الهند تشق طريقها نحو ما يسميه الغرب باقتصاد السوق الحرة؛ حيث رفع اليد الحكومية وقيودها عن مسألة التدخل والتحكم في مجريات الإنتاج والعرض والطلب وما يتعلق بمعالم وأبعاد الاقتصاد والسوق الحر، علاوة عن مسألة ضرورة ضمان زيادة حرية النشاط المالي[٢].

وهو بالتالي ما انعكس علىٰ الإنسان الهندي، حيث رصد لاحقا تحسنا ملحوظا في الإعمار، وأحوال التعليم ومستوياته، والأمن الغذائي، وانتفاع السكان، في سائر حواضر الهند ومدنها[٣].

صحيح أن التفجير النووي الهندي في العام **١٩٩٨**م وما ترتب عليه من حصار سياسي واقتصادي أثر علىٰ الهند وحجم حركة الاستثمارات الأجنبية فيها، إلا أن الأمر سرعان ما تعدل مع العام

---

(١) Ibid., pp. 7-8..

(٢) Dharma Kumar, The Cambridge economic history of India, c. 1757-2003, vol. ii, Orient Longman, New Delhim 2005, p. 1037.

(٣) Sandeep Ahuja and others, Economic reform in India: Task force report, Harris School of Public Policy, University of Chicago, January 2006, pp. 17-20.

٢٠٠٣م فصاعدا[١]، حيث أن أفضل فترة نمو عرفتها البلاد انحصرت بين ذلك العام والعام ٢٠٠٧م، وكان بأن سجلت الهند معدل نمو يقدر بـ(٩٪)، قبل أن يدخل العالم في أزمته الاقتصادية الحالية مع بدايات ٢٠٠٨م[٢].

لقد كانت توقعات وتنبؤات مؤشر مجموعة «غولدمان شاخس» (Goldman Sachs)[*] في العام ٢٠٠٣م فيما إذا استمر الوضع الاقتصادي الهندي والعالمي علىٰ ما هو عليه بالنسبة للأسواق والأسعار، فإن الهند في العام ٢٠٢٠، ستتجاوز كل من فرنسا وايطاليا (مجتمعتين)، وألمانيا، وبريطانيا، وروسيا مع العام ٢٠٢٥م، واليابان مع العام ٢٠٣٥م، لتصبح الاقتصاد العالمي الثالث بعد كل من أمريكا والصين[٣]، [٤] صحيح أن هذا التنبؤ كان قبل حدوث

---

(١) S. Venkitaramanan, Moody's upgrade - uplifts the mood but raises questions, The Hindu Business Line, February 10, 2003. Link: http// :www.thehindubusinessline.com/2003/01/10/stories/2003021000040900.htm. (Retrieved 1July, 2014).

(٢) UN Statistical annex. Link: http//:www.un.org/en/development/desa/policy/wesp/wesp_archive/2010annex.pdf. (Retrieved 1 July, 2014).

(*) «غولدمان شاخس» شركة استثمارات بنكية متعدد الجنسيات، تهتم بأعمال الاستثمارات البنكية علىٰ مستوىٰ العالم، وشأنها الأمني، ومسالة إدارتها، وغيرها من الخدمات المالية، خاصة إقراض المؤسسات، وتعود هذه الشركة في تاريخها إلىٰ العام ١٨٦٩م، ومقرها «وول ستريت» في نيويورك.

(٣) Dominic Wilson and Roopa Purushothaman, Dreaming with BRICs: The path to 2050, Global economics paper no. 99, Goldman Sachs, October 1, 2003. http//:www.goldmansachs.com/korea/ideas/brics/99-dreaming.pdf. (Retrieved 2 July, 2004).

(٤) Damian Grammaticas، Indian economy' to overtake UK; BBC News, Delhi,

الأزمة العالمية الخانقة، وما جرته من تبعات، ولربما لم تعد الأمور تبعًا لتلك التوقعات، إلا أننا نستطيع القول بأن الهند كغيرها من دول العالم المهتمة ما زالت تقاوم وتواجه الأزمة، وبطريقتها، من أجل مستقبل اقتصادي أفضل.

ومع ذلك، ولأسباب محلية وعالمية نرىٰ الهند ترتكس وتتراجع في معدلات نموها مع بدايات العام ٢٠١٢م، لتسجل معدلا غير متوقع قدر بـ(٤,٤%)[١]. هذا وإن لم تكن الهند في ذلك ليست وحدها، فمعظم دول العالم، وحتىٰ المتقدمة ماليًا واقتصاديًا علىٰ رأسها.

وعلىٰ الرغم من الأزمة وحجمها، تعد الهند القوة الاقتصادية العاشرة علىٰ مستوىٰ الخارطة الاقتصادية العالمية، والثالثة حسب قدرتها الشرائية (Purchase Power Parity)[٢]. كما أنها واحدة

January 24, 2007. Link: http//:news.bbc.co.uk/2/hi /world/ south_asia6294409.stm. (Retrieved 2 July, 2014).

(١) Asit Ranjan Mishra, GDP growth in 2012-2013 worse than expected, LiveMint, January 31, 2014. Link: http//:www.livemint.com/Politics/ burPSwwZ4JstNqkBGGWXCP /Economy-grows-45-in-fiscal-2013.html. (Retrieved 3 July, 2014).

(٢) International Monetary Fund، Report for selected countries, India. Link: http//:www.imf.org/ external/ pubs/ft/ weo/ 2014/ 01/ weodata/ weorept .aspx?pr. x79=pr.yv =sy=2012ey=2015 scsm=1 ssd=1 sort=country ds= br=1 c=534 s=NGDPD%2CNGDPDPC%2CPPPGDP%2CPPPPC grp=0 a=. (Retrieved 3 July, 2014).

من بين دول «مجموعة العشرين» (G-٢٠)، وواحدة من بين اقتصاديات منظمة «البريكس» (BRICS)، وواحدة من بين كبريات الاقتصاد النامي علىٰ مستوىٰ العالم[١]. هذا ولا ننسىٰ مكانة الهند الاقتصادية في محيطها الإقليمي، مع دول الجيران، حيث تعتبر علىٰ رأس مجموعة رابطة دولة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي (SAARC)، فالهند تعتبر بمثابة الأم في هذه الرابطة، حيث كان منها بأن وقعت مع شركائها في تلك المنظمة اتفاقيات تعاون تجارة حرة تعود بالنفع علىٰ جميع الأعضاء، عرفت باتفاقية «جنوب آسيا للتجارة الحرة» (South Asia Free Trade Area)، وذلك في ٦ كانون ثاني، ٢٠٠٤م، مع التطلع للوصول والدول الأخرىٰ في نهاية المطاف الىٰ إعفاء جمركي كامل ما بين الدول الشركاء، يصل إلىٰ حد الصفر المطلق مع العام ٢٠١٦م[٢].

في السنة المالية ٢٠١٣-٢٠١٤م سجل معدل النمو الهندي تعافيًا ملحوظا مقارنة مع السنة السابقة قدر بحوالي (٤,٧%)، مع وجود مؤشرات للصعود إلىٰ ما مقداره (٥,٤%) مع نهاية العام

(١) World Trade Organization, World Trade Report 2013: Factors shaping the future of the world trade، WTO, Geneva.

(٢) يمكن معرفة المزيد حول «اتفاقية منطقة التجارة الحرة - لدول جنوب آسيا» وبنودها الـ ٢٥ من خلال الرابط الالكتروني:

http//:www.saarc-sec.org/userfiles/saftaagreement.pdf. (Accessed 4 July, 2014).

(٢٠١٥م)[١]، [٢] [*] هذا مع تسجيل ملاحظة فارقة تحسب للاقتصاد الزراعي والصناعي وقطاع الخدمات، وما لتلك القطاعات من دور كبير في ردف ودعم الاقتصاد الهندي الإجمالي، والمتمثل في ارتفاع الدخل القومي للبلد[٣]. والذي سجل في العام ٢٠١٣م ما يساوي (١,٨٧) تريليون دولار أمريكي، وبواقع قدرة هندية شرائية (Purchase Power Parity) قدرت بحولي (٥,٠٧) تريليون دولار أمريكي[٤].

---

(١) RBI governor Raghuram Rajan meets Narendra Modi, LiveMint, June 1, 2014. Link: http//:www.livemint.com/Politics/Jh1NʌRUWG7J5BKZfTSyYZO/RBI-governor-Raghuram-Rajan-meets-Narendra-Modi.html. (Retrieved 4 July, 2014).

(٢) Asit Ranjan Mishra, IMF sticks to 5.4% growth rate for India, cuts global forecast, LiveMint, July 25, 2014, Link: http//:www.livemint.com/Politics/ripzOC6NKyshljPse٠tZdO/IMF-sticks-to-54-growth-rate-for-India-cuts-global-foreca.html. (Retrieved July 5, 2014).

(*) الجدير بالذكر، هو استطاعة الهند من تحقيق معدل النمو المشار إليه أعلاه في آب ٢٠١٤م، بل وأكثر، حيث سجلت الهند وكما نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» في ٢٩ آب من العام ٢٠١٤م معدل نمو (٥ز٧)، أي أكثر بكثير مما كان متوقعا لها ان تسجله مع نهاية العام ٢٠١٥م.

(٣) Agriculture's share in GDP declines to 13.7% in 2012-13, The Economic Times, August 30-2013. Link: http//:articles. economictimes. indiatimes. com/2013-08-news/41618996_1gdp-foodgrains-allied-sectors. (Retrieved 6 July, 2014).

(٤) International Monetary Fund, Report for selected countries, India. Link: http//:www .imf. org/ external/ pubs/ ft/ weo/ 2014/ 01/ weodata/ weorept

مساهمة القطاع الزراعي حسب قراءات العام ٢٠١٣م بلغت (١٣,٧٪)، الصناعي (٢١,٥٪)، والباقي لصالح قطاع الخدمات، حيث قدرت مساهمة ذلك القطاع بما يساوي (٦٤,٨٪)[١].

انفتاح الهند علىٰ العالم في عصر ما يعرف بـ«العولمة» أفضىٰ إلىٰ شراكات اقتصادية تقوم علىٰ الاستيراد والتصدير المتبادل، إضافة إلىٰ فرص الاستثمار الأجنبي في البلد، وتمكينها من الاستثمار في بلاد أخرىٰ، وهو ما جعل من الهند علىٰ الرغم من التحديات والصعاب عملاقا اقتصاديا واعدا. ويكفينا وهذا السياق أن نعلم أن صادرات الهند مع نهاية العام ٢٠١٢م قد سجلت ما يقارب من الـ(٤٤٢,٤) بليون دولار أمريكي، موزعة ما بين منتوجات سلعية (٢٩٦,٨) بليون دولار أمريكي وخدمات (١٤٥,٤) بليون دولار أمريكي[٢].

أما عن ماهية تلك الصادرات، تصدر الهند إلىٰ الاتحاديات العالمية والدول الكبرىٰ والصغرىٰ، الأدوية، المنسوجات،

.aspx?pr.x = 79 pr.y = 7 sy = 2012 ey = 2015 scsm = 1 ssd = 1 sort = country ds= br = 1 c= = 534 = sNGDPD %2CNGDPDPC %2CPPPGDP %2CPPPPC grp = 0 a = . (Retrieved 3 July, 2014).

(١) Agriculture's share in GDP declines to 13.7% in 2012-13 The Economic Times, August 30, 2013. Link: http//:articles.economictimes.indiatimes.com/2013-08-30/news41618996_1_gdp-foodgrains-allied-sectors. (Retrieved 6 July, 2014).

(٢) World Trade Organization, Trade profile: India, 2013. Link: http:// stat.wto.org/CountryProfile/WSDBCountryPFView.aspx?Country = INLanguage = F. (Retrieved 6 July, 2014).

الكيماويات، وبعض قطع غيار وسائل المواصلات (خاصة إلىٰ دولة الإمارات العربية المتحدة)،[١] هذا إضافة إلىٰ برمجيات الكمبيوتر المتقدمة، والصناعات البتروكيماوية، والمنتوجات الزراعية، والحليّ والمجوهرات، وبعض السلع والتقنيات الهندسية، وخامات الحديد وما إلىٰ غير ذلك من صادرات[٢].

أما عن شركاء الهند الاقتصاديين في مجال الصادرات ما بعد الانفتاح، فهم كثر وأهمهم علىٰ الترتيب من حيث حجم ما يصدر إليهم: الاتحاد الأوروبي، الولايات المتحدة الأمريكية، الإمارات العربية المتحدة، الصين الشعبية، فسنغافورة[٣]. أما عن الواردات، فقد بلغت في نفس الفترة الزمنية المذكورة ما يقدر بـ(٧,٦١٦) بليون دولار أمريكي[٤]، حيث تستورد الهند النفط الخام، الذهب، والأحجار الكريمة، علاوة علىٰ الإلكترونيات وبعض الوسائل الهندسية، إضافة إلىٰ بعض أصناف الكيماويات، ومواد البلاستيك، والفحم الحجري، والزيوت النباتية (كزيت النخيل

(١) Foreign trade performance of India, Annual report, Directorate General of Commercial Intelligence and Statistics, Ministry of Commerce and Industry, Government of India Publication, New Delhi 2012. Link: http// :www.dgciskol.nic.in/. (Retrieved 8 July, 2014).

(٢) Ibid.

(٣) World Trade Organization, Trade profile: India, 2013. Link: http// :stat.wto.org/CountryProfile/WSDBCountryPFView.aspx?Country=IN Language=F. (Retrieved 6 July, 2014).

(٤) Ibid.

وفول الصويا) وغيرها[١]. أهم شركاء الهند في الواردات، هم نفس الشركاء في الصادرات، إضافة إلىٰ المملكة العربية السعودية، وسويسرا[٢].

أما فيما يتعلق بأمر الاستثمارات المباشرة الواردة إلىٰ السوق الهندية، والصادرة عنها، فحسب بعض المصادر المطلعة، ولعهد قريب، هنالك ما حجمه (١٥١,٧) بليون دولار أمريكي يعود إلىٰ جهات خارجية مستثمرة في الهند، وحوالي (٥٤,٦) مما يعود إلىٰ استثمارات هندية في الخارج، وعلىٰ وجه التحديد في الولايات المتحدة وأوروبا وأفريقيا وغيرها[٣].

وعن رصيد الهند من احتياطيات العملة الصعبة، فتقدر حصتها حسب بيانات العام ٢٠١٣م بحوالي (٣١٦,٣٩) بليون دولار أمريكي[٤]، هذا فيما إذا علمنا بأن تلك الاحتياطيات كانت

---

(١) Foreign trade performance of India, Annual report, Directorate General of Commercial Intelligence and Statistics, Ministry of Commerce and Industry, Government of India Publication, New Delhi, 2012 Link: http// :www.dgciskol.nic.in/. (Retrieved 8 July, 2014).

(٢) World Trade Organization, Trade profile: India, 2013. Link: http// :stat.wto.org/CountryProfile/WSDBCountryPFView.aspx?Country=IN Language=F. (Retrieved 6 July, 2014).

(٣) United Nations Conference on Trade and Development-UNCTAD, World investment report 2014, Investing in the SDGs: An action plan, United Nations Publication, Geneva, 2014, p. 206.

(٤) See: India's forex reserves rise to $316.39 bln as of July 4, Reuters, July 11,

مجرد (٥,٨) بليون دولار أمريكي لغاية آذار ١٩٩١م، أي قبيل انفتاح البلد علىٰ العالم والسوق، لتقفز إلىٰ (٣١٨,٦) بليون دولار مع نهاية العام ٢٠٠٩[١].

منذ قرار تحرير الاقتصاد «(اللبرلة» الاقتصادية)، والحركة التجارية الهندية الدولية في عراك وحراك أفقي وعمودي مضطرد[٢]، فمن إسهام يقدر بـ(١٦٪) في العام ١٩٩٠-١٩٩١م إلىٰ ٤٧٪ في الفترة ما بين ٢٠٠٨-٢٠١٠م[٣]،[٤].

كما إن مكانة الهند الاقتصادية ليست في صادراتها وارداتها فحسب، إنما في كونها عضوا مؤسسا لمنظمة التجارة والتعرفة الجمركية العامة (العالمية)، وما جاء بعدها (General Agreement Tariffs and Trade -GATT)، مما عرف بمنظمة التجارة الدولية.

2014. Link: http//:in.reuters.com/article/2014/07/11/india-rbi-forexreserve-idINKBN.FG1AE20140711. (Retrieved 10 July, 2014).

(١) Ministry of Finance, Government of India, Economic survey 2009-2010, Balance of payments, Chapter 6, p. 132.

(٢) Ruddar Datt and K.P.M. Sundharam, Indian economy, S. Chand Group, New Delhi, 2009, pp. 747-748.

(٣) Arvind Panagariya, India: The emerging giant, Oxford University Press, London, 2008, p. 109.

(٤) World Trade Organization, Trade profile: India, 2013. Link: http//:stat.wto.org/CountryProfile/WSDBCountryPFView.aspx?Country=IN Language=F. (Retrieved 6 July, 2014).

(WTO-World Trade Organization)، فالهند ما برحت في صوتها تمثل فقراء العالم واقتصاديات دول العالم النامي وتقف في وجه الدول الكبرىٰ المنافسة والمهيمنة علىٰ السوق الحر، كأمريكا وأوروبا[١].

اعتماد الهند علىٰ المساعدات الخارجية والديون تراجع كثيرًا منذ أن انفتح البلد باقتصاده علىٰ العالم، فعلىٰ سبيل المثال، تراجع الأمر من نسبة ٣٥,٣٪ كما كان معهودا في العام ١٩٩٠-١٩٩١م الىٰ ٤,٤٪ في العام ٢٠٠٨-٢٠٠٩م[٢]. كما أن السماح للقروض الخارجية ممن هم خارج الهند، مسموح به، ولكن ضمن شروط وتعليمات بنك الاحتياطي الهندي (البنك المركزي)، ووفق سياسات وزارة المالية فيما يتعلق بالنقد الأجنبي وكيفية إدارته للعام ١٩٩٩م[٣].

الهند ككتلة اقتصادية شرائية هائلة خاصة فيما يتعلق باستيعاب أسواقها للسلع الاستهلاكية وتصريفها، فهي وكما أسلفنا الذكر،

---

(١) Embassy of India: Policy statements, India the World Trade Organisation, Internet Archive, November 10, 1999-July 16, 2014. Link: http//:web.archive.org/web/20050613080223/http//:www.indianembassy.org/policy/WTO/overview.html. (Retrieved 10 July, 2014).

(٢) Ministry of Finance, Government of India, Economic survey 2009-2010, Balance of payments, Chapter 6, pp. 142-144.

(٣) Reserve Bank of India, Master circular on external commercial borrowings and trade credits. Link: http//:rbidocs.rbi.org.in/rdocs/Notification/PDFs/27ECB010709_F.pdf. (Retrieved 10 July, 2014).

تعد بالقوة الاقتصادية الثالثة عالميا عندما يتأتىٰ الأمر إلىٰ القدرة الشرائية، وهو بالتالي ما دفع بالمستثمر الأجنبي إلىٰ اقتحام تلك السوق والاستثمار فيها[١]. ففي العام ٢٠١١م علىٰ سبيل المثال لا الحصر نرىٰ حجم الاستثمارات المتدفقة نحو السوق الهندي تقدر بحولي (٣٦ز٥) بليون دولار أمريكي، أي زيادة بنسبة ٥١,١٪ مقارنة بالعام السابق (٢٠١٠م)، حيث سجل حجم الاستثمار في حينه حوالي (٢٤,١٥) بليون دولار أمريكي.

في البدايات كان هنالك صرامة فيما يتعلق بأمر الاستثمار وسياسات الاستثمار الأجنبي في السوق الهندية، إلا أن الأمر مع عامل الزمن سرعان ما قد تغير لثقة الهنود بأنفسهم، حيث توفر الشركات الهندية المنافسة في قطاعات كالاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، وغيرها إضافة إلىٰ وجود القوىٰ البشرية المؤهلة والعاملة في تلك القطاعات، حيث دفع هذا الواقع المستجد بالهند إلىٰ تبني ما يلزم من الإصلاحات الخاصة بموضوع الاستثمارات الأجنبية في البلد[٢]،[٣].

---

(١) India 2nd best country for biz investment: Survey, The Financial Express, August 1, 2008. Link: http//:www.financialexpress.com/news/India-2nd-best-country-for-biz-investment-Survey/343344. (Retrieved 11 July, 2014).

(٢) Ibid.

(٣) حول موضوع تبني ما يلزم من الإصلاحات الخاصة بالاستثمارات الأجنبية، يمكن معرفة المزيد من خلال الرابط الالكتروني:

http//:news. indiamart. com/ story/ finmin- considers- three- single- brand- retail-fdi-proposals-169557.html. (Accessed 12 July, 2014).

في العام ٢٠٠٥م اتخذت السلطات الهندية كل ما يلزم من أجل السماح للاستثمارات الأجنبية المباشرة حيث السماح بنسبة ١٠٠٪ للمستثمر الأجنبي من أي مشروع، خاصة في مجال قطاعات التكنولوجيا، قطاع البناء والعمار، الاستثمار في مشاريع البنىٰ التحتية، والبيوت السكنية، والمجمعات التجارية، والمستشفيات، والمؤسسات التعليمية، والمنتجعات الترفيهية، وغيرها من المشاريع، فهي لم تعد محظورة علىٰ الاستثمارات الأجنبية ورؤوس أموالها، بل تعدىٰ الأمر ذلك كله، إلىٰ شؤون الدفاع وقطاع الاتصال والنفط وغيره[١]،[٢]،[٣].

أما عن استثمارات الهند في الخارج، فمنذ العام ٢٠٠٠م وهي في حالة من التمدد والاتساع، حيث العمل علىٰ تقديم الخدمات وخلق فرص العمل لمن هم هنود خارج حدود الهند، لتسهم عائدات تلك الاستثمارات بما مقداره (١,٣٤٪) من دخل

(١) Sushma Ramachandran, 100 per cent FDI in construction industry through automatic route, The Hindu, February 25, 2005. Link: http//: www.thehindu.com/2005/02/25/stories/2005022506990100.htm. (Retrieved 12 July, 2014).

(٢) Govt unleashes big-bang FDI reforms, opens up defence, The Times of India, July 17, 2013. Link: http//:timesofindia.indiatimes.com/business/india-business/Govt-unleashes-big-bang-FDI-reforms-opens-up-defence/articleshow/21110866.cms. (Retrieved 12 July, 2014).

(٣) Manoj Kumar and Matthias Williams, Govt allows FDI multi-brand retail, aviation in bold reform push, Reuters, September 14, 2012. Link: http//:in.reuters.com /article/2012/09/14/india-economy-retail-fdi-reform-idINDEE88D08M20120914. (Retrieved 12 July, 2014).

البلد القومي، ما بين الفترة المحصورة من ٢٠٠٦-٢٠١٠م[١].

ويكفينا إشارة بأن شركة «تاتا» (Tata) الهندية العملاقة في بلد كالمملكة المتحدة تعد من أضخم الشركات الهندية للإنتاج الصناعي في الخارج، بل الأكثر توظيفا للكفاءات والعمالة الهندية الخارجية في قطاعها الخاص[٢]،[٣].

أما عن تلك الشركات المستثمرة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وفي أفريقيا، وآسيا وغيرها، فأهمها ١٥ شركة، من عائداتها تعود لعملياتها الخارجية، وعلىٰ رأسها: شركة النفط والغاز الطبيعي «فيديش» (ONGC Videsh - Oil and Natural Gas Corporation)، و«تاتا للفولاذ» (Tata Steel)، و«تاتا العالمية للمشروبات» (Tata Globa Beverages)، وغيرها[٤].

---

(١) Ajay Shah and IIa Patnaik, India's financial globalization, IMF working paper, International Monetary Fund, January 2011.

(٢) India's industrial outpost: Tata for now (The country's biggest manufacturer is Indian! What does it seek from and give to Britain? The Economist, September 10, 2011. Link: http//:www.economist.com/node/21528653. (Retrieved 13 July, 2014).

(٣) Graham Ruddick and Philip Aldrick, JLR's Ratan Tata warns on UK competitiveness, The Telegraph, December 5, 2012. Link: http//:www.telegraph.co.uk/finance/newsbysector/industry/9722673/JLRs-Ratan-Tata-warns-on-UK-competitiveness.html. (Retrieved 15 July, 2014).

(٤) See: 15 Indian companies that are most global, Rediff.com, Business, July 17, 2013. Link: http//:www.rediff.com/business/slide-show/slide-show-1-15-special-indian-companies-that-are-most-globa1/20130717.htm#٤. (Retrieved 15 July, 2014).

الفصل الرابع

الهند ثقافة وحضارة وظاهرة التعددية

الثقافية الهندية وتشابكها في المجال العام

الهند ثقافة وحضارة

ابتداء، الهند علىٰ هيئتها الحالية كجغرافيا، تمتد في سواحلها علىٰ طول ٧٠٠٠ كيلومتر، وتشترك مع جيرانها في الحدود برّا فيما يساوي ١٤٠٠٠ كيلومتر، وعلىٰ وجه التحديد مع باكستان والصين ونيبال وبوتان وبنغلادش وبورما. هذا إضافة إلىٰ رصيدها مما يسمىٰ في الجغرافيا السياسية بالمياه الإقليمية، والذي يقدر بحوالي ٣١٤,٤٠٠ كليومتر مربع[١].

أما عن تعداد السكان، فحسب آخر القراءات الإحصائية، بلغ عدد سكان البلد قرابة الـ ١,٢٧٠ (مليار ومائتين وسبعون مليونا)، موزعين علىٰ ٢٩ ولاية و ٧ أقاليم اتحادية (Union territories)[٢]. وينتمي هؤلاء السكان إلىٰ طوائف دينية مختلفة، علىٰ رأسها الهندوسية والبوذية والمانويّة واليهودية والمسيحية والإسلام،

(١) للتعرف علىٰ حدود الهند وسواحلها، انظر الرابط:
http//:www.photius.com/countries/india/geography/india_geography_coasts_and_borders.html. (Accessed 1 July, 2014).

(٢) حول تعداد سكان الهند، انظر الرابط:
http://www.indiaonlinepages.com/population/india-current-population.html. (Accessed 1 July, 2014).

والسيخية وغيرها[1]. هذا عدا عن تعدد الإثنيات العرقية والطبقات اللغوية وغيرها من التوصيفات والتصنيفات، فاللغات علىٰ سبيل المثال لا الحصر في الهند تصل حسب خبراء العلوم الإنسانية والاجتماعية إلىٰ الآلاف[*].

من هنا ومن رحم هكذا تعددية وتشابكاتها نشأت الثقافة الهندية وكان ميلاد الحضارة في الهند. فالثقافة الهندية وما يتعلق بها من أبعاد حضاريّة ليست كما نراها مجرد صورة منكفية من صور الماضي، إنما هي ماض تليد وحاضر نابض ومستقبل واعد. كما أن المثقفين الهنود، وعلىٰ وجه التحديد، حاملي تلك الثقافة ليسوا بمجرد أناس عاديين؛ فعلىٰ مدار الألفيات والقرون نرىٰ الثقافة الهندية تخرج لنا من هم قادة عظام، ومستشرفون، وفلاسفة ومعلمون، وروحانيون كبار، بل من هم علماء وأدباء ومكتشفون ومخترعون ومبتكرون، وزراع وصناع وتجار وبناؤوا مدنية

(١) Fed W. Clotthy, Religion in India: A historical introduction, Rutledge, New York/ Oxon, January 24, 2007. See also Religions in India, link: http://www.indiaonlinepages.com/religions/. (Retrieved 1 July, 2014).

(*) وصل حسب بعض المصادر عدد اللسانيات المحكية في الهند إلىٰ ١,٦٥٢ لسان ولغة! يمكن معرفة المزيد حول موضوع اللسانيات من خلال زيارة الموسوعة الحرة «ويكيبيديا» علىٰ الرابط الإلكتروني:

http://www.en.wikipedia.org/wiki/Ethnic_groups_of_India. (Accessed 1 July, 2014).

وحضارة. ولولا أن يعج مؤلفنا هذا بالأسماء والأوصاف لسطرنا منها الآلاف المؤلفة.

الهند كأمة في حضارتها وثقافتها ومن منطلقاتها الإنسانية والروحانية لا تقل أهمية عن غيرها من الأمم، بل نراها تختلف عن غيرها كل الاختلاف، لم تكن ذات يوم، ولا ولن تكون غيرها، فهي وكما عبر عنها الفيلسوف الروحاني السيد سوامي فيفيكاناندا (Swamy Vivekananda): «الهند أبدا لن تكون أوروبا إلا إذا ماتت»[1].

وبما أن دراستنا ذات طابع نقديّ، لن نغفل عن الإشارة إلىٰ أن هنالك ممارسات ومشكلات ثقافية وحضارية تواجه الإنسان الهندي منذ عقود خلت، وعلىٰ رأسها: غيبوبة احترام الوقت وقدسية التعاطي مع عامل الزمن، الفساد، الأمية، النظافة العامة، النظام العام، النفاق السياسي والاجتماعي، القهر، الفقر، الثرثرة، الطبقية المقيتة والظلم الطبقي، ثقافة وأعراف زواج الأطفال، العنف، وغير ذلك، إلا أنه وعلىٰ الرغم من ذلك كله لا يقلل الأمر من الشأن الحضاري لأمة ما، فهذه الأمراض والأعراض ومثيلاتها قد تصيب أي أمة وأي حضارة من الحضارات في مشارق الأرض ومغاربها.

إن نظرة عابرة علىٰ واقعنا العربي والإسلامي، وواقع أمر

(١) Letters of Swami Vivekananda, Advaita Ashrama, Kolkata, 2009, p. 164.

حضارتنا ولفيفها الثقافي لكفيل بإيصالنا إلىٰ أن ما تعانيه الهند نعانيه وأكثر، ومنذ زمن. بل هو ما تعانيه الحضارات الأخرىٰ، وكأن المشكلة بأصولها وفروعها، بكلياتها وجزئياتها، مشكلة الإنسان ونهجه العام والخاص في واقع الوجود حيثما كان[1].

ويكفينا أن نعلم بأن العرب المسلمين (والمسلمين من غير العرب) عانوا وما زالوا يعانون الأمرين جراء ما اعترىٰ عصر صدر الإسلام من فتن وملاحم كبرىٰ، كان بأن قصمت ظهر الأمة إلىٰ شيعة وسنة، عرب وعجم، والأمر كذلك حتىٰ يومنا هذا[2].

أما عن الحضارة الغربية المسيحية، فيكفينا علما بأنها حضارة ما إن بزغ فجرها وهي تعمل علىٰ استعمار البلاد واستحمار العباد، ويعمها تعاطي الفجور والفساد (المقنن)، وممارسة كل صور

(١) أيضًا ترانا نحن معشر العرب والمسمين نعاني من مشكلات كعدم احترام الوقت واعتبار عنصر الزمن، ونعاني الفساد بكل صوره وأشكاله، وعلىٰ رأسه الفساد السياسي والاجتماعي، وهنالك مرض الفقر وأمية، ومشكلة النظافة العامة التي تعرفها جيدا أزقتنا وشوارعنا وحاوياتنا في تلك الشوارع، وهنالك مشاكل تتعلق بالنظام العام والحركة والنفاق وما إلىٰ غير ذلك. ويكفينا دوامة العنف سواء الطائفي منها أو السياسي التي وصلنا إليها جراء سياساتنا المناطقية والمحلية والإقليمية وخنوعنا للنظام العالمي الجديد بزعامة أمريكا وما أفضت إليه الأمور من فوضىٰ عارمة علىٰ كل المستويات.

(٢) إن نظرة عابرة في كل من المشهد العراقي والسوري واللبناني، بل في واقع إيران والباكستان وأفغانستان يصل المراقب إلىٰ ان هنالك أزمة حقيقية تعيشها الأمة الإسلامية جراء عقدها الطائفية، وما يتعلق بتلك العقد من عنف سياسي عاصف.

وأشكال البغي والظلم والقهر، ومخالفة ما هو عرف وشرع وقانون، وإلا ما معنىٰ أن يكون ٢٥٪ من نزلاء الحبوس والسجون علىٰ المستوىٰ العالمي هم من نصيب بلد كالولايات المتحدة الأمريكية؛ رأس التقنية والتقدمية الغربية، وبامتياز بلد الحرية الشخصية والثقافة والحضارة؟![١].

وللتدليل علىٰ أزمة الإنسان والحضارة، هل تصمد يا ترىٰ اقتصاديات العديد من دول الحضارة الغربية (وغير الغربية) دون بيع وتسويق آلات القتل والدمار، بعد تسويق أفكار الغزو والاجتياح، وزرع بذور الفتنة بين من عليهم توريد تلك الآلات لتوظيفها فيما هو انتحار وقتل جماعيّ؟

حسب معهد «استكهولم الدولي لأبحاث ودراسات السلام» (Stockholm International Peace Research Institute-SIPRI) تعتبر أمريكا والصين وروسيا والمملكة المتحدة في مقدمة تلك الدول المسرفة في أمر السلاح (القاتل)، استيرادا وتصديرا[٢]. ويكفينا أن نعلم ومن نفس المصدر أنها قد أنفقت

(١) James Vicini, U.S. has most prisoners in the world due to tough laws, Reuters, December 09, 2006. Link: http://www.commondreams.org/headlines06/1209-01.htm. (Retrieved 2 July, 2014).

(٢) Sam Perlo-Freeman and Carina Solmirano, Trends in world military expenditure, 2013/SIPRI Fact Sheet, Stockholm International Peace Research Institute. (Retrieved 3 July, 2014).

(إضافة إلىٰ دول أخرىٰ) علىٰ السلاح في العام ٢٠١٣م وحده ما مقداره ١٤٠٨ بليون دولار أمريكي، من أصل ١٧٤٧ بليون مما أنفقه العالم!

لقد سبق وأن أدرك المفكر والفيلسوف الهندي الكبير سوامي فيفيكاناندا حال الحضارة الغربية حال عودته إلىٰ بلاده من زيارته التاريخية لبلاد الغرب، وكان بأن عبر بوعيّ تام عمّا أدركته حواسه وما وراء تلك الحواس، حيث قال في الحضارة الغربية: «(أن) مؤسساتها، أنظمتها، وكل ما هو علىٰ صلة بحكوماتها السياسية مدان وعديم الجدوىٰ؛ فأوروبا في مخاض، ولا تعرف أين تتجه. الاستبداد المادي رهيب. الثروة والقوة في أيدي حفنة من الرجال ممن لا يعملون إلا أنهم يتلاعبون في إدارة وتوجيه عمل الملايين من الآدميين. بهذه القوة يمكنهم إغراق الأرض بأكملها في بحر من الدم»[1].

وكله قبل أن يشهد الرجل الحربين العالميتين الأولىٰ والثانية -صنيعة الحضارة الغربية- وما اعتراهما من أهوال وفظائع. فماذا لو أعطاه الله من العمر المديد ليشهد علىٰ تلك الفوضىٰ الكونية، وليرىٰ بأم عينيه كيف زج المستعمر الغربي البريطاني بعشرات الألوف من خيرة أبناء بلده الهند في تلك الحرب غير العادلة؛ حيث كانوا مع غيرهم وقودا لنارها المستعرة؟!

(١) Swami Vivekananda, Lectures from Colombo to Almora, pp. 64-65.

وعودة إلىٰ الثقافة الهندية وحضارة الهند، فهي ومنذ البداية ثقافة محبة وسلام وحضارة صنعتها تعزيز السلام، ما فتأت تغذي الروح الإنسانية والروح العلميّة وفي كل الاتجاهات، الشرقية منها والغربية، الشمالية والجنوبية، وهو ما كشفت عنه واكتشفته الحركة العلميّة المعاصرة في ميادين عدة؛ في العلوم الطبيعية، وعلىٰ رأسها الفيزياء والكيمياء، وفي العلوم الحياتية، وعلوم الإنسان والاجتماع.

يقول المؤرخ الأمريكي، ويل دورانت (Will Durant)، والمتخصص في شأن علوم الحضارة: «إنها لحقيقة علىٰ الرغم من حواجز الهمالايا، أن أرسلت لنا الهند العديد من العطايا والهدايا كالمنطق والقواعد، الفلسفة وفن الرواية، التنويم المغناطيسي والشطرنج، وفوق كل هذا، نظامنا الرقميّ والعدديّ»[1].

الثقافة الهندية ومسألة التجذر الحضاريّ:

تعود الحالة الثقافية في المجتمع الهندي إلىٰ حضارة الهارابان أو ما يعرف بحضارة وادي السند /(Harappan Civilization Indus- Valley)، والتي ترجع في عمقها التاريخي إلىٰ حوالي ٥٠٠٠ سنة قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام.

لقد كشف لنا علم الآثار وحفريات القرن العشرين عن أن

(١) Will Durant, Story of our civilization, Our oriental heritage, Simon Schuster, New York, 1954, vol. I, p. 633.

تلك الحضارة وما سبقها (وانبثق عنها لاحقا) من ثقافة هندية وتفريعات لتلك الثقافة امتدت علىٰ مساحة جغرافية تقدر بحولي المليون كيلو متر مربع؛ ما يجعل منها أكثر الحضارات اتساعًا وامتدادًا في عصر ظهورها ووجودها.

وقد عرف عن تلك الحضارة مدنيتها، وإدارتها، وتخطيط مدنها، وأنظمة صرفها الصحيّ، وجيرها، وموازينها، وفن الخط والكتابة فيها. كما أنها امتازت كحضارة إنسانية بخلوها من آلات الحرب والقتل والدمار - صناعة الإنسان.

أيضا، كانت بالخالية والمتحررة من تلك الطغم الحاكمة المتخمة، والهيكليات العسكرية، والأنظمة الطبقية المكفهرة البائسة. ولم تقف تلك الحضارة عند تلك المعالم والأبعاد فحسب، بل تراها حاضرة في ثقلها التأملي والروحانيّ، حيث عرف عنها يوغيتها (Yoga) أو ما يعرف بالسنسكريتية برياضة الاسانا (ãsana)، وكما عبرت عنها منحوتاتها العلويّة، وحالات أناسها وملوكها الصلويّة والتعبدية[١].

وبقيت الهند علىٰ حالتها الحضارية، والتي بلغت ذروة تألقها وامتدادها ما بين ٢٦٠٠-١٩٠٠ قبل الميلاد، إلىٰ أن ظهرت فيها حقب وعصور ملوكية وإمبراطورية، كزمن موريان حتىٰ غوبتا (Mauryan to Gupta)، وزمن كالوكغشس الىٰ راشتراكوتاس

(١) Michel Danino, The lost river: On trail of the Sarasvati, Penguin Books India, New Delhi, 2010.

(Chalukyas to Rashtrakutas)، وزمن بالافاس الىٰ كولاس، (Cholasvas to Palla)، إلىٰ ما عرف تاريخيًا بإمبراطورية فيجاياناغارا (The Vijayanagara Empire)، حيث استمرت الظواهر الحضارية المادية إلىٰ جانب الحياة الروحانية، وعلىٰ نطاق واسع. هذا مع تسجيل ظهور آلة الحرب لأول مرة في تاريخ الهند وما ارتبط بتلك الآلة من معارك وحروب هندوسية هنا وهناك[1].

حضارة الهند التاريخية وما اعتراها من ثقافة وحراك ثقافي عرفت بمدنها الزاهرة الباهرة، مدارسها وجامعاتها الفريدة، معابدها، ليس الهندوسية فحسب بل البوذية منها والمانويّة، ناهيك عن روحها الفلسفية وما ارتبط بها من أفكار ومعتقدات عمت أرجاء ما عرف لاحقا بشبه القارة الهندية. هذا ناهيك عن حقيقة ريادية الهند القديمة في مجال الملاحة البحرية في كل الاتجاهات، وفي مجال التعامل مع المعادن وما يعرف اليوم بعلم التعدين، إضافة إلىٰ صناعة النسيج بكل صوره وأشكاله، والزراعة والتجارة (الداخلية منها والخارجية)، وفوق كل هذا وذك نظامها الطبيّ ذي المصادر اللاهوتية (the Vedas)، والذي ما زال بالطب الفاعل حتىٰ يومنا هذا، إضافة إلىٰ تلك الاختراعات

(١) يمكن معرفة المزيد حول تاريخ الهند من خلال الموسوعة الحرة «ويكيبيديا» علىٰ الرابط الإلكتروني:
http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_India. (Accessed 4 July, 2014).

المتعلقة بصناعة الجير، والمجوهرات والحلي، وتنظيم موارد السقاية والريّ.

وبالجملة، يمكن القول بأن هذا هو حال الثقافة الهندية في حدود الجذور الهندوسية والبوذية والمانويّة وما يتعلق بتلك الثقافة من أبعاد وشواهد حضاريّة، ما برحت تحرك الفعل الهنديّ، قبل أن تتعرف البلاد علىٰ من هم هودا أو نصارىٰ من أهل الكتاب، وقبل أن تتعرف علىٰ من هم من أهل الإسلام والدعوة الإسلامية، أو غيرهم، حيث لعب أهل هذه الديانات وما انبثق عنها من ثقافات وحضارات موازية دورهم الثقافي والحضاري في بلاد الهند والسند، والذي لا يمكن لحرية فكر أن تتجاهله أبدًا(*).

(*) مما لا شك فيه، أسهمت الديانات الإبراهيمية (كما يسميها البعض) أو ما يعرف بالديانات السماوية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام، في البنية الهندية ثقافيا وحضاريا، فمجرد وصول أفكار جديدة ومعتقدات جديدة إلىٰ ارض الهندوسية والبوذية والمانوية يعني بدايات التلاقح الفكري والاتصال والتواصل الحضاري مع الآخر. فأول دين خارجي يأتي إلىٰ الهند كان اليهودية، وذلك في عهد نبي الله الملك سليمان عليه السلام، ولم يسجل علماء التاريخ سواء الهنود أو غيرهم أي صدام مع اليهود واليهودية، وعاش القوم في كنف الغالبية الهندوسية في سلام ووئام. إلا أن إسهامات المسيحية والتي يقال أنها وصلت أول ما وصلت الهند في العام ٥٢ من القرن الأول الميلادي، والإسلام الذي وصل في القرن الثامن الميلادي، تجاوزت الدور اليهودي ثقافيا وحضاريا. فما برح المسيحيون من كونهم حلقة الوصل بين الهند والهنود والعالم المسيحي في آسيا وأفريقيا وأوروبا وغيرها. أما المسلمين وبحكم حكمهم للبلاد ولقرون طويلة، فقد عمّروا فيها الكثير، إلىٰ أن صاروا جزء لا يتجزأ من تراث الهند الحضاري والثقافي، ومن آثارهم الشاخصة، المنتشرة في ربوع ارض الهند إلا دليلا علىٰ ذلك.

عطايا الهند الثقافية ودورها في حركة الإسهام الحضاريّ عالميّا:

لن نتطرق هنا إلىٰ الحديث عن العقلية الهندية العلمية، ومصادر تلك العقلية، فهو ما سوف نأتي إليه في فصل لاحق، عند تناولنا لمؤسسات التعليم العالي ومراكز البحث العلمي في الهند والاستثمار في مجال التكنولوجيا. إنما حصر الحديث عما قدمته الهند وأهلها لنا من خلال ذلك الرصيد الثقافي والحضاري العملاق، ودور ذلك في تشكيل وصناعة الحضارة إقليميًا وعالميًا؛ وذلك كمحاولة منا لفهم سر النهضة الهندية المعاصرة كقوة عالمية صاعدة.

ابتداء، لا يمكن لأية ثقافة أو حضارة أن تبقىٰ في معزل تعتلج صدور وحدود أصحابها دون الوصول في أثرها وتأثيرها إلىٰ من يحيطون بها وتحيط بهم، ممن هم في حالة انفعال وتفاعل معها.

فالهند بثقافتها وحضارتها كغيرها من الثقافات والحضارات نراها وقد انفعلت وتفاعلت مع الآخر من خلال البر والبحر، مع آكاد وسومر وبابل وآشور في العراق القديم، ومع كل من إيلام ودلمون وماغان في إيران، وباكتريا ومارجيانا في آسيا الوسطىٰ، ومع مصر واليونان وروما غربا، في منطقة بحر الروم أو ما صار يعرف لاحقا بحوض البحر الأبيض المتوسط، هذا ناهيك عن وصول أثر الهند ثقافيًا وحضاريًا إلىٰ إفريقيا، فالصين والتبت، فمنطقة جنوب . وجنوب شرق آسيا، ومنها إلىٰ الشرق الأقصىٰ، حيث كوريا واليابان وما يحيط بهما.

فمنذ البدايات وحضارة وادي السند (Indos)، وتجارة الحلي والتوابل والحرير علىٰ أوجها ولقرون[١].

بل إن هنالك من المصادر البحثية ما تشير وبقوة إلىٰ أن الهند التاريخية قد وصلت (لربما بصورة مباشرة أو غير مباشرة) إلىٰ بلاد ما يعرف بحضارة المايا (civilization Maya) في أقصىٰ بلاد الغرب، في الأمريكيتين، أي قبل وصول الأوروبيين وبعثاتهم الاستكشافية (الاستعمارية) إلىٰ تلك البلاد وما ورائها، فهنالك من الفنون والنقوش والرسوم المشتركة ما بين الهند والمايا التي تؤكد علىٰ ذلك[٢].

ولكي لا نطيل، للهند عطايا وهدايا روحانية ودينية وفلسفية. كما أن لها دورًا عظيمًا في ابتكار وتعليم الحرف وفنون الكتابة واللغة والآداب. وتعرف بعلومها وفن عمارتها وحوكمتها وإدارتها. وحرفها وصناعاتها ودورها الريادي في التجارة وعلوم الطب، وغير ذلك.

الروحانيات والدين والفلسفة:

أما عن الروحانيات والدين والفلسفة، فالهند في ذلك عالم

---

(١) Peter Francis Jr., Early historic South Indian and the international maritime trade, Man and Environment, the journal of the Indian Society for Prehistoric and Quaternary Studies, January–June 2002, vol. XXVII, no. 1, pp. 153-160.

(٢) Neil Steed and David J. Eccott, Comalcalco: A case for pre-Columbian transoceanic contact, migration and diffusion، January-March 2001, vol. 1, no. 5, pp. 76-111.

آخر مستقل عن غيره من العوالم. وهي الأكثر من غيرها إسهاما في تلك الميادين والمجالات[١]. ولولا أن يطول بنا المقال لتحدثنا عن تلك العلاقة الجدلية بين ما تقدمت به الهند من أطروحات فلسفية ودينية وروحانية هندوسية وتشابكها مع ما عرفته حضارات مصر القديمة والعراق واليونان وما هو أبعد منها غربا.

وهكذا نرىٰ البوذية وأفكارها تنتشر، وفي كل الاتجاهات. حيث وصلت مبكرا إلىٰ الإسكندرية في مصر وأماكن أخرىٰ من البحر الأحمر ومرافئه التاريخية. وعبر أفغانستان تراها وقد وصلت إلىٰ آسيا الوسطىٰ، ومن خلال طريق الحرير إلىٰ قلب الصين، ومن الصين إلىٰ منغوليا شمالا. وكله قبل ميلاد السيد المسيح بقرون[٢].

---

(١) Swami Prabhavananda, The spiritual heritage of India: A clear summary of Indian philosophy and religion (2nd edition), Vedanta Press Bookshop, Hollywood, Ca, 1979.

(٢) Ancient civilizations, South Asia, India and beyond, The birth and spread of Buddhism. Link: http//:www.ushistory.org/civ/8d.asp. (Retrieved 4 July, 2014).

Also, see for further information: H. C. Warren, Buddhism in translations 1896, repr. 1963); D. T. Suzuki, Zen Buddhism (1956); A. Wright, Buddhism in Chinese history 1959), repr. 1979); E. Conze, Buddhism (1953, repr. 1959), Buddhist scriptures (1959), and Buddhist thought in India (1962, repr. 1967); E. Zürcher, Buddhism (1962); K. S. S. Ch'en, Buddhism in China 1964), repr. 1972); W. T. de Bary, The Buddhist tradition in India, China, and Japan (1969); T. Ling, The Buddha (1973); S. J. Tambiah, World conqueror and world renouncer (1976); L. Hurvitz, Scripture of the lotus blossom of the fine

أيضا، كان الوصول في أوقات أخرىٰ إلىٰ سيلان (سريلانكا)، وبورما (مايانمار)، وسيام (تايلاندا)، وماليزيا، وأندونسيا، وأرض الخمير (كامبوديا)، ولاوس، وأرض الكامبا (فيتنام)، وكوريا واليابان[1]. هذا وان كان قد تحول لاحقا كثيرون من سكان تلك البلاد التي وصلت إليها أفكار الهندوسية والبوذية لصالح الإسلام وأفكاره، خاصة فيما يعرف اليوم بأرض سومطرة والملايو وفطاني وآراكان، وبنغلادش، وكشمير، وباكستان وأفغانستان.

الكتابة واللغة والآداب:

هنالك جدل كبير حول فيما إذا كانت اللغات الهندية - الأوروبية علىٰ صلة أم لا، فلتعقيد السانسكريتية من غير السهل القول بأنها أصل اللغات في أوروبا، أو غيرها من لغات الجغرافيا الغربية بالنسبة إلىٰ الهند. صحيح أن هنالك من يفترض احتمالية

dharma (1976); R. H. Robinson, The Buddhist religion (3d ed. 1982); and R. Gombrich, Theravada Buddhism (1988); J. Ishikawa, The Bodhisattva (1990).

(١) Hinduism, The spread of Hinduism in Southeast Asia and the Pacific, Encyclopedia Britannica. Link: http//:www.Britannica.com/EBchecked/topic/266312/Hinduism/8988/The-spread-of-Hinduism-in-Southeast-Asia-and-the-Pacific. (Retrieved 5 July, 2014). See also: R. Lester, Theravada Buddhism in Southeast Asia (1973); W. Rahula, What the Buddha taught (2d ed. 1974); D. and A. Matsunaga, Foundations of Japanese Buddhism (1974-76).

وجود صلة إلا أن الأمر من الصعوبة بمكان الفصل فيه.

ومع ذلك، فمنذ البدايات نرىٰ السانسكريتية وقد انتشرت في كل من آسيا الوسطىٰ، والتبت والصين، وجنوب شرق آسيا. كما وصلت لغة بالي (Pali) ذات الأصول الهندية من ميانمار إلىٰ فيتنام. بل وجد في تلك المناطق حتىٰ منغوليا (شمالا) العديد من المخطوطات ذات الجذور السانسكريتية. كما أن التسميات السانسكريتية ظاهرة بحد ذاتها في العديد من البلدان الآسيوية، خاصة بلدان جنوب شرق آسيا، وبورما، وتايلندا، وكمبوديا، وفيتنام، وبالي الاندونيسية. فالمدهش في بالي مثلا أن أسماء عدد من الأنهار الهندوسية بالدارج تداولها بين الناس، كنهر الغانغا، والسند، واليامونا، وكافيري، وسرايو، ونارمادا. كما أن كثيرًا من ملوك وأمراء تلك البلاد يحملون من الأسماء والألقاب ذات الأصل السانسكريتي[١]،[٢].

وعندما يأتي الأمر إلىٰ الكتابة، براهمي (Brahmi) يعد أول

---

(١) K. V. Raman, Indian influences on the place-names of South East Asia. Sandhan, January-June 2002, pp. 107-127.

(٢) K. V. Raman, Indian influences in Southeast Asia as reflected in the personal names, in Ancient and medieval commercial activities in the Indian Ocean, in Noboru Karashima, Testimony of inscriptions and ceramic-sherds (edited), Taisho University, Tokyo, pp. 184-206.

حرف هندي تاريخيا، حيث ارتكزت عليه العديد من الأحرف الآسيوية في بورما والتبت وكمبوديا والملايا وجافا، وسومطرة، والفلبين وغيرها من البلدان والأقاليم[١]. من هنا كانت انطلاقة الأدب الهندي القديم إلىٰ المحيط القريب والبعيد عبر الحرف واللغة. فرامايانا والماهابهاراتا (Ramayana and Mahabharata) كانتا وما زالتا حاضرتين في معظم أرجاء آسيا. في الصين وفي كمبوديا وتايلندا وماليزيا ولاوس، وفي أندونسيا وغيرها[٢]،[٣].

كما أن حكايات الأديب الكبير كاليداسا (Kalidasa's Abhijnanashakuntala) أيضا بالحاضرة بكل حيثياتها وسياقاتها الهندية، في الهام الكتاب والشعراء في بلاد الغرب، وعلىٰ رأسهم الفيلسوف الألماني الكبير غوتي (Goethe). ،الحال عندما يتأتىٰ الأمر إلىٰ الكتاب المقدس «الغيتا» (Gita)، وسلسلة «الأبانيشاداس» (Upanishads)، وأفكار بوذا (Buddha's thoughts) حيث وصلت إلىٰ ما

---

(١) حول نشأة الحرف «براهمي» وانتشاره، يمكن معرفة المزيد من خلال الرابط الإلكتروني:

http://www.ancientscripts.com/brahmi.html. (Accessed 5 July, 2014).

(٢) The UNISCO Courier, The Ramayana and the Mahabharata: Two great epics of India and South Asia, H.W. Wilson Co., New York, 1967.

(٣) Malini Saran and Vinod C. Khanna, The Ramayana in Indonesia, Ravi Dayal Publisher, New Delhi, 2014.

لا يمكن لأحد أن يتصوّره[١]، [٢]، [٣]، [٤].

هذا ولا يفوتنا الإشارة إلىٰ حكايات «البانكاتانترا وسوماديفاز كاثاسار يتساغارا» وما تعارف عليه بـ«محيط القصص» (Panchatantra and Somadeva's Kathasaritsagara) والتي كانت من بين أوائل ما أبحر غربا من الأدب الهنديّ؛ وذلك عبر من هم فرس وعرب[٥]، [٦].

---

(١) Arise Bharat, Rousing national consciousness: Impact of Kalidasa on the West. Link: http//:arisebharat.com/2011/10/22/impact-of-kalidasa-on-the-west/. (Retrieved 6 July, 2014).

(٢) Ibid.

(٣) Milestone Documents, Upanishads. Link:
https//:www.milestonedocuments.com/documents/view/upanishads/impact. (Retrieved 6 July, 2014).

(٤) Impact of Buddhism on Civilization. Link:
http//:bodhikaram.wordpress.com/2012/04/08/impact-of-buddhism-on-civilization/. (Retrieved 8 July, 2014).

(٥) Arthur W. Ryder (translator), The Panchatantra of Vishnu Sharma (c. 1199), University of Chicago Press, Chicago, 1925, See also: Stories from Panchatantra. link:
http//:www.bharatadesam.com/literature/panchatantra_stories/tales_of_panchatantra.php. (Retrieved 8 July, 2014).

(٦) N. M. Penzer, The ocean of story (Being C. H. Tawney's translation of = =Somadeva's Katha Sarit Sagara (ocean of streams of story), Chas. J. Sawyer Ltd., Grafton House, London, 1926. (10 volumes works).

الرياضيات والعلوم:

رجوعًا إلىٰ ما يعرف في تاريخ العلوم الرياضية بمقررات «شولبا سوتراز» أو «سولباسوتراز» /(Sulba sutras ShulbaSutras) الهندية المصدر، نجد المؤرخ الرياضي الأمريكي، إي. سايدنبيرغ (A. Seidenberg)، يشير إلىٰ أن المعرفة الرياضية المتوافرة فيها لا ترجع في أصولها إلىٰ حضارة بابل القديمة ورياضياتها (كما يتصور البعض)، إنما تراه يؤكد علىٰ مسألة مفادها بأن رياضيات كل من فيثاغورس (Pythagorean) وبابل، وما بينهما مما هو مشترك، لهما مصدرًا رياضيًا واحدا، يعود إلىٰ حقبة زمنية أقدم منهما، حيث أرجع الرجل ذلك إلىٰ الألفية الثانية قبل ميلاد السيد المسيح، إلىٰ ما أشرنا إليه من نبع رياضيّ هندي قديم[١]،[٢].

كما أن نظام العد الرقميّ والعد العشريّ، والذي لا يضاهيه نظام علميّ إلىٰ يومنا هذا جذوره هندية. يضاف إليه العد بتوظيف الصفر كقيمة مكانية عرفته الهند قبل غيرها من رقاع الأرض[٣]. من

(١) A. Seidenberg, The origin of mathematics, in Archive for history of exact sciences, 1978, vol. 18 no, 4, p. 329.

(٢) S. Balachandra Rao، Indian mathematics and astronomy: some landmarks (3rd edition), Bhavan's Gandhi Centre of Sciences and Human Values, Bangalore, 2004, p. 14.

(٣) Arvind Kumar Singh، Zero in early Indian inscriptions، Puratattva, 2008, no. 38, pp. 121-126.

وجهة نظر العلامة جورجز افرا (Georges Ifra) منذ آلاف السنين، وقبل الأوروبيين (أو غيرهم) عرف علماء الهند الصفر وتحدثوا عن شارات اللانهاية[١].

معارف الهنود في علوم الجغرافيا والنجوم مشهود لها، ويكفينا علمًا أنها ساعدت العرب والمسلمين كثيرًا؛ ليجوبوا عالم البحار، وكشف الكثير حول عالم الكواكب والنجوم.

وما زيارة بلاط الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في بغداد إلا بالمؤشر الدال علىٰ ذلك، حيث هنالك من المراجع والمصادر التي تقول بأنه قد زاره في المنتصف الثاني من القرن الثامن الميلادي خبراء هنود في حوزتهم جداول فلكية تتحدث عن مطالع الكواكب والنجوم، ومصادر لحساب الكسوف والخسوف، وما يتعلق بذلك[٢].

كما أرَّخ في العام ٨٠٣م قيام خبراء فلك هنود في الشروع في بناء مراصد مراقبة لصالح العرب المسلمين، في كل من دمشق وبغداد[٣].

---

(١) Georges Ifrah، Lowell Bair، From one to zero: A universal history of numbers (translated), Penguin Books, London, 1987.

(٢) S. N. Sen, Astronomy, in D M Bose, S. N. Sen and B. V. Subbarayappa, Concise history of science in India (edited), Indian National Science Academy, New Delhi, 1971, p. 153.

(٣) W. H. Siddiqi, India's contribution to Arab civilization, in Lokesh Chandra et al., India s contribution to world thought and culture (edited), Vivekananda Rock Memorial Committee, Madras, 1970, p. 584.

أيضا كان للعلماء الهنود نصيبًا للعمل في بيت الحكمة الذي أسّسه الخليفة العباسيّ المأمون للعلم والترجمة[١]. كما أن هنالك من يقول بأن الكثير من أعمال وترجمات العلامة المسلم، أبو عبد الله محمد بن موسىٰ الخوارزمي، ذات سَنَد هنديّ، بل من خلاله تمّ نقل الكثير عمن هم هنود وفرس وعرب إلىٰ أوروبا[٢]. وبعد الخوارزميّ بقرنين، نرىٰ البيروني يترجم الكثير مما هو مخطوط بالسانسكريتية إلىٰ العربية والفارسية، ويقول الكثير في الهند وعلومها وفلسفاتها، وأبعاد ذلك حضاريا وثقافيا[٣].

فنّ العمارة والحوكمة والإدارة:

فعلىٰ الرغم مما اعترىٰ التراث الهندي من مصاب جراء فتوحات وملابسات الحروب سواء الداخلية منها أو بفعل العامل الخارجي، إلا أننا نجد للهند حضورًا فنيّا ومعماريًا محليًا وإقليميًا وعالميًا.

فالقصور والمعابد والحدائق العامة والخاصة تراها ومنذ البدايات الحضارية في كل مكان.

---

(١) Ibid., pp. 584.

(٢) B. V. Subbarayappa, India's contributions to the history of science, in D M Bose, S N Sen and B V Subbarayappa, Concise history of science in India (edited), Indian National Science Academy, New DelhI, 1971 p. 47.

(٣) Alberuni's India, Edward C. Sachau (translated), 1888, republ., Rupa, New Delhi, 2002, pp. 5-6.

في أفغانستان المجاورة كشف علماء الآثار في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي عن جداريات وتماثيل صخرية ضخمة لبوذا وعدد من الكهوف المنحوتة في الصخر علىٰ طريق الوصول إلىٰ الصّين(*). كما أن لمسات فنون مدرستي «غاندهارا» (Gandhara) ذات النشأة الهندية و «ماثورا» (Mathura) حاضرة وبقوة في تلك الأعمال الفنية[1]،[2].

أما عن قباب التعبير عن البوذية وفنونها الجميلة فنراها وقد انتشرت شرقا إلىٰ بورما ومنها إلىٰ اليابان، وهكذا فيما يتعلق بدور العبادة الهندوسية. ويكفينا علمًا أن جافا الاندونيسية تحتضن أكبر قبة بوذية في العالم (Borobudur' Javas)، وفي أرض الخمير

(*) بقيت تماثيل بوذا قائمة منذ نشأتها وعبر العصور، بما فيها فترات حكم المسلمين لشبه القارة الهندية وما يحيط بها، إلىٰ أن جاء حكم حركة طالبان الأفغانية، حيث عمدت الأخيرة علىٰ نسف تلك التماثيل مستخدمة مادة الديناميت المتفجرة، مما أثار عنفا طائفيا بين من هم بوذا ومسلمين في سريلانكا وبورما وتايلندا وغيرها. الجدير بالذكر أن المسلمين الأوائل والأقرب إلىٰ نبع الإسلام الصافي سواء في زمن الخلفاء الأمويين أو من جاء بعدهم، وعلىٰ رأسهم الخليفة عمر بن عبد العزيز لم يقوموا بمثل هذه الأفعال المثيرة للجدل.

(١) Encyclopedia Britannica، Gandhara art. Link http://www.britannica.com/EBchecked/topic/225187/Gandhara-art. (Retrieved 10 July, 2014).

(٢) Encyclopedia Britannica, Mathura art. Link: http://www.britannica.com/EBchecked/topic/369326/Mathura-art?anchor=ref291191. (Retrieved 11 July, 2014).

(كامبوديا) تجد هنالك أكبر معبد هندوسي . بوذيّ عرفه العالم؛ معبد «أنغور-وات» (Angkor-Wat temple)[1].

كما أن قصص وحكايات «بوذا وراما وكرشنا وفشنو» وغيرهم تراها محفورة علىٰ جدران تلك القباب والمعابد، وممزوجة بما كان ولم يكن. وكله كان وما يزال يعد بمثابة تلك الأرضية التي أخرجت لنا صورًا وأشكالا جديدة من صور وأشكال التمازج الثقافي والحضاري، خاصة بعد دخول فعل العامل الصيني علىٰ خط الفعل الحضاريّ.

أطلق ثقافيا علىٰ المنطقة الواقعة ما بين الهند والصين والمعروفة جغرافيا بمنطقة جنوب شرق آسيا بـ«الهند العظمىٰ» أو (الهند الصينية)، وعرفت تلك العملية الثقافية في التأثير علىٰ تلك المنطقة كما يحلو لنا ترجمتها بـ«الهندنة» (نسبة إلىٰ الهند، لا الهندوسية)[2].

أما عن فنون الحكم والإدارة فقد شهدت لتلك الفنون حضارة وادي الاندوز منذ القدم، فالجماهيرية والكنفيديرالية وغيرها من صور وأشكال الحكم علىٰ ما يبدو كانت بالحاضرة، وهو ما يمكن

(١) Buddhist Temples And Stupas. Link:
http://factsanddetails.com/asian/cat64/sb414/item2615.html. (Retrieved 12 July, 2014).

(٢) George Coedes and Wlter F. Vella, The Indianized states of Southeast Asia (edited), East-West Centre Press, Honolulu, 1964.

لنا فهمه جيدا من خلال ما عبر عنه المؤرخ الكندي الكبير «ستيف موهلبيرغر» (Steve Muhlberger) في أحد أعماله العلمية، حيث قال: التعرف علىٰ تجربة الهند القديمة في العمل الجماهيريّ، كفيل بحد ذاته جعل الديموقراطية تبدو وكأنها تطور غير عادي، بل تبديد للفكرة الشائعة بأن مفهوم الديموقراطية غربي بصورة حصرية.

إنه لجدير بالملاحظة القول بأن الفترة الزمنية القريبة من الألف سنة، المحصورة ما بين ٥٠٠ قبل ميلاد المسيح و٤٠٠ بعد الميلاد، وجود جمهوريات منتشرة في كل ناحية من نواحي الهند[١].

الحرف والصناعات الهندية:

معارف وخبرات الهنود سواء في مجال صناعة السفن أو الإبحار بها وما يتعلق بذلك من مهارة وحرفية عبر المحيطات والبحار من أهم تلك الفنون التي عرفتها الهند قديما، وذلك منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد. حيث أنه من الممكن أن يكون قد استفاد من هم في المنطقة الغربية من الهند القديمة من تلك الخبرات، خاصة فارس والعراق القديم والعرب وغيرهم[٢].

---

(١) Steve Muhlberger, Democracy in Ancient India. Link:
http://faculty.nipissingu.ca/muhlberger/HISTDEM/INDIADEM.HTM. (Retrieved 13 July, 2014).

(٢) Stephen Gosch and Peter Stearns, Premodern travel in world history, Taylor & Francis, London, 2007.

كما يعتقد بأن بحارة هنود من غوجارات (Gujarat) (بغض النظر عن الجدل حول الخلفية الدينية لأولئك البحارة) قد ساعدوا الرحالة البرتغالي فاسكو دا غاما (Vasco da Gama) من الإبحار في العام ١٤٩٨م من علىٰ شواطيء ماليندي (Malindi) في شرق أفريقيا (كينيا اليوم) عبر المحيط الهندي وبحر العرب وصولا إلىٰ «كليكات» (Calicut) جنوب غرب الهند[١].

أما عن الحديد وإنتاجه، فالمعروف أنه منذ القرن الرابع قبل الميلاد (٥٠٠ ق.م) وحديد «الووتز» الهنديّ الشهير (Wootze Steel) ينتج ويصدر إلىٰ العرب والإغريق، حيث كانت تقوم عليه (وما زالت) صناعات كثيرة، ومنها ما يعرف تاريخيًا بالسيوف الهنديّة.

كما أن للإسكندر الكبير (Alexander the Great) صولات وجولات مع ذلك الحديد وخبرائه الهنود[٢]، [٣]، [٤].

---

(١) Fernandez-Armesto, Felipe, Pathfinders: A global history of exploration, W. W. Norton & Company Inc., New York, 2006, pp. 178-179.

(٢) Sharada Srinivsan and Srinivasa Ranganathan, India's legendary wootz steel: An advanced material of the ancient world, National Institute of Advanced Studies, Bangalore/ Indian Institute of Science, Bangalore, 2004, pp. 50-51.

(٣) S. Srinivasan, Wootz crucible steel: A newly discovered production site in South India, Papers from the Institute of Archaeology, University College London, London, 1994, no. 5, pp. 49-61.

(٤) A. K. Biswas, Iron and steel in pre-modern India: A critical review, Indian Journal of History of Science, 1994, no. 29, pp. 579-610.

كما أن وصول الرومان إلىٰ مدن وموانيء الهند؛ لتبادل المنتجات والصناعات الهندية معروف في كتب التاريخ، فاستيراد الرومان للؤلؤ الهنديّ، والزنجبيل، والفلفل، وخشب التيك الصلب، قد أرخ له من قبل مؤرخي الحضارة الرومان وغيرهم[١]،[٢].

هذا ولا يفوتنا الإشارة إلىٰ أنه عبر الفرس والعرب والإغريق والرومان نرىٰ الهند وقد وصلت بحرفها وصناعاتها وتجارتها إلىٰ ما يعرف اليوم بأوروبا وشمال إفريقيا، فالقطن وقصب السكر والحرير والأحجار الكريمة والعنبر والمرجان والزجاج والذهب والفضة والسجاد والتوابل والعطور والعاج من بين ما قد وصل إلىٰ تلك المناطق، والقائمة تطول[٣]،[٤].

الطب الهنديّ:

إنجازات الهند الحضارية في مجال الطب والمداواة والصيدلة

---

(١) Gary K. Young, Rome's eastern trade: International commerce and imperial policy, 31 BC-AD 305, Rutledge, London/ New York, 2001.

(٢) David S. Potter, The Roman Empire at bay: AD 180-395, Rutledge, New York/ Oxen, 2004.

(٣) Philip D. Curtin, Cross-cultural trade in world history, Cambridge University Press, Cambridge, 1984.

(٤) W. S. Lindsay, History of merchant shipping and ancient commerce, Adamant Media Corporation, Boston, 2006.

والجراحة معروفة، فجراحات سوشروتا (Sushruta) مؤرخة[١]. وكان بأن انتشر الكثير من تلك الإنجازات عبر الحدود إلىٰ البلدان والحضارات المجاورة. كما يرىٰ الفرنسيّ المتخصّص في شأن التاريخ الهنديّ «جين فليوزات» (Jean Filliozat) أنه من المحتمل أن يكون قد أخذ قدامىٰ الإغريق عن الهنود فيما يتعلق بأمور النفَسِ والتنفُسِ[٢].

كما أن هنالك اعتقادًا بأن كل من الفيلسوف الإغريقي «أفلاطون» و«ابقراط» (أبو الطب الغربيّ الحديث) قد استفادا من الطب الهندي المعروف بـ«ايورفيديك» (Ayurveda/ic)، أو ما تم الترجمة له بطب «كمال معرفة الحياة»،[٣] والطب البوذي الوقائي[٤]. كما أن طبيب الإغريق الشهير «غالين» (Galen) وأحد

(١) Sanjay Saraf and Ravi S. Parihar, Sushruta: The first Plastic Surgeon in 600 B.C., The Internet Journal of Plastic Surgery, 2006, vol. 4, no. 2. Link: http://ispub.com/IJPS/4/2/8232#. (Retrieved 14 July, 2014). See also: Raju VK., Sushruta of ancient India, Indian Journal of Ophthalmol., 2003, no. 51, pp. 119-122.

(٢) Jean Filliozat, The expansion of Indian medicine abroad, in Lokesh Chandra et al., India's contribution to world thought and culture (edited), Vivekananda Rock Memorial Committee, Madras, 1970, pp. 67.

(٣) Dominik Wujastyk, The roots of Ayurveda (edited), Penguin Classics, London, 2003.

(٤) Kenneth G. Zysk, Asceticism and healing in ancient India: Medicine in the Buddhist monastery, Oxford University Press, New York / Oxford, 1991.

ممن يكن الفضل إلىٰ الهنود ومصادرهم في عالم الطب والمداواة، وأن للأعشاب الهندية وما هو مرتبط بها من علاجات وأدوية حضور مشهود لدىٰ الرومان وأطبائهم؛ ورثة الحضارة اليونانية وعلومها[١].

وحيث هي الثقافة الهندية وآثارها الحضارية في كل من آسيا الوسطىٰ والصين، وعلىٰ وجه التحديد هضبة التبت، وصل الطب الهندي التقليدي مبكرًا إلىٰ هناك. كما أن كتب الطب السانسكريتية، وما ترجم عنها إلىٰ العديد من اللغات المحلية (وغير المحلية) نراها وقد تجاوزت حدود آسيا الوسطىٰ والتبت والصين، لتصل عبر الهند الصينية إلىٰ أقصىٰ الشرق.

دخول الأطباء الهنود إلىٰ بلاط الخلفاء العباسيين في بغداد، ومداواتهم لهم وترجمة أمهات المصادر الطبية الهندية لصالح دولة الخلافة في بغداد أيضًا بالأمر الموثق منذ القرن التاسع الميلادي. فترجمة أعمال «سوشروتا سامهيتا» (Sushruta Samhita) إلىٰ العربية و «كاراكا سامهيتا» (Samhita Charaka) مما يعرفه تاريخ الطب القديم والعمل الطبيّ[٢].

---

(١) B. V. Subbarayappa, India's contributions to the history of science, in D. M. Bose, S. N. Sen and B. V. Subbarayappa, Concise history of science in India (edited), Indian National Science Academy, New Delhi, 1971, p. 58.

(٢) R. C. Majumdar, Medicine, in D. M. Bose, S. N. Sen and B. V. Subbarayappa, Concise history of science in India (edited), Indian National Science Academy, New Delhi, 1971, p. 323.

أما فيما يتعلق بأمر التداوي بالإبر الصينية (Acupuncture)، فهنالك من المراجع والمصادر التي تشهد باحتمالية أن يكون الهنود هم من علم الصينيين ذلك النمط من الطب التقليديّ، وهو ما أدلىٰ به من شهادة، خبراء كوريون ممن تتلمذ علىٰ أيدهم خبير العلاج بالإبر الصينية، الفرنسي «برون كلودي» (Brun Claude)[١].

قصة الإسلام والهند ثقافة وحضارة:

بغض النظر عن مسألة اتهام الإسلام والمسلمين حضاريًا، والتقول عليهم في البلاد المفتوحة ومنها الهند،[٢]،[٣]، تبقىٰ نعمة الإسلام علىٰ الهند والهنود عظيمة، ويبقىٰ دور المسلمين في عمارة البلد ومشوار نهضتها وحمايتها عبر القرون بالدور الكبير[*]. فعلىٰ

(١) Brun Claude, Canons de l'acupuncture (les), tome 1, (French), Actes-Sud, Paris, 1988.

(٢) Serge Trifkovic, The sword of the prophet: History, theology, impact on the world, Regina Orthodox Press, Salisbury, MA, 2007.

(٣) Serge Trifkovic, Islam's other victims: India, FrontPageMagazine.com, Monday, November 18, 2002. Link:
http://archive.frontpagemag.com/readArticle.aspx?ARTID=21094. (Retrieved 17 July, 2014).

(*) من وجهة نظر المؤلفين، منذ أن قام الإسلام في الهند وتمكن المسلمون من تلك البلاد التي فتحوها، وهم حماة لها علىٰ اعتبار أنها أرض إسلامية، ولولا ذلك لوصلتها الحملات الصليبية باكرا كما وصلت إلىٰ تلك البلاد الضعيف سلطانها. كما أن الوجود الإسلامي في الهند ومنعة أهله في لحظة ضعف الممالك الهندوسية وتراجع مدها =

الرغم من كل ذلك التجني وسوء التأويل بحق الإسلام والمسلمين، نرىٰ مؤرخًا هنديًا عملاقا كأم. أن. روي (M.N.Roy) يمجد الإسلام والمسلمين، بل ويعلنها صراحة دون مواربة بأن الإسلام وحامليه هم من جاء برسالة الحرية والأمل إلىٰ المقهورين الهنود، وخلصوهم من جور البراهمة[١].

لقد وصل الإسلام أول ما وصل إلىٰ الهند جنوبًا عن طريق التجارة والدعوة الإسلامية بالتي هي أحسن[٢]، وذلك في بدايات القرن السابع الميلادي، وكان لاحقا بأن وصل الإسلام والمسلمون إلىٰ شمال الهند في القرن الثامن الميلادي، حيث فتح إقليم السند

= الحضاري، منع البرتغاليين والفرنسيين والهولنديين والدنمركيين والإنجليز وغيرهم من بسط أيدهم علىٰ الهند وحواضرها منذ البدايات الأولىٰ للحراك الاستعماريّ، خاصة ما أعقب منه سقوط الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس. فما أن سقط المسلمون في الأندلس لنرىٰ البرتغال ومن معهم يبحرون قاصدين الهند، ليصلوها وإن كان متأخرا في العام ١٥٤٥م. وما إن ضعف المسلمون نهائيا في الهند فإذا بالمستعمر الأوروبي بكل تشكيلاته يزحف نحو البلاد، لينهب خيراتها، ويبدد ثرواتها، هذا بعد قتله وأسره للآلاف من أبناء البلد.

(١) Ram Swarup, Historians versus history, in Sita Ram Goel, Hindu temples: What happened to them (edited), (a Preliminary survey), Voice of India, New Delhi, 1990, vol. 1, p. 286.

(٢) Atul Sethi, Trade, not invasion brought Islam to India, The Times of India, June 24, 2007. Link: http://timesofindia.indiatimes.com/india/Trade-not-invasion-brought-Islam-to-India/articleshow/2144414.cms. (Retrieved 17 July, 2014).

علىٰ يد القائد العربي المسلم محمد بن القاسم[١]، والذي يعتبر أول من قضىٰ علىٰ ظاهرة حرق المرأة الهندوسية الحيّة حسب طقوس «ساتي» (Sati) إلىٰ جانب زوجها عند موته[*].

ثم كان وصول سواحل «غوجرات» (Gujrat) من جهة بحر العرب في القرن الحادي عشر[٢]، ثم وصول الترك إلىٰ معظم مناطق الشمال في القرن الثاني عشر للميلاد، حيث أصبح الإسلام أحد ديانات الهند الكبرىٰ وجزء لا يتجزأ من ميراثها الثقافيّ[٣]،[٤].

---

(١) Nazeer Ahmed, The conquest of Sindh, History of Islam (An encyclopedia of Islamic history). Link: http://www.historyofislam.com/contents/the-age-of-faith/the-conquest-of-sindh/. (Retrieved 19 July, 2014). See also: Hugh Kennedy, The great Arab conquests: How the spread of Islam changed the world we live in, Da Capo Press, Philadelphia, 2007.

(*) استمع أحد مؤلفي هذه الدراسة وعن قرب من البروفسور أس. ي. غوبتا (S. P. Gupta)، الباحث في جامعة عليكرة الإسلامية أن محمد بن القاسم يعد أول من وضع حدا لحرق المرأة الهندوسية مع زوجها عند موته، وهو من وجهة نظره ما يحسب للإسلام والمسلمين لا عليهم. حيث استمر ذلك الفعل اللاإنساني بحق المرأة الهندوسية لأكثر من ألف سنة قبل أن يوضع له حدا، حيث تعود تلك الممارسة الدينية كشعيرة قبل مواجهة القائمين عليها إلىٰ القرن الرابع قبل الميلاد، حيث أحرق الهندوس بفعلها الكثير من نسائهم قبل أن يصل الإسلام والمسلمون إليهم!

(٢) Kumar Suresh Singh and Rajendra Behari Lal, Anthropological survey of India-Gujarat (edited), Popular Prakashan, Mumbai, 2003, p. 248.

(٣) Suresh K. Sharma and Usha Sharma, Cultural and religious heritage of India: Islam (edited), Mittal Publications, New Delhi, vol. 5, 2004.

(٤) Ross E. Dunn, The adventures of Ibn Battuta: a Muslim traveler of the fourteenth century, University of California Press, Oakland, 1986.

وعبر القرون كان بأن تكاملت ثقافة المسلمين مع إخوانهم الهندوس، بفعل عوامل التأثير المتبادل في الآخر وعوامل التمازج الثقافيّ، حيث عمل المسلمون كل ما بوسعهم من أجل نهضة بلدهم الهند اقتصاديًا وثقافيًا وحضاريًا[١]،[٢]. وتجدر الإشارة هنا، للرد علىٰ من يصور بأن مسلمي الهند قد جاؤوا من وراء الحدود، وأنهم أغراب عن الهند وأرضها وشعبها، أن غالبيتهم من سكان البلد الأصليين (Indigenous)، ممن كانوا في حقب زمنية ماضية هندوسًا وبوذا.

عظمة ومنعة الإسلام والمسلمين في الهند تكمن في استمرار حكمهم لمدة زمنية تقارب الثمانية قرون، حيث عرف عنهم إتقان فن الإدارة والهندسة والعمارة، ونشطت في عهدهم الزراعة والصناعة والتجارة. وبقي هذا الحال علىٰ ما هو عليه إلىٰ أن تولىٰ الأمر المستعمر الإنجليزيّ، حيث استعمار البلاد وقهر العباد.

عمارة المسلمين للهند وإسهامهم الثقافي والحضاري فيها يشهد لها القاصي والداني، فهم من شيد فيها المنارات كقطب منار في دلهي، والمنارات الأربع في حيدر آباد، والقلاع والمساجد، كالقلعة الحمراء، وجامع مسجد في دلهي. هذا ولا ننسىٰ روعة

(١) Shashi Tharoor, India: From midnight to the millennium and beyond, Penguin Books, London, 2012.

(٢) Mohsen Saeidi Madani, Impact of Hindu culture on Muslims, South Asia Books, Columbia Missouri, 1993, p. 1.

الهندسة المعمارية المتجسدة في تاج محل (Taj Mahal) في «أغرا» (Agra)، والذي يصنف عالميًا علىٰ أنه عجيبة من عجائب الدنيا السبع. هذا ناهيك عن دور الهنود المسلمين في بناء وتشييد المكتبات العلمية العريقة، والمدارس والمعاهد والجامعات، فجامعة عليكرة الإسلامية والتي كانت بذرتها علىٰ يد السيد أحمد خان أشهر من أن تعرف، حيث تأسست في العام ١٨٧٥م، وهنالك الجامعة العثمانية والجامعة النظامية في حيدر آباد، وجامعة الأمة الإسلامية وجامعة هامدارد في دلهي، ودار العلوم ديوبند بفروعها وتفريعاتها في سحارانبور، وندوة العلماء في لكنهو، وجامعة دار الهدىٰ الإسلامية في كيرالله، وجامعة عاليه في كالكاتا، والجامعة السّيفيّة في سورات، والجامعة السّلفيّة في بنارس، وغيرها.

ومنذ البداية ونحن نرىٰ المسلمين يلعبون دورهم الوطني والأخلاقي من أجل تحرير بلدهم الهند من براثن المستعمر الإنجليزي[1]. وكان بأن قدموا الكثير من التضحيات المعنوية

(١) من الأسماء الهندية المسلمة اللامعة في مشوار حركة تحرر الهند واستقلالها عن التاج البريطاني، وعلىٰ سبيل الذكر لا الحصر: تيتو مير (مفجر ثورة مسلحة ضد البريطان)؛ محمد علىٰ جناح (سياسي وزعيم الرابطة الإسلامية والمقرب جدا من غاندي قبل أن تنفصل الباكستان عن الهند)؛ أبو الكلام آزاد (من المقربين أيضا إلىٰ غاندي وداعمي وحدة شبه القارة الهندية)؛ محمد إقبال (شاعر إسلامي ملهم ومفكر وفيلسوف هندي فذ، ممن آمن بفكرة انفصال الباكستان عن الهند)؛ حكيم أجمل خان؛ رافي أحمد كيدواي؛ محمد اشفاق الله خان؛ خان عبد الغفار خان؛ وغيرهم من المئات بل الآلاف.

والمادية الجسام. كما نراهم وقد ساهموا إلىٰ أبعد الحدود في بناء بلدهم علىٰ الرغم من كل التحديات العرقية والطائفية والسياسية، ويكفينا أن نعلم بأن هنالك ثلاثة من بين رؤساء الهند منذ عهد استقلالها ممن هم مسلمون، وهم: د. ذاكر حسين، ود. فخر الدين أحمد، ود. أبو بكر زين العابدين عبد الكلام (يعرف بأبو القدرة الهندية الصاروخية). هذا ناهيك عمن شغلوا مناصب أخرىٰ في الدولة كنواب رئيس جمهورية، ومن هم وزراء، ووكلاء وزارات، وبرلمانيون، وإداريون، ومدراء أمنيون وعسكريون، فهم أكثر من أن يعدوا أو يحصوا[1].

هذا ولا يعني أن الطوائف الأخرىٰ في الهند ممن هم من غير الهندوس أو المسلمين لم يقدموا شيئا لبلدهم، ولا دور لهم في صناعة وتشكيل الثقافة والحضارة الهندية، بل هم كغيرهم حضور في كل المجالات والميادين وبما تعنيه الكلمة. ونخص بالذكر من هم يهودا ونصارىٰ وسيخا؛ هذا وإن كان معظم يهود الهند قد هاجروا إلىٰ دولة «إسرائيل» عقب قيامها علىٰ أرض فلسطين، وعلىٰ حساب شعب فلسطين وحقه التاريخي والعرقي والديني في تلك الأرض.

---

(١) علىٰ سبيل المثال لا الحصر: محمد هداية الله أحمدي والسيد ميرزا حميد الله بك والتماس كابير (حيث شغلوا منصب قاضي قضاة الهند)؛ محمد حميد أنصاري (حيث شغل منصب نائب الرئيس الهندي)؛ سلمان خورشيد (وزير خارجية)؛ سيد عاصف إبراهيم (رئيس جهاز المخابرات العامة)؛ السيد أس. واي. قريشي (رئيس هيئة الانتخابات العامة ـ عموم الهند)، وغيرهم الكثير.

هل للتراث الهندي من دور في مشوار النهضة الهندية؟

من حيث المبدأ، أي أمة لا تاريخ لها لا يمكن أن يكون لها حاضرا أو مستقبلا. والهند في ذلك ليست دون غيرها من الأمم. فكون روح المعرفة وحب العلم والتعلم ضاربة في الجذور والتقاليد الهندية، فمن البديهي أن تبقىٰ تلك الروح بمثابة الجذوة المتقدة في جسد الهنود الجمعيّ، عبر الألفيات والقرون، إلىٰ يومنا هذا. فالهند اليوم وفي ذات المعارف القديمة وما استجد منها نراها حاضرة وبارزة الىٰ أبعد ما قد يتصوّر. ولولا وجود ذلك التاريخ، وتلك الجذوة لما حققت الهند ما حققته من إنجازات معرفية عصرية، وعلىٰ رأسها حصاد أكثر من «نوبل»، وفي مختلف الميادين والمجالات، الأدبية منها والعلمية.

من الناحية الروحانية، وبغض النظر عن وجه الخلاف والاختلاف فيما هو فكر ومعتقد، فإن صلوات ودعوات روحانية يومية عمادها: [يا الله! يا مانح الحياة، ويا مانع الآلام والأحزان، يا معطي السعادة، ويا مبدع الكون، أعطنا من قبس نورك العظيم، ما تصرف به عنا رجس الخطايا، وأرشد عقولنا الىٰ سواء السبيل][1]، دعوات كهذه لا مواربة من أنها توقظ في النفس

(١) Culture and religion. Link:

http://www.rsbnet.com/religion/gayathrimantra.html. (Retrieved 17 July, 2014).

الحس والشعور والهمة والعزيمة واليقظة والوعي لصناعة ما فيه نهوض وحياة.

كما أن ثقافة تربي أبناءها ومنذ القدم علىٰ التعايش السلمي والآخر، بكل معانيه الكونية والوجودية، والروحانية الكامنة في كل إنسان، والتفكير الحر، واستشعار الوحدانية، ونبذ العنف، قولا وعملا، بل نبذ مجرد التفكير به، وتقدير الحياة، وأن ما يزرعه الإنسان يحصده، عاجلا أم آجلا، لا شك من أن له دوره الكبير في مشوار التنمية الفردية والأسرية والمجتمعية.

كما أن اهتمام الثقافة الهندية وأهلها «بسيكولوجيا» الإنسان الفرد والجماعة، وتناولها لقضايا الخلق والوجود، وعلىٰ مستويات عالمية وكونية، أيضا له دوره النهضويّ. كما أن توفر ثقافة تقوم علىٰ العبادة (Sathana) وتهذيب النفس (Upasana) وخدمة الآخر (Aradhana)، وضع الهند علىٰ الخارطة العالمية روحانيا، وأعطاها شخصية تمتاز بها عن غيرها في هذا المجال (هذا وإن كنا نختلف في ذلك عن الهنود وغيرهم، ولنا ما نتميز به في ذلك عن الهند وغيرها).

كما أن العلاقة مع الآخر علىٰ مبدأ «اعتني وشارك» جعل من الهند كثقافة وحضارة بلدا مكتفيًا ذاتيا منذ البدايات، وبلدا سعيدا فيه الفقير والغني، فالجميع في وئام وسلام. ولا يفوتنا الإشارة بأن مفاهيمًا كالذكاء العقلي، والذكاء العاطفي، والذكاء الروحاني، تعود في جذورها الىٰ الهند وثقافتها. وهو ما له من دور كبير في

ثقافة وحضارة اليوم، خاصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية والسلوكية[1].

وللتدليل علىٰ أن التراث الهندي ما زال فاعلا في واقع الحياة الهندية، ويلعب بطريقة أو بأخرىٰ دوره النهضوي، ومن أنه، بما يلفه من فنون وآداب وعلوم علىٰ اختلافها قد مكن للهند وللهنود من خلق حالة من الحراك التنموي الأفقي والعمودي، المحلي والإقليمي والعالمي، فإن رياضة «اليوغا» وبعمقها الروحاني والبدنيّ، وأبعادها التفاعلية مع الذات والآخر لتعد رياضة من تلك الرياضات التاريخية الضاربة جذورها في كل زاوية وناحية من نواحي الهند، بل نرىٰ الموضوع وقد امتد من هنا لينتشر في دول الجوار، ودول العالم، إلىٰ أن أضحت الهند مقصدا لتعلم فنون «اليوغا» ومتعلقاتها، حيث صار يأمها الناس لهذا الغرض من كل حدب وصوب. بل ولأول مرة في تاريخ هذه الرياضة الهندية نرىٰ من يخرج علينا ليعطيها حقها العلميّ، وقيمتها ودورها في مجال من أهم مجالات الحياة، في مجال الصحة، وعالم الصحة، وبيان كيف تعمل في ضوء ما يعرف في الفلسفة العلميّة بعالم ما وراء الطبيعة (Metaphysiscs)، وعالم واقع الطبيعة المتمثل

(١) لمعرفة المزيد عن عطايا الهند الروحانية والثقافية، يمكن النظر حول الموضوع من خلال الرابط الإلكتروني:

http://indianculture.awgp.org/ContributionofIndiatotheWorld/.(Accessed 18 June, 2014).

بالبيولوجيا والفسيولوجيا والتشريح في الطب والعلم الحديث[١].

مثال آخر حول ما للتراث الهندي من رصيد ثقافي وحضاري فاعل حتىٰ اللحظة، نظام طب الهند «الايورفيديك/ الايورفيدا» (ayurveda /Ayurvedic) المتميز. هذا النظام الطبي وكما يقول عنه الخبراء يعتبر الأقدم من نوعه علىٰ مستوىٰ العالم، حيث تعود جذوره إلىٰ الألفية الثالثة قبل الميلاد. ومع ذلك نراه واحدًا من بين أنظمة الطب وأنظمة الرعاية الصحية العاملة إلىٰ اليوم في الهند، حيث انتشار عياداته ومراكزه الصحية، وصيدلياته ودور دوائه. والتي تقوم علىٰ التداوي بالأعشاب وتكويناتها، والحميات، وغيرها من الوصفات والتوصيفات. ولنجاعته نرىٰ الحكومة الهندية المركزية وعديد من مؤسساتها البحثية، إضافة إلىٰ المؤسسات الصحية والطبية العالمية داعمة وبكل قوة لأبحاث ودراسات هذا النمط من الطب التقليديّ في الهند، إكلينيكيا ومخبريا، وفي إطاره الشرقيّ وما يلفه من تصورات واعتقادات[٢]،[٣] (*).

---

(١) Alter Joseph S., Yoga in modern India:The body between science and philosophy, Princeton University Press, Princeton, NJ, 2004.

(٢) Chopra A., and Doiphode 770, Ayurvedic medicine: Core concept, therapeutic principles, and current relevance, Medical Clinics of North America, 2002, vol. 86, no.1, pp.75-88.

(٣) Shankar K., Liao LP., Traditional systems of medicine, Physical Medicine and Rehabilitation Clinics of North America, 2004, vol.15, no. 4, pp.725-747.

(*) للعلم، وحسب بعض المصادر الأمريكية المطلعة كالمعهد الوطني للصحة (NIH) =

بالنسبة إلىٰ الهنود، معظم من يتداوون بالطب الغربي الحديث ووسائله، تراهم جنبًا إلىٰ جنب يجنحون إلىٰ خيارات طبهم التقليدي كمكمل طبي، وهو ما اعتادوا عليه منذ معرفتهم للطب الغربي الحديث ووسائله، دون التنازل عن حكمتهم الطبية التاريخية.

أما عن تراثية حرف الهند الضاربة في جذورها فيما هو ماض وتاريخ، وعن صناعاتها وتحفها وأنسجتها وزخارفها وجلدياتها، وفنون عمارتها، فهو ما يأتي للبلد بملايين السواح والزوار الأجانب من مختلف المعمورة، والذين بلغ تعدادهم في أواخر العام **٢٠١٣**م ما يقرب من الـ (**٦,٩٧**) مليون سائح وزائر[١]، حيث يمضي هؤلاء وقتهم في التجوال والترحال للتعرف علىٰ تاريخ البلد، وما فيها من معابد وكنائس ومساجد وقلاع وقصور وحدائق وجسور، ومتاحف، كلها في نهاية المطاف تسهم بطريقة أو بأخرىٰ في تحقيق مكاسب وعوائد اقتصادية تقدر بعشرات المليارات من الدولارات، وعلىٰ وجه التحديد كان وأن قدرت في أواخر العام **٢٠١٣**م

= مع نهاية العام **٢٠١٣**م تداوىٰ في الولايات المتحدة أكثر من (**٢٠٠**) ألف أمريكي بالطب الهندي التقليدي «ايورفيدا».

(١) India Tourism Statistics at a Glance 2013. Link:
http://tourism.gov.in/writereaddata/CMSPagePicture/file/marketresearch/Incredible%20India%20final%2021-7-2014%20english.pdf. (Retrieved 18 June, 2014).

بحوالي (١٨,٤٤) بليون دولار أمريكي[١].

المجتمع الهنديّ ودوره النهضويّ:

المجتمع بثقافته وحضارته ومدنيته، لا مجرد لفظة لا صلة لها ولا رصيد ثقافي أو حضاري. في مقارنته للمجتمع الهندي مع الصيني، يرىٰ الباحث الصيني شانغ هوويبنغ (Shang Huipeng) أن العلاقات الاجتماعية، والترابط مع الجماعة والمسؤولية والواجب والطاعة من الأهمية بمكان في كلا البلدين مقارنة بما عليه الحال في المجتمعات الغربية التي تؤكد علىٰ الفردية بكل صورها وأشكالها.

من وجهة نظره: لا مجال -وهذا الحال- للمنافسة الفردية علىٰ حساب الجماعة، كما أن السلام والتنسيق والتناغم بالأمر إلهام اجتماعيًا، وهو ما يراه حاضرًا في المجتمع الهنديّ. الأسرة والحمولة أيضا بالحاضرة في ذلك المجتمع. صحيح أن هنالك مقاربات ومفارقات بين الهنود والصينيون اجتماعيًا إلا أن نقطة الالتقاء تدور حول المكانة الجماعية علىٰ حساب الفردية، ولما فيه الصالح العام اجتماعيا وفيما هو تنمية وتطور نحو ما هو أفضل.

كما أن للانفتاح المجتمعي علىٰ العولمة والحداثة ولو بصورة نسبية، وتبني أفضل ما في الرأسمالية من مبادئ وقيم لردف ما هو جمعي واشتراكي كله لعب دوره الهام في مشوار النمو الاقتصاديّ

(١) Ibid.

والنهوض الاجتماعي[١].

كما أن لحضور المؤسسة الدينية وتعددها، والاعتراف بذلك، وحضور مؤسسة الأسرة والحفاظ علىٰ بنيتها، ولعبها لدورها الريادي في الزواج ومتعلقاته، إضافة لحضور المناسبات الوطنية والقومية والثقافية علىٰ اختلافها، والأعياد، وطقوس الحياة والطعام والشراب، والأزياء واللباس، وحضور اللغات وآداب من يتحدثون بتلك اللغات، والفنون بكل صورها وأشكالها، والرياضة وفنون القتال ووسائل التواصل والاتصال الجماهيرية، له دوره الكبير في نهضة الهند وتمكينها من لعب دورها الريادي والثقافي والحضاري، محليًا وإقليميًا ودوليًا[٢].

دار صناعة الأفلام الهندية «بوليوود» (Bollywood) كمؤسسة تجمع بين كل عناصر وأطياف ما ذكر كتصوير للحياة الاجتماعية والثقافية والحضارة الهندية، تنتج وبلغات عدة أكثر من ألف فلم «سينيمائي» من كل عام. كما أنها الأضخم في مجالها

(١) Shang Huipeng, Soio-cultural tradition and development of India: A comparison with China, in Tan Chung, Zhang Minqiu and Ravani Thakur, A Chinese quest for understanding India across the Himalayan Gap (edited), Indian International Centre/ Konark Publishers, New Delhi, 2013, pp. 103-144.

(٢) حول تفاصيل وتعقيدات الثقافة الهندية، يمكن النظر في الموسوعة الحرة «ويكيبيديا» من خلل الرابط الالكتروني:

http://en.wikipedia.org/wiki/Culture_of_India#Cuisine. (Accessed 20 July, 2014).

هنديًا وعالميًا[١]، وبغض النظر عن النقد الموجه إلىٰ نوعية وكمية تلك الأفلام الصادرة عنها، والسجال الدائر بين النقاد حول موضوعات بعضها، تعد «بوليوود» حلقة وصل تفاعلية كبرىٰ بين الهنود أنفسهم، بل بين الهنود وجيرانهم ممن يشتركون وإياهم في التاريخ والجغرافيا، وبين الهنود وشعوب الأرض قاطبة.

وعودة إلىٰ هوييينغ نراه وفي سياق مقارنته ما بين الثقافة الهندية والصينية يؤكد علىٰ أن لغنىٰ الهندوسية كإطار ثقافي دوره المرتبط بالتنمية الحالية في الهند والمستقبلية. صحيح نراه ولأسباب عدة يحمل الهندوسية مسؤولية بعض مظاهر وصور التخلف وعلىٰ رأسها داء الفقر، إلا أنه يعود ويؤكد أنها ثقافة تتمتع بالمناعة للتكيف مع ما هو مستجد وطاريء عندما يتعلق الأمر بالحداثة وأنماطها (أي ضمنيًا هنالك قدرة علىٰ استيعاب كل ما هو خارجيّ)[٢].

المجتمع الهندي ليس بمجتمع هندوسي بحت كما قد يتصوره البعض، وحصاده في مختلف المجالات والميادين ليس بفعل الجد

---

(١) Janet Wasko, How Hollywood works, Sage Publications, Thousand Oaks, 2003, p. 185.

(٢) Shang Huipeng، Soio-cultural tradition and development of India: A comparison with China, in Tan Chung, Zhang Minqiu and Ravani Thakur, A Chinese quest for understanding India across the Himalayan Gap (edited), Indian International Centre/ Konark Publishers, New Delhi, 2013, pp. 103-114.

والجهد الهندوسي فحسب، فالبوذية وأتباعها كانت ديانة الهند لما يقرب من الألف عام[١]، وهنالك وجود للمانوية، والإسلام والمسلمين، وغيرهم. ناهيك عن الوجود التاريخي لليهود والنصارىٰ والفرس المجوس (Parises)، وظهور السيخية المتأخر كعقيدة كونية تجمع ما بين الكثير من المبادئ الهندوسية والإسلامية.

وما الفن الهندي والعلوم والآداب والهندسة المعمارية (بكل صورها وأشكالها)، وصناعة السينما والعمل المسرحي وإنتاج ما هو طعام وشراب وأزياء، وكل ما هو بناء وعطاء إلا بفعل مساهمة وجهود من هم هنودا بعيدا عن حواجز وحدود طوائفهم الدينية، وطبقاتهم الاجتماعية ومشاربهم العرقية واللغوية.

في مقابلة له حول موضوع التعددية الثقافية الهندية مع الغرب، نرىٰ الكاتب الهندي «أركو داس غوبتا» (Arko DasGupta)، وكما ينقل عن المفكر «أمارتيا سين» (Amartya Sen) بأن الثقافة الهندية (بكل صورها وأشكالها التعددية) منذ البداية وهي قادرة علىٰ امتصاص (استيعاب) كل ما هو ماديّ وما هو فكريّ من كل حدب وصوب[٢].

---

(١) Fundamentals of Buddhism, a BuddhaNet Production. Link: http://www.buddhanet.net/fundbud2.htm. (Retrieved 20 July, 2014).

(٢) Arko DasGupta, Cultivating multiculturalism: India and the West, April 22, 2013. Link: =

كما أن الحضور الجمعي للهندوسية كدين أغلبية منتشر في ربوع الهند ليس بالمهيمن علىٰ غيره من ديانات من هم أقليات. هذا ما ينقله لنا الكاتب «داس غوبتا» ويتبناه كتصور عندما يتأتىٰ الأمر إلىٰ عالم اللغات، وتباينها في الولايات والأقاليم الهندية، حيث أن اللغة الهندية لم تفرض علىٰ من يتفاعلون ويتواصلون (لاعتبارات عرقية وجغرافية) مع بعضهم بعضًا بلغات أخرىٰ غير الهندية. فالهند ومنذ قرون خلت قادرة علىٰ صهر أناسها المختلفين في مجتمع واحد. وأن هنالك فرقا كبيرًا ما بين تعددية الهند الثقافية وتعددية أوروبا.

حيث أن روح الهندي الثقافية حوارية بامتياز (Dialogic)، وأن لكل جماعة مكانها الذي ترتكز إليه وتنطلق منه لتسمع صوتها جماهيريًا. فالعزل والفصل كما عرفته أوروبا تاريخيًا (Ghettoisation) كسمة لمن هم مختلفين عرقيا وثقافيًا ودينيًا حالة استثنائية في الهند لا بالقاعدة[1].

بحكم الديموقراطية الدستورية الفاعلة منذ الاستقلال، وما اعتراها من صعاب ومخاضات عسيرة، وإيمان الهند لاعتبارات ثقافية ودينية واجتماعية وطبقية وعرقية وجغرافية تم الاعتراف

= http://blog.tehelka.com/cultivating-multiculturalism-india-and-the-west/. (Retrieved 20 July, 2014).

(١) Ibid.

بالجميع، وعلىٰ أن الجميع ينصهر في بوتقة كونه «هندي»، وأن الجميع سواء، وأن لا فرق بين من هم هنود. وهو ما نراه وهذه الحالة بالعامل الهام من بين أهم عوامل نهضة الهند، ونهضة الإنسان الهنديّ؛ غير المتجانس أصلا.

كيف دبرت الهند تعدديتها الثقافية وغير الثقافية في المجتمع الهندي؟

لا شك أن التعددية الثقافية والتعددية الدينية في الهند وما يتعلق بها من تباينات بالمسالة الفريدة من نوعها في منطقة جنوب آسيا بل علىٰ مستوىٰ آسيا. فمنذ البدايات تم التنبه الىٰ هذه المسالة الحساسة لحاصرة فرص الصراع أو الحد منها في حال نشوبها، ولتقوية فرص التعاضد والتكامل الاجتماعي، حيث لجأت الهند كدولة إلىٰ سياسات من نوع المحاصصة لحفظ حقوق من يتوجب علىٰ العاملين في القطاعات الحكومية العامة المحافظة عليها، فكون هناك الكثير من الجماعات والمجتمعات الفرعية في المجتمع الهندي العملاق (غير المتجانس أصلا)، وذلك لضمان الحقوق والفرص، وهو ما يرىٰ فيه باحثون أنه كخيار عائد إلىٰ عهد الحكم الإسلامي المغولي، حيث سارت الحكومة الهندية علىٰ خطىٰ حكام المغول، وكان بأن عالجت الأمر دستوريا منذ اللحظات الأولىٰ للاستقلال، وأقرته كواقع لا مفر من تقييده بنصوص ومود دستورية لا فيه الصلح العام الهندي[1].

(١) Bhattacharyya, H., Multiculturalism in contemporary India, International Journal on Multicultural Societies (IJMS), 3003, vol. 5, no.2, pp.148-161.

وكون الهند في حراك ثقافي داخلي مستمر منذ القدم، خاصة أكثر ما يولده حركة الثقافة الهندوسية وحركة الثقافة الإسلامية (أكثر من غيرهم من الثقافات)، إضافة إلىٰ وجود هويتين، هوية أهل الشمال، وهوية أهل الجنوب، نرىٰ الحكومة المركزية تقبل بأن يكون لكل ولاية طابعها الإثني الديني، ولغتها المحلية كلغة رسمية، علىٰ أن تكون الإنجليزية لغة خطاب وتخاطب فيما بين الولايات[١].

أما عن المعالجات الدستورية لذلك الواقع الثقافي المتباين، كان بأن وضع الدستور الهندي علىٰ أساس تمثيل الجميع، ومراعاة الحقوق الثقافية للجميع في المجتمع الهندي. فالمادة ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢١، ٢٩، ٣٠، ٣٩، ٤٦، ٢٤٣ د، ٢٤٣ ت، ٣٣٢، و٣٣٤، جماعها تتضمن تلك الحقوق الأساسية لجميع الجماعات والتجمعات والمجتمعات المختلفة ثقافيًا في الهند، بما فيها الحقوق السياسية والحقوق المؤسساتية بمختلف صورها وأشكالها[٢].

فالهند وهذه الحالة الدستورية نراها تعترف بجميع أبنائها وفوارقهم الطائفية والطبقية واللغوية والعرقية والجغرافية، ونراها منذ البداية تأخذ علىٰ عاتقها مسؤولية تكييف الواقع ليخدم الجميع،

---

(١) Ibid.

(٢) Mathews، M. Mohan، India: Facts & figures, Sterling Publishers, New Delhi, 2001, p.129.

في مجتمع غير متجانس وغير متساوي. فالمادة ٤٦ علىٰ سبيل المثال لا لحصر ترىٰ بأنه لا بد من حفظ ما يلزم من الحقوق التعليمية والمعيشية لطبقات المهمشة في المجتمع الهندي. كما أن موادًا أخرىٰ كالمادة ٢٤٣ د و٢٤٣ ت و٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٥، تؤكد علىٰ مثل ذلك خاصة في إعطاء الفرص في القطاعات الحكومية المختلفة، حيث يستفيد من ذلك ما يقدر بحوالي ٤٠% من أبناء الهند[١].

(١) Zwart, De Frank, The dilemma of recognition: Administrative categories and cultural diversity, theory and society, Springer Publication, London, 2005, p. 140.

الفصل الخامس

مؤسسات التعليم ومراكز البحث العلمي في الهند وأبعاد الاستثمار في العلوم والتكنولوجيا

العقل العلميّ الهنديّ:

منذ القدم والهنود روادًا في علوم الفلك والرياضيات والتنجيم والجغرافيا والجبر والميكانيكا، والذرة، والكيمياء والطب، وجراحات التجميل ورياضة اليوغا، بل عرفوا قبل غيرهم تكنولوجيا الطيران، والعلوم الكونية وغيرها من العلوم. فعلماء كـ«أريابهاتا، فاراهاميهيرا، بهاسكاراكاريا، أكاريا كاناد، ناغارجونا،، أكاريا كاراك، أكاريا شوشروت، أكاريا باتانجالي، أكاريا بهارادواج، أكاريا كابيل، وغيرهم»، ممن خلدهم تاريخ العلم والمعرفة، ليس في الهند وحدها، بل أيضا علىٰ مستوىٰ هذا العالم[١].

فقبل أن يشرع الأوروبيون في تقييد أنفسهم بفكرة الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) عن كون العالم في نشأته يعود إلىٰ بضعة آلاف من السنين، كان أصحاب وفي ذات السياق «المايا» (Mayans) يفكرون بملايين السنين، وكان الهنود يفكرون بالبلايين[٢].

---

(١) APJ Abdul Kalam and Sivathanu Pillai, We can do it: Thoughts for change, Pentagon Press/ Shree Book Centre, Mumbai, 2014, pp. 3-9. See also: Great Indians who did great things. Link:

http://www.stephen-knapp.com/great_indians_who_did_great_things.htm. (Retrieved 1 August, 2004).

(٢) Carl Sagan, Cosmos, Ballantine Books, New York, 1980, pp. 213-214.

لقد عُرفت الهند في حالات قبل غيرها، وفي حالات أخرىٰ علىٰ التزامن مع غيرها بعلمائها غير العاديين، وفي شتىٰ العلوم والميادين. فقد سبق وأن تطرقنا إلىٰ مكانة الهند الثقافية، وما قدمته كحضارة إلىٰ العلم والعالم. وهو في الجملة ما يعكس نوعا من تقدم البلد التاريخي في مجالات الحياة، السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فما كشفت عنه الحفريات فيما يتعلق بآثار حضارة «الهارابان» و«الموهينجودارو» (Mohenjodaro and Harapan) يشهد علىٰ علمية الهند وعظمة علمائها منذ ٢٥٠٠ عام قبل الميلاد، بل قدرة الهنود التاريخية علىٰ التنمية والتطوير، في مجال الزراعة، وأنظمة الصرف الصحي، وتخطيط الشوارع والطرقات، وصناعة الفخار والحلي وغيره.

كما أن لامتداد الزراعة وانتشارها في العهد «الفيدي» (Vedic Period)، وظهور المدن والولايات لدليل آخر علىٰ تلك العظمة العلمية.

تمجيد المعرفة والعلم والعلماء والبحث في أمور الكون، وأصل نشأة ذلك الكون، والموت والحياة، وعالم الروح والمادة، وطبيعة المعرفة، كما جاء في كتب «الفيدا» (Vedas) و«الابانيشاداز» (Upanishadas) من أكثر تلك الأسئلة المطروحة وتلك الاهتمامات التي تنطّح لها الهنود وعلماء الهند.

خط الكتب والمجلدات في الفلك وعلم القواعد، واللغة والصوتيات وغيرها، أيضا كان من بين ما سطره العقل العلميّ

الهنديّ، فتصنيفات «فيدانتا» (Vedanta) و«الاشتادهيايي» (Ashtadhyayi) من بين وأهم تلك التصنيفات.

كما أن لظهور صكّ العملة، وظهور أدوات الحرب، وتشكيل المعادن، وبناء السدود علىٰ الأنهار، ونشاط علم الطب في عصور لاحقة دليل آخر علىٰ تلك العلمية الهندية، وعقلية أصحابها الفذة.

وكان في القرن الثالث الميلادي بأن تأسست أول جامعة هندية بوذية في مدينة «بوسباغيري» (Pusphagiri /Puspagiri) في ولاية «أوريسا» (Orissa)، عرفت في محيطها القريب والبعيد باسم تلك المدينة، كما عرفت بتفريعاتها ومعارفها ومراكزها التعليمية المختلفة[١].

جامعة «نالاندا» (Nalanda) العملاقة أيضا من أوائل تلك الجامعات التي شهدها وعهدها العالم لاحقا، وعلىٰ وجه التحديد في القرن الخامس الميلادي، والتي كان بأن استمرت منذ نشأتها وعهد تأسيسها حتىٰ القرن الثاني عشر الميلادي، قبل أن تهدّم في ظروف وملابسات تلك الحروب والمعارك الطاحنة بين الخليفة المملوكي «باختيار حلجي» (Bakhtiyar Khilji) والهنود البوذيين وممالكهم في العام ١١٩٧م[٢]. إلىٰ أن اتخذ القرار التاريخي من قبل الحكومة الهندية المركزية حديثا، وبمبادرة مشتركة

(١) Thomas E. Donaldson, Iconography of the Buddhist sculpture of Orissa: Text, Abhinav Publications?, New Delhi, 2001, p. 4.

(٢) Hartmut Scharfe, Education in ancient India, Brill, Leiden, 2002, p. 149.

مع كل من اليابان والصين وسنغافورة وكوريا الجنوبية وتايلندا وماليزيا وغيرها، لبعث وإعادة تلك الجامعة إلىٰ حيز الوجود من جديد، حيث أخذ التسجيل بها للدفعة الأولىٰ في حزيران ٢٠١٤م[١] (*).

ما بين العام ١٩٢٠ والعام ١٩٢٥م عرف العالم خمسة من كبار علماء الهند، من ذوي السّجل العلمي العالمي الرفيع (أي قبل استقلالها عن التاج البريطانيّ)، كل في ميدانه ومجال تخصصه واهتمامه، وهم علىٰ الترتيب: «السيد جي. سي. بوسي، وسي. في. رامان، وميغناث ساها، وسرينيفاسان رامانوجان، والبروفيسور سوبراهمانيان جاندراشيكار». حيث حاز كل منهم علىٰ جائزة «نوبل»[٢] (*).

---

(١) Nalanda University. Link: http://www.nalandauniv.edu.in/index.html. (Retrieved 2 August, 2014).

(*) الجدير بالذكر أن العام الدراسي الأول في جامعة «نالاندا» بدأ في ١ أيلول، ٢٠١٤م، حيث تقدم لها ليلتحق بمقاعد الدراسة فيها حوالي ١٠٠٠ طالب وطالبة، معظمهم من الأجانب، من دول شرقية وغربية. وما زالت الجامعة تعمل علىٰ استقطاب المزيد من الطلبات في برامج دراسات عليا متميزة في العلوم الإنسانية والاجتماعية وعلوم البيئة وغيرها.

(٢) Kameshwar C. Wali, Chandra: A Biography of S. Chandrasekhar, Centennial Publications of the University of Chicago Press/ University of Chicago Press, 1992.

(*) إضافة إلىٰ ما ذكرنا من اسماء «لوريتس» أعلاه، هنالك علماء في جذورهم وأصولهم ينتمون إلىٰ الهند، إلا أنهم مجنسون ويعيشون في دول أخرىٰ غير الهند، ومن هؤلاء: =

وللعلم، من ظفر بجائزة «نوبل» من الهنود حتىٰ اللحظة، وفي كل مجالاتها وتفريعاتها (في الآداب، والكيمياء، والفيزياء، والفسيولجيا، والطب، والسلام، والاقتصاد)، ذلك لرفعة إنتاجهم العلمي والأدبي، قد وصلوا في عددهم وتعدادهم إلىٰ أكثر من (١٤) من كبار العلماء[١].

اليوم هنالك أكثر من (٧٠٠) جامعة في الهند، ما بين مركزية وحكومية وخاصة، وأكثر من (٣٥,٥٠٠) ألف كلية علىٰ مختلف المستويات، وفي كل التخصصات، تحتضن أكثر من (٢٠) مليون طالب وطالبة[٢]. أما عن الكوادر العلمية والتعليمية والإدارية في تلك المؤسسات فهم ولا شك بمئات الآلاف، وممن هم حملة شهادات تخصصية، ورتب أكاديمية وإدارية مختلفة. وهو الحال عندما يتأتىٰ الأمر إلىٰ المدارس الأساسية والثانوية في الهند،

= «رولاند روس، روديارد كيبلنغ، محمد عبد السلام، في. اس. نايبول، محمد يونس، راجيندرا كي. باكوري، فينكاترامان راماكريشنان، يضاف إليهم الزعيم الروحي لبوذ التبت، المقيم في» دهالامسالا «في شمال الهند».

(١) http://www.indiavisitinformation.com/indian-personality/Indian-Nobel-Prize.shtml. (Retrieved 3 August, 2014).

(٢) Rahul Choudaha, Trends, insights and strategies on internationalization of higher education: Statistics on Indian higher education 2012-2013, AUG 25, 2013. Link:
http://www.dreducation.com/2013/08/data-statistics-india-student-college.html. (Retrieved 4 August, 2014).

الحكومية منها والخاصة، مع ضرورة مضاعفة الأرقام الواردة أعلاه عشرات المرات!

في هذه المعطيات وقبيلها مؤشر كبير علىٰ جدية الهند واهتمامها العلميّ علىٰ الرغم من عظم حجم الصّعاب والتحدّيات.

التعليم في الهند:

التعليم في الهند ومنذ بداياته يقع علىٰ عاتق كل من القطاع الحكومي (العام) والقطاع الخاص، حيث أنه يمول من طرف الحكومة المركزية في العاصمة الفدرالية نيودلهي، وحكومات الولايات، والمجالس والمصادر المحلية. وكما هو الشأن في العديد من الدول، فإن التعليم في الهند حق مجاني وإجباري بضمانات تشريعية ودستورية، خاصة في وسط من تتراوح أعمارهم ما بين الـ٦-١٤ سنة[١]. إنجازات الهند في ميدان توسيع قاعدة حجم التعليم الأساسي وتوسيع جهود وآفاق محو الأمية أضحت تغطي أكثر من ٣/ ٤ تعداد السكان، حيث شمل الأمر تغطية جميع من أعمارهم محصورة ما بين ٧-١٠٠ سنة، مع نهاية العام ٢٠١١م[٢].

(١) Government of India، Ministry of Human Resource Development Fundamental rights، Provisions of the constitution of India having a bearing on education. Link: http://mhrd.gov.in/const_fundamental. (Retrieved 4 August, 2014).

(٢) The World Bank، Education in India. Link: http://www.worldbank.org/en/country/india. (Retrieved 4 August) 2014).

علىٰ مستوىٰ التعليم الأساسي في الهند، نرىٰ بأن القطاع الخاص يكمل القطاع العام، حيث سجلت الهند لغاية العام ٢٠١٣م في مدارسها الخاصة، ما يقارب الـ٢٩٪ من طلبتها في ذلك المستوىٰ، خاصة في وسط من تتراوح أعمارهم ما بين الـ٦-١٤ سنة[١].

كما أن هنالك من التقارير ما يشير إلىٰ أن عائدات التعليم المدرسي (النوعي) الخاص علىٰ اختلاف مستوياته قد سجّل ما يقارب من الـ٤٥٠ مليون دولار أمريكي في العام ٢٠٠٨م، مع التطلع إلىٰ أن يصل حجم سوق ذلك النمط من التعليم إلىٰ حوالي ٤٠ مليار دولار أمريكي[٢].

حسب تقرير وضع التعليم السنوي (Annual Status of Education Report (ASER) ٢٠١٢م، كشف عن أن ٩٦,٥% من أطفال القرىٰ والأرياف ممن تتراوح أعمارهم ما بين الـ٦-١٤ السنة مسجلون رسميا في المدارس[٣]. مصدر آخر the)

(١) Anita Joshua, Over a quarter of enrollments in rural India are in private schools, The Hindu, January 16, 2014. Link: http://www.thehindu.com/features/education/school/over-a-quarter-of-enrolments-in-rural-india-are-in-private-schools/article5580441.ece. (Retrieved ٥August) 2014).

(٢) Bhavtosh Vajpayee and Nimish Joshi, Indian education: Sector outlook, 14 March 2008. Link: http://www.everonn.com/images/CLSA140308.pdf. (Retrieved 5 August, 2014).

(٣) Annual status of education report (Rural) 2012) Provisional), ASER Centre, New Delhi, January 17, 2013. Link: http://www.pratham.org/file/ASER-2012report.pdf. (Retrieved 5 August, 2014).

(eighth All India Education Survey-AISES) والصادر في العام ٢٠١٣م يؤكد علىٰ أن هنالك ما تعداده الـ٢٢٩ مليون طالب وطالبة من طلبة التعليم الأساسي، فعليا مسجلون في مدارس أرياف ومدن الهند، في إشارة ملحوظة إلىٰ زيادة تسجيل البنات بنسبة ١٩٪ عما كان عليه الحال في العام ٢٠٠٢م[١].

كما نرىٰ حكومات الولايات وبتوجيهات مركزية قد عمدت علىٰ إدخال نظم جديدة من الاختبارات وأساليب التقييم للوقوف علىٰ نقاط القوة والضعف في تلك المدارس التي يعتريها ما يعتريها من مشاكل تتعلق بقضايا الحضور والغياب عن العمل المدرسي، والجودة والنوعية[٢]، [٣].

---

(١) Himanshi Dhawan, Enrolment in schools rises 14% to 23 crore, The Times of India، January 22, 2013. Link: http://timesofindia.indiatimes.com/home/education/news/Enrolment-in-schools-rises-14-to-23-crore/articleshow/18123554.cms. (Retrieved 6 August, 2014).

(٢) Sharath Jeevan & James Townsend, Teachers: A Solution to education reform in India, Stanford Social Innovation Review, July 17, 2013. Link: http://www.ssireview.org/blog/entry/teachers_are_a_solution_to_education_reform_in_india. (Retrieved 6 August, 2014).

(٣) B.P. Khandelwal، Examinations and test systems at school level in India: Their impact on institutional quality improvement، in Anton De Grauwe and Jordan P. Naido، School evaluation for quality improvement، Meeting of the Asian Network of Training and Research Institutions in Educational =

حقوق أولاد الطبقات الدنيا والقبائل والمهمشين في المجتمع الهندي محفوظة تشريعيا خاصة في الجامعات والكليات والمعاهد الحكومية، حيث إن هنالك ما هو كاف من المقاعد المحجوزة والمحفوظة مسبقا، وبحد أدنىٰ ٥٠٪، لصالح أبناء تلك الطبقات، ويصل الأمر في بعض الولايات كما هو الحال في ولاية «مهاراشترا» إلىٰ ما هو أعلىٰ من ٥٢٪، أضيف إليها في حزيران ٢٠١٤م ١٦٪ لمن هم «مارثاز» و ٥٪ لمن هم مسلمين، كما كشفت عن ذلك بعض وسائل الإعلام الهندية مؤخّرًا، ليصير مجموع ما هو محفوظ لمن هم أقليات حوالي ٧٣٪، حيث تعتبر هكذا نسبة هي الأعلىٰ علىٰ مستوىٰ سائر الهند[١].

في المدارس والتعليم المدرسي، وفي الكليات الجامعية والتعليم الجامعي وعلىٰ مستوىٰ الدرجة الجامعية الأولىٰ (البكالوريوس) يدار التعليم في الهند علىٰ أساس النمط

= Planning (ANTRIEP) report (edited), Kuala Lumpur, Malaysia, July 2-4, 2002, Publication of the International Institute for Educational Planning, UNISCO, Paris, 2004 pp.100-114.

(١) Sanjay Jog, Jobs, education quota for Marathas, Muslims cleared: Proposed reservation will be over and above 52% already given to various communities, Business-Standard, June 26, 2014. Link: http://www.business-standard.com/article/politics/headline-maharashtra-cabinet-clears-16-quota-for-maratha-5-to-muslim-in-jobs-education-114062501069_1.html. (Retrieved 7 August, 2014).

(١٠+٢+٣)، أي أساسي، ثانوي، جامعي، وهو ما تعتمده الحكومة المركزية في البلد وحكومات الولايات منذ عقود[١]. حيث وهذا النظام النمطيّ، يدرس الطلبة ١٠ سنوات أو ١٢ السنة في المدارس قبل أن يتوجهوا إلىٰ الكليات التقنية أو مؤسسات التعليم العالي في المعاهد والجامعات العليا، والتي تتطلب في العادة سنوات دراسة كحد أدنىٰ[٢]. فالمدقق في أمر هذا النظام، يرىٰ فيه توفيرا لعامين دراسيين من سنين عمر الإنسان الدارس، وهو ما يعني الكثير تربويا وتنمويا.

وبغض النظر عن تقسيمات وتفريعات التعليم المدرسي ومستوياته في بلد كالهند، منذ البدايات نرىٰ بأن هنالك هيئة مركزية عليا لها كلمتها العليا في شؤون التربية والتعليم، تعرف بـ«هيئة التعليم» (Education Commission)[٣]. كما أن هنالك ما

(١) National Policy on Education (with modifications undertaken in 1992), Statement by Shri Arjun Singh, Minister of Human Resource Development Regarding Modifications to the National Policy On Education (NPE) 1986, National Council of Educational Research and Training. Link: http://www.ncert.nic.in/oth_anoun/npe86.pdf. (Retrieved 8 August، 2014).

(٢) Vyas, Neena, 10+2+3: A Game of numbers? India Today, June 30, 2012. Link: http://indiatoday.intoday.in/story/10-2-3-scheme-seeks-to-divide-schooling-into-two-stages-of-education/1/203052.html. (Retrieved 8 August, 2014).

(٣) Kaveree Bamzai, 1977-10+2+3 system of education: The new class structure, India Today, December 24, 2009. Link: http://indiatoday.intoday.in/story/1977-10+2+3+system+of+education:+The+new+class+structure76361/1/.html. (Retrieved 9 August, 2014).

يعرف بالمجلس الوطني لشؤون البحث والتدريب التربوي (NCERT National Council of Educational Research and Training)، والذي يضطلع المشغلون فيه في مسألة إعداد وتقييم وتقويم المناهج المدرسية ومتعلقاتها، علىٰ أسس علمية وعملية[١].

كما أن هنالك العشرات من المراكز والمؤسسات المهتمة والمسئولة عن الشأن التربوي والتعليمي، والتي يطول سردها، إلا أن أهمها: الجامعة الوطنية للإدارة وتخطيط التعليم (National University of Educational Planning and Administration - NUEPA)، والمجلس الوطني لتعليم المعلمين (National Council for Teacher Education - NCTE)، حيث يقع علىٰ عاتقهما مسؤولية إعداد وتدريب المعلمين، واعتماد شهاداتهم ومؤهلاتهم العلمية والتعليمية[٢]، [٣].

---

(١) Ministry of Information and Broadcasting-Government of India, India 2009: a Reference annual (53rd edition) Research, Reference and Training Division, New Delhi, 2009, p. 233.

(٢) لمعرفة المزيد عن هذه الجامعة ودورها الريادي في شؤون التربية والتعليم، يمكن زيارة موقعها من خلال الرابط الالكتروني:

http://www.nuepa.org/. (Accessed 9 August, 2014.

(٣) لمعرفة المزيد حول المجلس الوطني لتعليم المعلمين، يمكن زيارة موقع المجلس من خلال الرابط الالكتروني:

http://www.ncte-india.org/. (Accessed 9 August, 2014).

التعليم المدرسي:

في سياق رصد الشأن النهضوي الهندي، لا يمكن من حيث المبدأ تجاهل تلك التغيرات المتعلقة بشأن التعليم المدرسي، خاصة الأساسي منه، كونه عماد أي نمو وأي نهوض. فكما سبقت الإشارة، تولي الحكومة الهندية اهتماما بالغا فيما يتعلق بالتعليم الأساسي، حتىٰ سن الرابعة عشر من العمر، بل نراها وهذا الأمر كغيرها من الدول المتقدمة والنامية علىٰ حد سواء تجعل منه إلزاميًا، وتسن القوانين والتشريعات التي تحظر عمالة الأطفال من أجل إتاحة الفرصة لهم كي يلتحقوا بالمدارس ويتعلموا[١].

ولأهمية الموضوع بالنسبة للحكومة، نرىٰ وحسب بعض المصادر إدارتها وإشرافها لما نسبته ٨٠٪ من المدارس في الهند، فهي وهذا الحال تعتبر المسئول الأول كمزود وداعم للتعليم الأساسي في سائر عموم الهند[٢].

في ٢٠١١م كشفت بعض المصادر الحكومية بأن هنالك ما يساوي حوالي (٦٧٣،٨١٦،٥) مدرس ومدرسة ممن هم مفرغون

(١) D.S. Saini, Combating child labor in India: Compulsory primary education in the context of conception of ?the child rights, Labour and Development, 1997-98, vol. 3, no. 1&2, pp. 145-160.

(٢) Charities Aid Foundation (CAF)-India, Education of children in India. Link: http://www.cafindia.org/pages/aboutUs_1cause_quarter.htm. (Retrieved 8 August, 2014).

علىٰ التعليم الأساسي في الهند، وأن هنالك حوالي (٢,١٢٧,٠٠٠) ممن هم محسوبون علىٰ التعليم الثانويّ[١]. ،[٢] أي أن هنالك جيشًا جرارًا من المعلمين والمعلمات ممن هم منخرطون في سلك التربية والتعليم من اجل أطفال الهند ومستقبلها الواعد. فهذا العدد الهائل مما لا شك فيه يساهم بصناعة فهم الماضي وهضم الحاضر والاستعداد لما هو مستقبل، وصنع حياة.

منذ العام ١٩٩٤م وهمّ الحكومة بث الروح في جسم التعليم من خلال إطلاق بعض البرامج المتخصصة (The District Education Revitalization Program - DERP) لمواكبة العالم من خلال إصلاح ما يجب إصلاحه من برامج

(١) National University of Educational Planning and Administration, Department of School Education and Literacy, Ministry of Human Resource Development, Government of India, Elementary education in India: Progress towards UEE, International Print-o-Pac Limited, NOIDA, 2011.

(٢) Government of India, Ministry of Human Resource Development, Report to the people on education 2010-11, New Delhi, March 2012. Link: http://mhrd.gov.in/sites/upload_files/mhrd/files/RPE-2010-11.pdf. (Retrieved 10 August, 2014). See also: Rahul Jain, Shashank Singh, and Sushant Soni, Primary education in India: Evolution, structure and development, StudyMode, 2013. Link: http://www.studymode.com/essays/Primary-Education-In-India-Evolution-Structure-1825086.html. (Retrieved 10 August, 2013).

ومناهج ومقومات العملية التعليمية[١]. فالحكومة المركزية وبنسبة ٨٥٪ هي من يدعم ذلك المشروع و١٥٪ يقع علىٰ عاتق حكومات الولايات، كل حسب ولايته. كما أن منظمة اليونيسيف ما برحت تقدم ما عليها من التزام تجاه التعليم والمتعلمين. ويكفينا أن نعلم بأن برنامج إعادة الحياة إلىٰ التعليم المدرسي في الهند قام وبجهود الجهات المذكورة بإنشاء حوالي (١٦٠٠٠٠) مدرسة جديدة، وحوالي (٨٤٠٠٠) مدرسة بديلة لاستيعاب أكثر من (٣,٥) مليون طفل لتلبية احتياجات من يحتاجون إلىٰ التعليم[٢].

وكانت النتائج باهرة، حيث تم رصد ارتفاع ملحوظ في واقع التعليم المدرسي جراء مثل هذه البرامج التحفيزية والتطويرية ليصل أمر التحاق الطلبة بالمدارس إلىٰ ما نسبته٩٣-٩٥٪، عدا عن رصد ذلك التحسن الملحوظ في أداء الكوادر التعليمية، وزيادة فرص تمكين البنات من التسجيل[٣].

هذا ولا يفوتنا الإشارة إلىٰ تفرد الهند بواحد من أهم تلك البرامج الريادية عالميا في جعل التعليم الأساسي حقا للجميع،

(١) Ministry of Information and Broadcasting-Government of India, India 2009: a Reference annual (53rd edition), Research, Reference and Training Division, New Delhi, 2009, p. 215.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid.

فمبادرة «سارفا شيكشا ابهييان» (Sarva Shiksha Abhiyan)، أي «حركة التعليم للجميع»، كانت وما زالت منذ نشأتها هي الأضخم من نوعها علىٰ مستوىٰ العالم، وذلك لضمان تعلم وتعليم الجميع في الهند، هذا وإن كان الأمر يحتاج إلىٰ مزيد من الجهود لضمان المزيد مما هو جودة ونوعية كما هو الحال في دول آسيوية متقدمة، كسنغافورة، وكوريا الجنوبية، واليابان، ونيوزلندا، واستراليا، وغيرها من دول العالم[1].

من هنا يمكن القول إن حراك الهند التعليمي سواء علىٰ

(١) حركة التعليم من أجل الجميع، برنامج تربوي تعليمي من أكبر برامج الهند التعليمية، الصادر عن وزارة تنمية الموارد البشرية، قسم التعليم المدرسي ومحو الأمية، حيث تود فكرته وجذوره إلىٰ العام ١٩٩٣-١٩٩٤م، ليطلق في العام ٢٠٠٠-٢٠٠١م كخطوة تمكينية لتلك المعالجات والإصلاحات الدستورية التي تجعل من التعليم الأساسي حقا أساسيا (إلزاميا) لمن هم بين ٦-١٤ سنة من أطفال الهند، وكان بأن نفذت الحكومة المركزية البرنامج بالتعاون مع الحكومات المحلية في الولايات الهندية لتلبية احتياجات أكثر من (١٩٢) مليون طفل، ممن هم موزعين علىٰ سائر نواحي ومناطق الهند، حتىٰ تلك المعزولة منها في مرتفعات الهيمالايا والبؤر الحدودية مع الباكستان ونيبال وبوتان والصين وغيرها. وكله من أجل تعليم عصري فارق يواكب متطلبات العالمية والعولمة، حيث تضمن البرنامج منذ إطلاقه العمل علىٰ بناء مدارس جديدة وتأهيل القديم منها، وتوفير ما يلزم من المرافق الصحية والبنىٰ التحية، وإدخال الحاسوب إلىٰ المدرسة في عصر الانفجار المعرفي والرقمي، وغير ذلك من احتياجات. والمعروف أنه ولغاية العام ٢٠٠١م رصد لصالح المشروع ما يقدر بـ(١,٥) مليار دولار أمريكي.

مستوىٰ التعليم الأساسي أو غيره من المستويات، قد أسهم في نهاية المطاف إلىٰ نمو البلد وتطورها اقتصاديا، وما رصد تراجع ظاهرة الفقر من قبل منظمة الأمم المتحدة بنسبة ٢٧٪ عن سابق عهوده من فترات ماضية إلا دليلا ومؤشرا علىٰ ذلك[١].

وفيما يتعلق بنظام التعليم المدرسي الثانوي، لتعليم من هم من سن ١٤-١٨ سنة، والذين حسب تعداد العام ٢٠٠١م تجاوز عددهم الـ(٨٨,٥) مليون طالب وطالبة، فمنذ العام ١٩٨٦م والسياسة الوطنية في التعليم "The National Policy on Education-NPE" وهي تعمل علىٰ توعية الطالب الهنديّ لقضايا وطنه البيئية، وتوجهه نحو قضايا العلم والتكنولوجيا، علاوة علىٰ الاهتمام الملحوظ برياضة «اليوغا» التقليدية[٢].

سياسات دمج المعاقين، وتعليم المحتاجين من الفقراء والمهمشين، وتقديم كل ما يلزم من دعم فني وتدريب مهني لهم

(١) UN, Poverty in India declines by 27%, The Times of India, September 11, 2008. Link: http://timesofindia.indiatimes.com/home/environment/developmental-issues/Poverty-in-India-declines-by-27-UN/articleshow/3471745.cms. (Retrieved 10 August, 2014).

(٢) Ministry of Information and Broadcasting-Government of India, India 2009: a Reference annual (53rd edition), Research, Reference and Training Division, New Delhi, 2009, p. 231.

ولمدرسيهم ولمدارسهم، أيضا بالأمر الحاضر في التعليم الثانوي[١].

كما أن مبادرة «حركة تعليم من أجل الجميع» السابق ذكرها علىٰ مستوىٰ التعليم الأساسي، نراها كتجربة ناجحة، وقد عممت علىٰ قطاع التعليم الثانوي فيما يعرف بـ«البعثة الوطنية من أجل تطوير التعليم الثانوي» Rashtriya Madhyamik Shiksha Abhiyan -RMSA»، حيث كان بأن أطلقتها الحكومة المركزية في آذار، ٢٠٠٩م[٢].

التعليم العالي ومراكز البحث العلمي في الهند:

يعد التعليم العالي في الهند الثالث حجمًا بعد كل من الصين والولايات المتحدة الأمريكية[٣]. فبعد النجاح في الثانوية العامة وتجاوز التعليم الثانوي، نرىٰ الحكومة الهندية مهتمة إلىٰ أبعد

(١) D. Pradeep, Right to education in India: The concept and context, in Sukumar Nair, Human right in changing world (edited), Gyan Publishing House, New Delhi, 2011، pp. 186-187.

(٢) Department of School Education and Literacy, Ministry of Human Resource Development, Government of India, Secondary education, Rashtriya Madhyamik Shiksha Abhiyan. Link: http://mhrd.gov.in/rashtriya_madhyamik_shiksha_abhiyan (Retrieved 11 August, 2014).

(٣) India: Country summary of higher education, World Bank. Link: http://siteresources.worldbank.org/EDUCATION/Resources/278200-1121703274255/1439264-1193249163062/India_CountrySummary.pdf. (Retrieved 12 August, 2014).

الحدود في إعداد التعليم العالي لطلبتها، لنيل اللقب الجامعي الأول، شهادة البكالوريوس في الآداب، التجارة أو العلوم، الهندسة أو القانون أو الطب[١].

ومنذ البدايات تم تأسيس ما يعرف بالهيئة العليا للمنح الجامعية (India – University Grants Commission)، والتي تعود في جذورها قبل أن تنطلق في العام ١٩٥٢م إلىٰ العام ١٩٤٤م، حيث كانت في حينه مجرد لجنة منح جامعية في ظل حكومة الهند البريطانية، إلىٰ أن افتتحت رسميا في حينه من قبل وزير التعليم والبحث العلمي، مولانا أبو الكلام آزاد في ٢٨، كانون أول، ١٩٥٣م. وكان ذلك بمبادرة الحكومة الاتحادية، عزز من مكانتها لاحقا بقرارات برلمانيّة في العام ١٩٥٦م، حيث أوكل لها كامل المسؤوليات والصلاحيات لضبط معيارية التعليم العالي، وتقديم النصح للحكومة الهندية فيما يتعلق بشؤون التعليم العالي، والمساعدة في التنسيق بين الحكومة المركزية وحكومات الولايات في شان التعليم العالي[٢]. في تطور نوعي في تاريخ التعليم العالي الهندي، كان مع نهاية العام ٢٠١٢م، بأن سجل في الهند ٣١٦ جامعة مركزية (بداياتها بضع جامعات)، و١٩١ جامعة حكومية علىٰ

(١) Y. K. Singh, History of Indian education system, APH Publishing Corporation, New Delhi, 2007, pp. 172-175.

(٢) University Grants Commission: Quality higher education for all, genesis. Link: http://www.ugc.ac.in/page/Genesis.aspx. (Retrieved 13 August, 2014).

مستوىٰ الولايات، و١٩١ جامعة خاصة[١]. كما أن هنالك (٣٣، ٦٢٣) كلية، من بينها (٣٣، ٦٢٣) كلية خاصة بتعليم البنات (Women's colleges)[٢]. هذا ناهيك عن تلك المؤسسات التعليمية التي تمنح درجة الدبلوم في مجالات معرفية وتقنية مختلفة، والتي يبلغ تعدادها حوالي قرابة الـ(١٢٧٤٨) مؤسسة، موزعة ما بين مدرسة عليا ومركز ومعهد.

سياسة الهند منذ البدايات وهي تنحىٰ في التعليم العالي تجاه ما هو تقني وعلميّ[٣]، لذا ترىٰ معاهد تعليم التكنولوجيا منتشرة في معظم ولاياتها (Technology Institutes)، وأشهرها سمعة وصيتا ما يعرف بـ«معاهد تكنولوجيا الهند» (IITs)[٤].

---

(١) Kapil, No of universities in India, India Investment Blog, News and Analysis on Capital Markets and M&A, Special focus on India's education sector, February 19, 2014. Link: http://eqty.blogspot.in/2014/02/no-of-universities-in-india.html. (Retrieved 14 August, 2014).

(٢) Ministry of Information and Broadcasting-Government of India, India 2009: a Reference annual (53rd edition), Research, Reference and Training Division, New Delhi, 2009, p. 237.

(٣) S.D. Awale, Engineering teachers in the development of technical education system in India, Indian Society for Technical Education-ISTE, New Delhi, 1996, p. 1-3.

(٤) معاهد تكنولوجيا الهند، منذ لحظة التأسيس والنشأة وهي تعمل في مجال قبول الطلبة الهنود وغير الهنود في مختلف العلوم التطبيقية وعلوم الإدارة التقنية والهندسية، وقد تجاوز عددها الـ١٦ المعهد موزعة علىٰ عدد من الولايات الهندية ومدنها. كما أنها تخرج سنويا مئات الآلاف من الطلبة ما بين حملة الدرجة الجامعية الأولىٰ، البكالوريوس، ودرجة الدكتوراه.

كما أن اهتمامها ولاعتبارات تنموية ونهضوية بمن لا يستطيعون الالتحاق بالتعليم التقليدي المنتظم وبرامجه، وبمن أنهوا تعليمهم المنتظم منذ سنوات ويرغبون بالتواصل مع ما هو جديد، نرىٰ الحكومات الهندية تهتم ببرامج التعلم والتعليم عن بعد، وبرامج التعليم المستمر من خلال اعتماد وترخيص مؤسسات التعليم العالي المستمر والمفتوح عن بعد، إلىٰ أن وصل تعداد مثل تلك البرامج التعليمية المئات، موزعة علىٰ مئات الجامعات الهندية، إلىٰ أن أضحت من خلال برامجها ومناهجها تستوعب حوالي (١٠) مليون طالب وطالبة[١].

وكما هي حركات ومبادرات تمكين وتطوير التعليم الأساسي والثانوي، نرىٰ نفس التوجه الحكومي في مجال التعليم العالي ومؤسساته التقنية. فحركة دعم وتطوير التعليم العالي (Rashtriya Uchchattar Shiksha Abhiyan -RUSA)، والتي ظهرت إلىٰ حيز الوجود مؤخرًا نراها تبدأ العمل في العام ٢٠١٣م.

كل هذا الحراك التعليمي أفضىٰ إلىٰ تمكين الكثير من مؤسسات التعليم العالي في الهند، وعلىٰ رأسها معاهد الهند

(١) List of approved distance education universities in India, Careers 360, January 2014.

Link: http://www.university.careers360.com/articles/list-of-approved-distance-education-universities-in-india. (Retrieved 15 August, 2014).

للتكنولوجي (Indian Institutes of Technology)، ومعاهد الهند للعلوم (Indian Institutes of Science) وغيرها من أن تكون من بين تلك المعاهد والجامعات المتقدمة آسيويًا وعالميًا في مجالاتها. جامعة مومباي (University of Mumbai) علىٰ سبيل المثال لا الحصر تعد واحدة من بين تلك المؤسسات الرائدة في تعليم الهندسيات علىٰ مستوىٰ العالم، وعلىٰ وجه التحديد في مستوىٰ الدرجة الجامعية الأولىٰ[1]. فتسجيل وتخريج عشرات آلاف الطلبة سنويا من برامج الهندسة في تلك المعاهد والجامعات لا يشك فيما له من دور كبير في تغطية وتنمية احتياجات كل من القطاع الخاص والعام علىٰ مستوىٰ عموم الهند.

كما أن إسهامات العديد من هذه المؤسسات ونظيراتها في مجال العلوم البحتة والرياضيات، كالرابطة الهندية لإنتاج العلم (Indian Association for the Cultivation of Science)، والمعهد الهندي للعلوم (Indian Institute of Science)، ومعهد تاتا للبحوث الأساسية (Tata Institute of Fundamental Research)، ومعهد بحوث «هاريشجاندرا»

(١) Matt Lynley, The world's best engineering schools, Business Insider, July 9, 2012.

Link: http://www.businessinsider.com/the-worlds-best-engineering-schools-2012-6?op=1. (Retrieved 15 August, 2014).

"Harishchandra Research Institute" مما يعتد به وطنيًا وعالميًا.

ولما في الأمر من تفاضل وتكامل نرىٰ الحكومة الهندية من خلال برلمانها ومجالسها التشريعية جادة في فرض المزيد من الإصلاحات المتعلقة بشؤون التعليم العالي، فهنالك عشرات المسودات مما يحتاج إلىٰ المزيد من النقاش الجاد، وبالتالي المصادقة علىٰ ما فيها من قبل البرلمان الهندي[١]، ومن بين تلك المسودات، ما يتناول مسألة السماح للجامعات الأجنبية للعمل علىٰ الأراضي الهندية من عدمه، سواء بوجود شريك هندي لها أم لا[٢] (*).

---

(١) Prashant K. Nanda, Education faces lawmakers'test, Live Mint and The Wall Street Journal, August 4, 2011.

Link: http://www.livemint.com/Home-Page/79CyEsIu1R7a5J1yTyow1J/Education-faces-lawmakers8217-test.html. (Retrieved 20 August, 2014).

(٢) Rahul Choudaha, India: Foreign universities - a reality check, University World News, March 21, 2010.

Link: http://www.universityworldnews.com/article.php?story20100320163146428 (Retrieved 22 August, 2014).

(*) تجدر الإشارة إلىٰ أن القرار النهائي للحكومة الهندية المركزية، بعد مرافعات برلمانية طويلة وشاقة حول موضوع السماح للجامعات الأجنبية بالعمل في حقل التعليم العالي في الهند قد اتخذ في ١٠ أيلول، ٢٠١٣م، دون التدخل في برامجها ومناهجها أو إلحاقها بأي من الجامعات الهندية الأخرىٰ، شريطة أن تكون من بين أفضل ٤٠٠ جامعة علىٰ مستوىٰ العالم.

عمل كل ما هو ممكن من أجل عالمية التعليم العالي الهندي، وتميزه، وتعزيز قدراته علىٰ المنافسة وطنيا وعالميا ما زال بالمأمول والمطلب الهنديّ الملح[١].

وقبل الخروج من موضوع التعليم العالي إلىٰ موضوع آخر، ننوه بأن هنالك جامعات ومعاهد علمية وتقنية هندية استطاعت أن تحتل رتبا عالمية بين أفضل ٢٠٠ معهد وجامعة عالميًا، حسبما نشر علىٰ قوائم «العصر للتعليم العالي»، ومن بين تلك المعاهد والجامعات بعض من: معاهد الهند للتكنولوجي (Indian Institutes of Technology)، ومعاهد الهند لعلوم الإدارة (Indian Institutes of Management)، إضافة إلىٰ جامعة «جواهر لال نهرو» (Jawaharlal Nehru University) المركزية[٢]. كما أن هنالك (٦) من كبرىٰ هذه المعاهد إضافة إلىٰ معهد «بيرلا» للعلوم والتكنولوجيا (Birla Institute of Technology and Science) سبق وأن استطاعت من أن تكون من بين أفضل (٢٠) معهد وجامعة علىٰ مستوىٰ آسيا[٣].

---

(١) Samuel Paul, Internationalization of higher education: Strategic implications، Economic Political Weekly، February 28, 2009, vol. xliv، no. 9, pp. 36-41.

(٢) World university rankings, Times Higher Education, October 6, 2006.

Link: http://www.timeshighereducation.co.uk/6-october-2006/10363.issue. (Retrieved 24 August, 2014).

(٣) Asia's best science and technology schools, Asiaweekcom: special report, June 22, 2000.

Link: http://www cgi.cnn.com/ASIANOW/asiaweek/features/universities2000/sci-tech/sci.overall.html. (Retrieved 24 August, 2014).

كل من المعهد الهندي للإدارة في مدينة «أحمدآباد» (Ahmadabad) والمعهد الهندي لإدارة الأعمال (The Indian School of Business) في «حيدرآباد» (Hyderabad) كانا من بين أفضل (٥٠) معهد وجامعة في مجال إدارة الأعمال علىٰ مستوىٰ العالم، حسب تقارير العام ٢٠١٤م[١].

أما في ميدان الطب، فنرىٰ معهد عموم الهند للعلوم الطبية (All India Institute of Medical Sciences) واحد من بين تلك المعاهد العالمية في مجالها، سواء في مجال تقديم الخدمات الطبية العلاجية، علىٰ اختلافها، أو في نوع وكم تلك الأبحاث الصادرة عن طاقم المعهد المهني والبحثي، والأكاديمي[٢].

جامعة مومباي (University of Mumbai) والتي سبق الإشارة إلىٰ مكانتها العالمية في مجال علوم الهندسة وتفريعاتها،

---

(١) Global MBA ranking 2014, Business Education, The Financial Times، March 11, 2014.

Link: http://rankings.ft.com/businessschoolrankings/global-mba-ranking-2014. (Retrieved 24 August, 2014).

(٢) Jason Overdorf, Medical Meccas: An oasis for India's poorest, Newsweek Magazine, October 29, 2006.

Link: http://www.newsweek.com/medical-meccas-oasis-indias-poorest-112171. (Retrieved 25 August, 2014).

نراها وفي نفس المجال الوحيدة في هذا المضمار من بين جامعات أمم منظمة «رابطة الأمم الخمس الصاعدة اقتصاديا - بركس» (BRICS)[١] [*]. كما نراها تحتل المرتبة الثالثة وطنيا علىٰ مستوىٰ الهند في مجال تخصصاتها المتعددة، بعد كل من جامعتي «كالكتا» (University of Calcutta) و«دلهي» (Delhi University)[٢]. بل نرىٰ في العام ٢٠١٣م عددا من المعاهد والجامعات الهندية، وعلىٰ رأس القائمة معاهد الهند العلمية والتكنولوجية، تحصد ١٦ المكانة من بين أفضل ١٠٠ معهد وجامعة، موزعة علىٰ تلك البلاد التي تتكون منها منظمة الـ «بركس» الاقتصادية وجامعاتها[٣].

أما عن اهتمام الهند بالتعليم التقني ومتعلقاته، فمنذ أول خطة خمسية تضعها الهند في العام ١٩٥١م وما تلاها وهي حريصة كل الحرص علىٰ تعزيز القدرات العلمية التقنية للإنسان الهندي، حيث

---

(١) Matt Lynley, The world's best engineering schools, Business Insider, July 9, 2012.

Link: http://www.businessinsider.com/the-worlds-best-engineering-schools-2012-6?op=1. (Retrieved 25 August, 2014).

(*) الأمم الخمس الصاعدة اقتصاديا هي: وعلىٰ الترتيب كما يقتضي اسم المنظمة: البرازيل، روسيا، الهند، الصين، وجنوب أفريقيا.

(٢) QS Top Universities: Top universities in India, December 19, 2013.

Link: http://www.topuniversities.com/university-rankings-articles/brics-rankings/top-universities-india. (Retrieved 28 August, 2014).

(٣) Ibid.

ما أن كادت الخطة تشارف علىٰ الانتهاء، فإذا بخمس من معاهد الهند للتكنولوجي تشرع في إطلاق برامجها التقنية[١]. وهو فعلا ما عمد إليه ودأب عليه سياسة ونهجا برنامج الهند الوطني لسياسات التعليم (India's National Policy on Education-NPE)، حيث نراه ومنذ البدايات يبذل من خلال القائمين عليه أقصىٰ ما بوسعه من أجل ضبط وتطوير التعليم العالي التقني في الهند[٢].

كما نرىٰ الحكومة الهندية لاحقا، وعلىٰ المستوىٰ الفدرالي، ومن خلال مجلس عموم الهند الأعلىٰ للتعليم التقني (AICTE-All India Council for Technical Education)، (ثمرة برنامج الهند الوطني لسياسات التعليم) تجعل من جميع معاهد الهند للتكنولوجي، ومعهد عموم الهند لعلوم الفضاء والتكنولوجيا، وما يعرف بالمعاهد الوطنية للتكنولوجي (National Institutes of Technology)، ومعاهد الهند لتكنولوجيا المعلومات، ومعهد «راجيف غاندي» لتكنولوجيا البترول (Rajiv Gandhi Institute of Petroleum Technology) ذات مكانة وطنية رفيعة المستوىٰ، جديرة بالاهتمام الوطنيّ[٣].

---

(١) V. K. R. V. Rao, India's first five-year plan-A descriptive analysis, Pacific Affairs, vol. 25, no. 1, 1952, pp. .3-23.

(٢) Government of India, National Education Policy, 1968. See also: Government of India, National Policy on Education, (1986), (modified/1992).

(٣) R.K. Suri and Kalapana Rajaram, Infrastructure: S T education, science and technology in India (edited), Spectrum, New Delhi, 2008, p. 31.

كما أن شروع الحكومة الهندية ومن خلال الهيئة العليا لمنح الجامعات (UGC) بتأسيس مراكز مشتركة ما بين الجامعات (Inter-University Centers) وفي مواقع متفرقة عبر الولايات من أجل البحث العلمي المشترك، خطوة أخرىٰ في الاتجاه الصحيح، فعلىٰ سبيل المثال لا الحصر يعد مركز أبحاث العلوم النووية في جامعة «جواهرلال نهرو» في العاصمة المركزية نيودلهي واحد من بين وأهم تلك المراكز العلمية والبحثية[١].

أما عن جهود الهنود فيما يسمىٰ بالتعليم المهنيّ (Vocational Education)، فحسب آخر تقرير لمجلس عموم الهند الأعلىٰ للتعليم التقنيّ (India's All India Council of Technical Education-AICTE) ٢٠١٣م، يوجد في الهند أكثر من (٤,٥٩٩) مؤسسة تعليم مهنيّ تمنح درجات مختلفة، بعضها يمنح درجة البكالوريوس، والبعض الآخر يمنح درجة الدبلوم، والدبلوم العاليّ، وفي مجالات وميادين مهنية مختلفة، وعلىٰ رأسها الهندسة المعمارية، الهندسة، إدارة الفنادق، البنىٰ التحتية، الصيدلة، التكنولوجيا، الخدمات، وغيرها[٢].

وبالجملة، فحسب التقارير الصادرة عن «هيئة المنح الجامعية»

---

(١) Ibid., p. 32.

(٢) Government of India, India's All India Council of Technical Education-AICTE, Growth of technical institutes in the country.

Link: http://www.aicte-india.org/downloads/Growth _Techni cal_Institutions _310514.pdf #toolbar=0. (Retrieved 30 August, 2014).

في الهند (UGC)، وصل عدد من هم مسجلين فعليًا في الجامعات المسجلة والمعتمدة في ميادين العلوم والطب والزراعة والهندسة قرابة الـ (٦,٥) مليون طالب وطالب مع العام ٢٠١٠م، مع تسجيل ملاحظة مفادها أن من سجل في برامج الهندسة من النساء قد تضاعف قياسيًا علىٰ أعوام سابقة، منذ العام ٢٠١٠م.

هذا ولا يفوتنا الإشارة إلىٰ جهود الهند في مجال التعليم المفتوح والتعليم عن بعد (Open and Distance Education) سواء علىٰ صعيد التعليم الثانوي أو التعليم الجامعي العالي؛ وكله لضمان تعلم الجميع وعدم تفويت الفرصة علىٰ من لا يستطيع لسبب أو لآخر الالتحاق بالمدارس أو الجامعات.

علىٰ المستوىٰ المدرسي هنالك المعهد الوطني للتعليم المفتوح (NIOS-National Institute of Open Schooling) حيث يعمل علىٰ إتاحة وتنظيم تلك الفرص الضامنة لاستمرار تعليم من لم يكملوا لسبب أو لآخر تعليمهم المدرسيّ، حيث تستوعب المدارس المنطوية تحت هذا النمط من التعليم ما يقارب الـ ١,٤» مليون طالب وطالبة[١].

في العام ٢٠١٢م نرىٰ العديد من حكومات الولايات الهندية

(١) Achyut Krishna Borah, A comparative study on need for value based education, An opinion survey among school teachers, International Journal of Humanities Social Science Studies (IJHSSS), July 2014, vol. 1, no. 1, pp. 42-51.

تقدم برنامجا يعرف بـ(State Open School) لاستمرار تعليم أبنائها[١].

علىٰ مستوىٰ التعليم العالي نرىٰ جامعة «أنديرا غاندي» الوطنية للتعليم المفتوح رائدا في مجالها (IGNOU -Indira Gandhi National Open University)، حيث تنظم وتقدم وتنسق ما يلزم لتحقيق أغراض وغايات التعليم المفتوح والتعليم عن بعد إضافة إلىٰ التعليم المستمر. فمنذ النشأة نراها تسجل وتخرج أكثر من (١,٥) مليون طالبا وطالبة، عبر (٥٣) و(١,٤٠٠) منطقة ومركزا تعليميا، وبتوفير (٢٥,٠٠٠) مرشدا أكاديميا. كما أنها ومن خلال مجلسها لشؤون التعليم عن بعد (Distance Education Council-DEC) نراها تنسق وبانتظام فيما بين (١٣) الجامعة من تلك الجامعات المهتمة بموضوع التعليم عن بعد، والتعليم المفتوح عبر الولايات الهندية، إضافة إلىٰ مسالة التنسيق المتواصل بين (١١٩) مركزا ومؤسسة مما يقوم تعليمها علىٰ التعلم والتعليم بالمراسلة[٢].

إن أعظم ثمرة في مشوار الاهتمام الحكومي النهضوي في بلد

---

(١) يمكن معرفة المزيد حول موضوع المدارس المفتوحة من خلال تجربة ولاية «بيهار» من خلال الرابط الالكتروني:

http://bbose.org/. (Accessed 30 August, 2014).

(٢) Open and distance learning in India, SSK College.

Link: http://www.sskcollege.com/Open-and-distance-learning-in-India.php. (Retrieved 5 September, 2014).

كالهند، سواء علىٰ مستوىٰ الحكومة المركزية أو الحكومات المحلية في الولايات، أن يتعلم الهنود ما حرموا تعلمه خلال الحقبة الاستعمارية البائسة، وما اعترىٰ تلك الحقبة من أبعاد وتبعات سلبية.

فحسب تعداد العام ٢٠١١م حول حصر نسبة من هم متعلمين ممن هم غير ذلك، وحسب معايير ومحددات تعريف من هو المتعلم ممن هو أميّ (غير متعلم)، وجد أن ما نسبته (٧٤,٠٧%) وعلىٰ المستوىٰ الوطني/ القومي، يقرؤون ويكتبون، ويفهمون حسب لغاتهم[١] (*).

ولأهمية الشباب وعنصر الشباب، وخاصة من تنحصر أعمارهم ما بين سن الـ ١٥-٢٥ سنة، وجد أن (٨١,١%) متعلمون، يقرؤون ويكتبون ويفهمون بهذه اللغة أو تلك. والأهم من ذلك أن ترىٰ (٧٤,٤%) من تلك النسبة لصالح من هن إناث

(١) Ministry of Information and Broadcasting-Government of India, India 2009: a Reference annual (53rd edition), Research, Reference and Training Division, New Delhi, 2009, p. 225.

(*) تجدر الإشارة إلىٰ ان نسبة التحول الايجابي في موضوع محو الأمية ما بين نهاية الحكم البريطاني للهند ومسيرة ما بعد الاستقلال كبيرة جدا، حيث رصدت العديد من المصادر المختصة أن نسبة من هم قادرين علىٰ القراءة والكتابة في العام ١٩٤٧م كانت فقط (١٢%)، لتصل مع نهاية العام ٢٠١١م إلىٰ (٧٤,٠٤%)، وما زالت الهند تعمل وتعمل لتحقيق وحصاد واقع أفضل.

مقابل (٨٤,٤%) في وسط من هم ذكور[١].

هذا بعد أن كانت نسبة من يقرأن ويكتبن في وسط النساء في أواخر الحقبة الاستعمارية البريطانية للهند لا تتجاوز الـ (٢%)!

وعند مقارنة الأمر عبر الولايات الهندية، نجد أن نسبة التعليم في ولاية متقدمة كـ«كيرالله» (Kerala) تساوي (٩٣%)، يقابلها ما نسبته (٦٣,٨%) في أكثر الولايات الهندية تخلفا، ولاية «بيهار» (Bihar)[٢]. وتتفاوت هذه النسب ما بين ولاية وأخرىٰ، وشريحة ديموغرافية وأخرىٰ، عبر الولايات الهندية وعبر شرائح وطبقات من هم هنود.

من هنا يمكن القول بأن التعليم ومدخلاته لعب دورًا كبيرًا في مشوار النهضة الهندية الحديثة، كما هو الحال بالنسبة إلىٰ غير الهند من الدول. كما أن لاضطراد نسبة التسجيل الكليّ في الجامعات الهندية ومؤسسات التعليم العالي (Gross Enrollment Ratio - GER) دوره الكبير في مشوار تلك النهضة ومتعلقاتها التنموية، فتتبع الأمر يشير إلىٰ أن ما كان في حجمه يساوي (٠,٧%) في بداية الخمسينات (١٩٥٠/٥١) نراه يقفز إلىٰ (١,٤%) في بداية

(١) UNISCO Institute for Statistics, Country profiles, India.
Link: http://www.uis.unesco.org/DataCentre/Pages/country-profile.aspx?code=INDregioncode=40535. (Retrieved 2 September, 2014).

(٢) Ministry of Information and Broadcasting-Government of India, India 2009: a Reference annual (53rd edition), Research, Reference and Training Division, New Delhi, 2009, p. 225.

الستينات (٦١/ ١٩٦٠)، وهكذا، لتسجل الهند ما حجمه (١١%) في العام الأكاديمي ٢٠٠٦-٢٠٠٧، وليرتفع الأمر في العام ٢٠١٢م، ليصل إلىٰ (١٥%)[١].

التكنولوجيا الهندية وأبعاد توظيفها:

من أفضل ما يكون قد كتب حول التكنولوجيا الهندية وأبعاد توظيفها، كتاب الرئيس الهندي الحادي عشر (٢٠٠٢-٢٠٠٧)، البروفيسور «أبو بكر زين العابدين عبد الكلام» (Abdul KAPJ alam) وزميله العالم الكبير الدكتور «سيفاثانو بلاي» (Sivathanu Pillai)، والذي حمل العنوان: «نستطيع عملها: أفكار من أجل التغيير»، حيث تناولا من خلاله قصة التكنولوجيا في الهند منذ بدايات الحضارة الهندية إلىٰ يومنا هذا، مع رؤية استشرافية أكدا من خلالها أن المستقبل -علىٰ الرغم من التحديات والصعاب- للهند وشبابها[٢].

الهند وكغيرها من الدول سواء النامية منها أو المتقدمة، اقتحمت أبواب المعرفة التقنية من أوسع أبوابها، خاصة تكنولوجيا الدقائق (Nanotechnologies)، والمعلومات وعلوم الحياة،

---

(١) Shipra Banerjee, Quality higher education، its status, problems remedial policy, Research Analysis and Evaluation (International Referred Research Journal), April 2011, vol. 2, no. 19, pp. 164-165.

(٢) APJ Abdul Kalam and Sivathanu Pillai, We can do it: Thoughts for change, Pentagon Press/ Shree Book Centre, Mumbai, 2014.

وتطبيقاتها في مجال الطاقة، والمياه، والدفاع والرعاية الصحية. كما أنها كغيرها أضحت من بين تلك الدول العاملة في مجال «الروبوتكس» وعالم الرجل الآلي (Robotecs)، والذكاء الصناعي، والعلوم العقلية والمعرفية، ولها باع في تكنولوجيا الاستشعار عن قرب أو عن بعد (Sensor technologies)، وتطبيقاتها في عالم الضوء والليزر، وغيرهما. أيضا، تراها في مقدمة المشتغلين بتكنولوجيا المواد الصلبة (technologieMaterials)، كالحديد والفولاذ وغيرهما. ولها دورها في تكنولوجيا الطاقة الفائقة الانشطارية (High energetics)، وما يتعلق بها من ضبط وإدارة وتدبير وتوظيف المواد شديدة الحساسية والانفجار، ونظيراتها. هذا إضافة إلىٰ نشاطها في مجالات التكنولوجيا الاندماجية (technologies Fusion)، وتكنولوجيا عالم الفضاء الخارجي (Space technologies)، والصواريخ التقليدية وغير التقليدية (Missile technologies)، وتكنولوجيا عالم التردد والتسارع (ypersonicsH)، وتكنولوجيا البيئة وما هو صديق البيئة (Green technologies).

لتعزيز مكانة التعليم العالي والعلوم والتكنولوجيا في ذلك التعليم، نرىٰ «جواهر لال نهرو» (Jawaharlal Nehru) يطلق مبادراته في ذلك الشأن الواحدة تلو الأخرىٰ، لما في الأمر من أهمية[1].

(١) B. R. Nanda, Jawaharlal Nehru, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale، Farmington Hills, 2006, vol. 3, pp. 222-227.

ففي ١٨ آب، ١٩٥١م كان افتتاح أول معهد هندي للكنولوجيا في مدينة «كاراغبور» (Kharagpur) في ولاية «البنغال الغربي» (West Bengal)، وذلك برعاية وزير التربية والتعليم في حكومة «نهرو»، مولانا «أبو الكلام آزاد» (Maulana Abul Kalam Azad)، وبحضور ثلة من كبار علماء الهند وروادها في مجال العلوم والتكنولوجيا[١].

لاحقا، وعلىٰ وجه التحديد مع أواخر الخمسينات نرىٰ الباب وقد فتح للمزيد من تلك المعاهد، في كل من «بومبي، ومادراس، وكانبور، ودلهي».

صحيح أن الهند -وكما كان يراها البعض- بالمتخلفة تقنيا عند مقارنتها بالدول الصناعية الكبرىٰ، علاوة علىٰ الصين الشعبية، إلا أنها أضحت تسهم في مجال التنمية والبحث العلمي بما يقدّر بـ ١٠٪ علىٰ مستوىٰ آسيا، ولتنمو إنتاجيتها البحثية مقارنة بالسنوات الأولىٰ من مشوارها العلمي، إلىٰ ما يساوي ٤٥٪، خاصة في السنوات الخمس الأخيرة[٢].

وعلىٰ الرغم من تلك التحديات والمعيقات التي تواجه الهند

---

(١) Prem Vrat, Indian Institutes of Technology, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 2, pp. 229-231.

(٢) Sanjib Katuwal, Science and technology: India lagging behind, Morung Express. Link: http://www.morungexpress.com/Perspective/113755.html (Retrieved 10 September, 2014).

وعلمائها في مجال البحث العلمي والتطور التكنولوجي، نراها اليوم وكدولة نامية إلىٰ جانب كل من الصين وإيران وجنوب أفريقيا والبرازيل إضافة إلىٰ ٣١ دولة من الدول المتقدمة والمهتمة بالشأن العلمي والتقني تسهم بما يساوي قرابة الـ(٩٧,٥%) من مجموع الناتج البحثي العلميّ، مقابل ١٦٢ دولة لا تنتج سوىٰ (٢,٥%) من تلك الأبحاث والدراسات[١].

في العام ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣م نرىٰ الهند تستثمر في تعزيز مجالاتها العلمية والتقنية ما يساوي (٣,٧) بليون دولار أمريكي؛ صحيح أن هذا الرقم لا يقارن بما تنفقه بلد كأمريكا واليابان أو جارتها الصين في نفس المجال[٢]، إلا أن ذلك حسب خبراء ساعد البلد وخمسة من معاهدها التكنولوجية من أن تصبح من بين أفضل عشرة معاهد للعلم والتكنولوجيا علىٰ المستوىٰ الآسيوي[٣].

حركة رئيس الوزراء «نهرو» التصحيحية، في المجال العلمي

---

(١) D. A. King, The scientific impact of nations, Nature, 2004, vol. 430 no. 6997, pp. 311-316.

(٢) Indian officials, India lagging in science and technology.

Link: http://www.scidev.net/global/policy/news/india-lagging-in-science-and-technology-says-offi.html. (Retrieved 5 September, 2014).

(٣) Asia's best science and technology schools, Asiaweekcom: special report, June 22, 2000.

Link: http://www-cgi.cnn.com/ASIANOW/asiaweek/features/universities2000/sci-tech/sci.overall.html (Retrieved 6 September, 2014).

والتقني، منذ البداية، جاءت بهدف «تحويل اقتصاد الهند إلىٰ اقتصاد دولة حديثة ولوضع البلد بما يتناسب مع العصر النووي»[١].

من هنا يقول خبراء بأن أول معهد هندي تكنولوجي في مدينة «كاراغبور» جاء محاكاة لنموذج «معهد ماساشوسيتس للتكنولوجي» (Massachusetts Institute of Technology) **في الولايات المتحدة الأمريكية**[٢].

كما أن ميلاد منظمة أبحاث الدفاع والتنمية (Defense Research and Development Organization) في العام ١٩٥٨م والتعاون مع «السوفيات» في مختلف المجالات العسكرية، وأبحاث الفضاء من خلال تلك المؤسسة (وغيرها) لم يكن بمعزل عن أهداف وتطلعات قادة الهند لنقل البلد إلىٰ وضع علميّ وتقنيّ يليق بها وبتاريخها الحضاري وما يتطلبه العصر[٣].

ولوج الهند إلىٰ عالم وسائل الاتصال والتواصل الجماهيري يعود إلىٰ العام ١٧٨٠م، حيث طباعة «صحيفة البنغال» (The Bengal Gazette) كأول صحيفة هندية، ليتبعها «صحيفة

---

(١) B. R. Nanda, Jawaharlal Nehru, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 3, pp. 222-227.

(٢) Prem Vrat, Indian institutes of technology, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 2, pp. 229-231.

(٣) Sultanat Aisha Khan, Russia, relations with, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale، Farmington Hills, 2006, vol. 3, pp. 419-422.

الهند»، «صحيفة كلكتا»، «صحيفة مدراس»، وغيرها في العام ١٧٨٥م[١]. إلىٰ أن وصل عدد الجرائد والصحف في الهند حوالي الـ(٧٠,٠٠٠) ألف صحيفة وجريدة، يباع منها يوميا ما يقدر بحوالي (١٠٠) مليون نسخة![٢]

كما أن الولوج إلىٰ عالم البث عبر الأثير من خلال المذياع والتلفاز وصناعة أفلام السينما، كان باكرا، وكانت بداياته تعود الىٰ أواخر العقد الثاني من القرن الماضي (١٩٢٧م) وأواخر الخمسينات (١٩٥٩م) علىٰ التوالي[٣].

محطات الهند عبر الأقمار الصناعية وتقنياتها تصل اليوم إلىٰ (٦٩٠) قناة، من بينها (٨٠) قناة إخبارية، تعمل علىٰ مدار الساعة[٤].

---

(١) Raju G. C. Thomas, Media, in Stanley Wolpert, Encyclopaedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 3, pp. 105-107.

(٢) Soutik Biswas, Why are India's media under fire? BBC News-India, January 12, 2012.

Link: http://www.bbc. com/ news/ world- asia- india- 16524711 (Retrieved 8 September, 2014).

(٣) Joseph E. Schwartzberg, Maps and mapmaking in India, in Helaine Selin, Encyclopaedia of the History of Science, Technology, and Medicine in Non-Western Cultures (2nd edition), (edited), Springer (International Publishers, 2008) pp. 1301-1303.

(٤) Soutik Biswas, Why are India's media under fire? BBC News-India, January 12, 2012.

صناعة السينما والتي تعود في بداياتها إلىٰ عرض أفلام «اوغستي ولويس لوميري» الشهيرة في أوروبا (Auguste and Louis Lumiére) كان مما عرفته الهند منذ تموز ١٨٩٥م، في مدينة بومبي[١]، [٢]، إلىٰ أن تطور الأمر لتصبح الهند الرائدة عالميا في مجال صناعة الأفلام السينمائية، حيث تعد «بوليوود» الأضخم عالميا في هذا المضمار[٣].

التعرف علىٰ الحاسوب والبرامج المحوسبة، وتوظيف أجهزة الحاسوب من نوع (EVS EM computers) «السوفيتية» المصدر، في الشركات العملاقة ومختبرات البحث العلمي أيضا بالخطوة المحسوبة للهند وحكومتها المركزية، إلىٰ أن أخذت في الستينات والسبعينات مجموعة «تاتا» (Tata Group) تنتج كل ما يلزم من تقنيات وبرمجيات الحاسوب[٤].

Link: http://www.bbc.com/news/world-asia-india-16524711 (Retrieved 10 September, 2014).

(١) Raju G. C. Thomas, Media, in Stanley Wolpert, Encyclopaedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 3, pp. 105-107.

(٢) Rani Day Burra Maithili Rao, Cinema, in Stanley Wolpert, Encyclopaedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 1, pp. 252-259.

(٣) K. Jha Subhash, The essential guide to Bollywood, Roli Books, New Delhi, 2005, p. 1970.

(٤) Ashok V. Desai, Information and other technology development, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 2, pp. 269-273.

حرمان الهند من أجهزة الحاسوب الفائقة (Supercomputers) جراء أبحاثها وتجاربها النووية، وفرض الحصار التقني عليها، دفعها إلىٰ الشروع في أواخر الثمانينات من القرن الماضي إلىٰ البحث عن بناء وتطوير حاسوبها الخاص «بارام ٨٠٠٠» (8000 PARAM)، والذي رأىٰ النور لأول مرة في العام ١٩٩٠م، وعلىٰ يد خبراء مركز تطوير الحاسوبات المتقدمة (Centre for Development of Advanced Computing) المتمركز في مدينة «بونا»[١]. إلىٰ أن سرعان ما أضحت الهند وأنظمتها الحاسوبية الفائقة واحدة من بين تلك الدول المتقدمة في هذا المجال، حيث احتلت حاسوباتها الفائقة ومراكزها أربع رتب متقدمة من بين مئة رتبة، وعلىٰ مستوىٰ العالم، وإحدىٰ عشر رتبة من بين قائمة الخمسمائة رتبة. ومع تموز ٢٠١٣م، تصبح الهند السابعة عالميًا في مجال الحاسوبات الفائقة[٢].

اقتحام الهند لتكنولوجيا الطاقة النووية «السلمية» يعود إلىٰ تعاونها بداية مع الأمريكان في هذا المجال، حيث أفضىٰ ذلك التعاون إلىٰ إنشاء أول محطة للطاقة الذرية، في «تارابور» (Tarapur Atomic Power Station) في العام ١٩٦٢م وتحت

---

(١) Tushar Gajjar, Supercomputers in India, IndiaDaily, July 17, 2013.

Link: http://indiadaily.indiavoice.info/technology/supercomputers-in-india-20130717444/. (Retrieved 12 September, 2014).

(٢) Ibid.

إشراف وكالة الطاقة الذرية العالمية (International Atomic Energy Agency)، ليتبعها لاحقا إنشاء مفاعلات «كانادو» الكندية (CANDU Reactors) وغيرها[١].

كما أن التقارب الهندي السوفيتي (وعلىٰ التوازي مع الغرب) في أوائل الستينات وتعاونهما الاستراتيجي المشترك، مكّن للهند من تنمية قدراتها البحثية في مجال تعزيز إمكانياتها وقدراتها الصاروخية والنووية علىٰ حد سواء، لتقوم الهند بأول تفجير نووي لها في ١٨ نيسان، ١٩٧٤م في «بوكران» (Pokhran)، في صحراء «ثار» (Thar) في ولاية «راجستان» (Rajasthan)[٢] (*).

اقتحام الهند للعلم والتكنولوجيا لتلبية احتياجاتها التنموية والتطويرية ورافعاتها الصناعية قادها إلىٰ سن كل ما يلزم من التشريعات والقوانين الخاصة بصناعة الفولاذ والصلب، وذلك في

---

(١) Rajendran Raja, Nuclear weapons testing and development, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited) Thomson Gale، Farmington Hills, 2006, vol. 3, pp. 253-254.

(٢) Sultanat Aisha Khan, Russia, relations with, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited, 2006), vol. 3, Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 3, pp. 419-422.

(*) قامت الهند بأول تفجير نووي لها تحت الأرض بإشراف خبراء الهندسة العسكرية وهيئة أركان الجيش الهندي؛ وذلك بعد قيام الجارة الصين الشعبية بأول تفجير نووي لها في العام ١٩٦٨م، وكان بأن عرفت تلك العملية الهندية بـ«ابتسامة بوذا» (ng BuddhaSmili) وأعلنت في حينه «أنديرا غاندي» رئيسة الوزراء، بأن تلك العملية جاءت لأغراض سلمية بحتة، وعلىٰ رأسها توليد الطاقة.

العام ١٩٧٢م، لينبثق عن ذلك تشكيل «سلطة فولاذ الهند» (Steel Authority of India Ltd) في العام ١٩٧٣م، لإدارة وتنظيم معامل ومفاعلات تلك الصناعة (الاستراتيجية) علىٰ مستوىٰ الهند[١].

أما عن البعثات الاستكشافية إلىٰ المحيط المتجمد الجنوبيّ، فقط أطلقت الهند برنامجًا خاصًا بهذا الشأن في العام ١٩٨١م، وكانت نقطة الانطلاق من ولاية «جوا» (Goa)، في نفس العام، ليتبعها البعثة تلو الأخرىٰ، من كل عام[٢]، لتنشئ الهند في تلك المنطقة من العالم محطة خاصة بها، عرفت بـ«داكشين دانغوتري» (Dakshin Gangotri)(*).

---

(١) يمكن معرفة المزيد عن سلطة فولاذ الهند، وأهم الصناعات التي تقوم علىٰ تلك المادة، وعلىٰ رأسها صناعة حاملات الطائرات، والسفن الحربية والتجارية، ومستلزمات المنشآت العسكرية، وصالات عالم الطيران العسكري والمدني، إضافة إلىٰ محطات الباصات والقطارات ومترو الأنفاق والجسور العملاقة فوق الأنهار والبحار، وذلك من خلال الرابط الإلكتروني:

http://www.sail.co.in/. (Accessed 12 September, 2014).

(٢) Government of India, Department of Ocean Development, Annual report (1984-1985).

Link: http://dod.nic.in/ann84-85.pdf. (Retrieved 14 September, 2014).

(*) قاعدة «داكشين دانغوتري» هي أول محطة علمية استكشافية للهند في منطقة المحيط المتجمد الجنوبي (Antarctica)، والتي تعتبر جزء لا يتجزأ من برنامج البلد الخاص بأبحاثها ودراساتها لخبايا وخفايا عالم ذلك المحيط، وكان بان أقيمت تلك المحطة وقاعاتها ومختبراتها البحثية علىٰ عمق (٢٥٠٠) كيلو متر من القطب الجنوبي.

هذه التطورات العلمية والتقنية غير المعهودة في الهند فتحت لها آفاقا للتعاون الثنائي مع الأوروبيين، حيث كانت النقلة النوعية التاريخية لهكذا تعاون في ٢٥ حزيران، ٢٠٠٢م، ولتوقع الهند مع الاتحاد الأوروبي اتفاقية تعاون مشترك في مجال العلوم والتكنولوجيا[١]. تعاونًا سرعان ما مكن للهند من أن تكون عضوًا مراقبًا في المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية (The European Organization for Nuclear Research) في «جنيف»، ليتبع ذلك إنشاء مركز أوروبي ـ هندي مشترك في مجال تطوير البرمجيات الحاسوبية المعقدة، اتفق علىٰ أن يكون مقره مدينة «بانغلور» (Bangalore)[٢].

ما بين العام ٢٠٠٦-٢٠٠٨م نرىٰ الحكومة الهندية ومن خلال قسم العلوم والتكنولوجيا وفرق عملها العلمية والتقنية المختلفة تقحم نفسها في مشاريع «تكنولوجية دقيقة» عملاقة، وفي قطاعات حيوية وفيزيائية حساسة لها قدرها التطبيقي الكبير في مجالات كالصحة والطاقة والمياه والبيئة والتغذية والزراعة والسموم. ونراها تنفق علىٰ ذلك ملايين الدولارات. فعلىٰ سبيل المثال لا الحصر، أطلق القسم المشار إليه برنامجًا متخصصًا في العلوم والتكنولوجيا

(١) Prafulla Ketkar, European Union, relations with, Science and technology, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 2, pp. 48-51.

(٢) Ibid.

الدقيقة في العام ٢٠٠٧م بعد أن خصص له ما يقارب من الـ (١٠٠٠) كرور (Crore) روبية هندية (أي ما يقارب من الـ ٢٥٤ مليون دولار أمريكي)؛ وذلك لتغطية نفقات أبحاث ودراسات خمس سنوات قادمة من تاريخ إطلاق ذلك البرنامج[١]. إلىٰ أن أضحت هذه التكنولوجيا العصرانية في عالم «الانفجار العلمي والمعرفي» المعاصر، وكما يعبر عنها العالم الهندي «مانيش أناند» (Manish Anand) «صناعة إشراقة الشمس الجديدة»[٢].

أما فيما يتعلق بأمر تكنولوجيا البرمجيات الحاسوبية ونظمها، أو ما يعرف بتكنولوجيا المعلومات (Information technology)، فيكفينا علمًا أن هذا القطاع الحيويّ صار يسهم في الدخل القومي الهندي (GDP) أكثر من غيره من القطاعات، حيث انتقل في نسبته من (١,٢%) في العام ١٩٩٨م إلىٰ (٧,٥%) في العام ٢٠١٢م. وأن عائدات الهند التراكمية جراء هذه التقنية حسب بعض المصادر قد وصلت إلىٰ (١٠٠) بليون دولار أمريكي في العام

(١) The energy and resources Institute (TERI), Nanotechnology development in India: Building capability and governing the technology (TERI Briefing Paper), supported by IDRC, Canada, 2010, pp. 6-7.

(٢) Manish Anand, Nanoscience and nanotechnology: The new sunrise industry, in Shyma V. Ramani, Innovation in India: Combining economic growth with inclusive development (edited), Cambridge University Press, New Delhi, 2014, pp. 211-241.

٢٠١٢م[١]، و(١١٨) بليون مع منتصف العام ٢٠١٤م، موزعة ما بين ما هو صادرات خارجية وعائدات محلية، وبمؤشر نمو يصل إلىٰ (٩%)[٢] (*).

وكما يستنتج «ناغيش كومار» (Nagesh Kumar)، في دراسة له بأن جهود الحكومة الهندية وعلىٰ مدار خمسة عقود (أي منذ بداية السبعينات)، وقيامها بتقديم كل ما يلزم من دعم للمصادر التطويرية لنظام وبنية التعليم العالي، خاصة في مجال الهندسة والتكنولوجيا، وإيجاد كل ما يلزم من البنىٰ التحتية المتعلقة بسياسات العلوم والتكنولوجيا وتنفيذها مؤسساتيا، إضافة إلىٰ بناء مراكز للتميز، كله في نهاية المطاف أثمر، ليجعل من الهند الأولىٰ

(١) Indian IT-BPO Industry, NASSCOM.

Link: http://www.nasscom.in/indian-itbpo-industry. (Retrieved 15 September 2014).

(٢) Ibid.

(*) استطاعت الهند وبزمن قياسي من أن تجعل من نفسها الأضخم في سوق صناعة تكنولوجيا المعلومات، حيث أن السوق الهندي أضحىٰ يستوعب ما يقدر بـ(٣) مليون موظف في هذا المجال، وبقدرة استيعابية سنوية تقدر بحوالي (٢٥٠) ألف وظيفة جديدة. بل أضحت الهند من أكبر المحطات العالمية في مجال تصنيع تكنولوجيا المعلومات، إلىٰ أن صار المستثمرين الدوليين في هذا القطاع، وجهتهم الهند، وعلىٰ وجه التحديد مدينة «بانغلور» (Bangalore) في ولاية «كارناتاكا» (Karnataka)، والتي تعرف بـ«وادي سلكون الهند»، لدورها ولحصتها الإنتاجية الأكبر من تلك الصناعة.

في مجال تكنولوجيا المعلومات[١].

انفجار ما يعرف بالتكنولوجيا الحيوية (Biotechnology) وانعكاساتها علىٰ القطاع الزراعي في الهند وولاياتها، والتوسع في تطبيقاتها من قبل القطاع الحكومي والقطاع الخاص في مجال الزراعة والطب يكاد أن يعم البلاد، حيث إن مراكز أبحاث ودراسات الحياة وأبعاد الحياة تقنيًا أضحت في كل ناحية ومكان من الهند[٢]. بل تعدىٰ الأمر الزراعة والطب، ليغطي الصيدلة الحيوية، والخدمات، والصناعات والحوسبة الحيوية. لتسجل الهند عوائد نقدية بالعملة الصعبة في هذا المجال تقدر في مجموعها التراكمي عشرات البلايين الدولارات، فمن ما مقداره (٠,٨) بليون في العام ٢٠٠٦م إلىٰ (٢,٢) بليون مع نهاية العام ٢٠١٣م. ولتكون بدايات التداول في السوق بما مقداره الـ (١,٥) بليون كما شهد العام ٢٠٠٦م، ليصل الأمر إلىٰ حوالي (٤,٣) بليون مع نهاية العام ٢٠١٣م[٣].

---

(١) Nagesh Kumar, National innovation systems and the Indian software industry development, in Shyma V. Ramani, Innovation in India: Combining economic growth with inclusive development (edited), Cambridge University Press, Delhi, 2014, pp. 143-185.

(٢) Shalendra D. Sharma, Biotechnology revolution, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 1, pp. 154-157.

(٣) India Brand Equity Foundation (IBEF), Biotechnology industry in India, August 2014. =

كما أن الهند وبناء علىٰ خطط مدروسة من قبل قسم التكنولوجيا الحيوية (The Department of Biotechnology) في الحكومة المركزية، وبعض الجهات المهتمة الأخرىٰ، تتطلع إلىٰ توسيع دائرة تداولاتها في السوق لحصاد ما يقدر بـ(٧) بليون دولار أمريكي من تلك الصناعة الحيوية مع نهاية العام ٢٠١٥م، وأنه في حال ضمان توفر استثمارات سنوية في تلك الصناعة قدرها ما بين (٤,٠١٩ - ٥,٠٢٤) بليون دولار أمريكي فإن حجم التداول ومتعلقاته في تلك الصناعة قد يصل مستقبلا كما يقدر خبراء إلىٰ (١٠٠) بليون دولار أمريكي مع نهاية العام ٢٠٢٥م[١].

هذا مع التنويه بأن حصة الصناعات الدوائية تحتل نصيب الأسد من بين تلك الصناعات التقنية الحيوية في الهند، حيث تسهم حسب نفس المصدر السابق بما نسبته (٦٤,٠%) من تلك الصناعة. وقد تصبح الهند حسب بعض المؤشرات وهذه النزعة النمائية الرائدة الأولىٰ في هذه الصناعة الحيوية علىٰ مستوىٰ العالم. فهي -ولا شك- تمتلك كل ما يلزمها من تقنيات تلك الصناعة ومواردها البشرية وموادها الأولية، إضافة إلىٰ توفر عنصر

= Link: http://www.ibef.org/industry/biotechnology-india.aspx. (Retrieved 18 September, 2014).

(١) Ibid.

انفتاح البلد علىٰ العالم وأسواقه[1].

برنامج الفضاء الهندي والذي تعود بداياته إلىٰ التعاون مع «السوفيات»، ساعد الهند ومنظمتها في مجال تطوير أبحاث الفضاء (Indian Space Research Organization) من الوصول إلىٰ بناء قاعدة لإطلاق الصواريخ للفضاء الخارجي، والمعروفة بـ«بمحطة ثمبا الاستوائية» (Thumba Equatorial Rocket Launching Station) في جنوب البلاد، وبالتالي إطلاق أقمار صناعية لأغراض المراقبة والاستكشاف والاستشعار عن بعد، حيث كان تطوير وإطلاق أول قمر صناعي خاص بالهند يحمل اسم العالم الفلكي والفيزيائي القديم «أريابهاتا» (Aryabhatta)، ليتبع استعداد البلد إلىٰ إرسال البعثات الفضائية وروادها في مهام متعددة إلىٰ الفضاء الخارجي، والتي كان آخرها بعثة اكتشاف المريخ، في ٥ تشرين ثاني ٢٠١٣م، حيث دخل الهنود إلىٰ مدار المريخ مؤخرًا، بعد الأمريكان والروس والأوروبيين، وفي سابقة تاريخية، حيث كان ذلك بأقل تكلفة، ومن أول محاولة، في

(١) Shyama V. Ramani and Samira Guennif, The secrets behind India's success in Pharmaceuticals: Seizing the right windows of opportunity, in Shyama V. Ramani, Innovation in India: Combining economic growth with inclusive development (edited), Cambridge University Press, New Delhi, 2014, pp. 186-210.

٢٤ أيلول، ٢٠١٤م[١]، [٢] [*].

ولولا أن يطول بنا المقال لفصلنا أكثر حول إنجازات الهند غير المعهودة في مجال «الروبوتكس» والذكاء الصناعي، وتكنولوجيا العلوم العقلية والعصبية، والرصد والاستشعار، وغيرها. فما من تقنية عرفها الإنسان في القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين إلا وعرفها الهنود، ودخلوا إليها من أوسع الأبواب.

---

(١) Sultanat Aisha Khan, Russia, relations with, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 3, pp. 419-422.

(٢) Aditya Kalra, India triumphs in maiden Mars mission, sets record in space race, Reuters, September 24, 2014.

Link: http://in.reuters.com/article/2014-09-24/india-mars-successful-mangalyaan-idINKCNHJ05720140924. (Retrieved 24 September, 2014).

(*) طورت الهند من خلال منظمتها لأبحاث الفضاء (ISRO) وأطلقت بالتعاون مع «السوفييت» قمرها الصناعي الأول «أريابهاتا» في ١٩ نيسان ١٩٧٥م، ليتبعه القمر «روهيني» في العام ١٩٨٠م. وفي العام ٢٠٠٨م نرىٰ الهند تنجح في بعثتها الأولىٰ لاكتشاف القمر، والتي عرفت بـ«جاندرايان - ١».

الفصل السادس

تحديات وصعاب ما برحت تواجه الهند

تحديات وصعاب

تواجه الهند ديموقراطيًا وسياسيًا

بالرغم من كل الخصائص والسمات التي تم تناولها في هذه الدراسة علىٰ اعتبار أنها مقومات إيجابية تتصف بها الديمقراطية في الهند، إلا أن هناك إشكاليات ومعوقات مرتبطة بها، وأغلب هذه التحديات ذاتية بنيوية. يتجسد التحدي الأول في نسبة الأمية والجهل العالية في أوساط الهنود من كل الفئات بمن فيهم الشباب. فالتعليم ليس فقط إلزاميا وضروريا لتمكين الناس العاديين للتصويت واختيار مرشحيهم، وممارسة هذا الحق علىٰ أرض الواقع، وإنما أيضا يمكنهم من تثقيف ذاتهم فيما يرتبط بالقضايا والمشاكل والتحديات التي تواجهها أمتهم علىٰ مختلف الأصعدة، كما ويساعد التعليم في تبنيهم لمبادئ سامية علىٰ شاكلة الحرية و«الدمقرطة» والعدالة التوزيعية والتمثيل الحقيقي لهموم الناس. وبالرغم من إن إحصاءات الحكومة الهندية تشير أن نسبة التعليم في أوساط الهنود ارتفعت إلىٰ ما يقارب الـ ٧٤% في العام ٢٠١١م، إلا أن آخر تقارير الأمم المتحدة المختصة تشير إلىٰ أن نسبة الأمية في الهند ما زالت عالية، حيث أنها تصل إلىٰ ٣٧%،

وهي النسبة الأعلىٰ عالميًا[١].

ويعتبر الفقر التحدي الثاني الذي يواجه الديمقراطية الهندية، وبحسب آخر التقارير الصادرة عن اللجنة المركزية للتخطيط، فإن نسبة الفقر في الهند من ٢٧% في العام ٢٠٠٤-٢٠٠٥م إلىٰ ما يقارب ٢٤% في العام ٢٠١١- ٢٠١٢م، وأن الهند ما زالت تصنف ضمن قائمة الدول الأكثر فقرًا في العالم في تقارير التنمية البشرية الصادرة عن الأمم المتحدة، ففي العام ٢٠٠٩م احتلت الهند المركز ١٣٤ ضمن هذه القائمة. وهذا يعكس أن عملية التنمية في هذا البلد الكبير لم تصل إلىٰ مرحلة القضاء علىٰ الفوارق الاقتصادية والطبقية، مما يعني أن نسبة كبيرة من الناس لن تهتم بعملية تحول ديمقراطي حقيقي طالما هم في صراع للحصول علىٰ خبزهم وقوت أسرهم، وهم أكثر الناس عرضه للاستغلال في أوقات الانتخابات[٢].

أما التمييز القائم علىٰ أساس الجنس فهو أيضًا تحدي مفصلي يواجه الهند وديمقراطيتها حيث أولًا التمييز بين الجنسين في أماكن العمل والرواتب وطبيعة المهام والوظائف الموكلة للطرفين في بيئة يغلب عليها الطابع الذكوري، إلا أن أكثر القضايا الحساسة التي تواجه الهند اليوم فيما يتعلق بالمرأة هو ازدياد نسبة الذكور مقابل

(١) United Nations, Illiteracy in India top in adult (Report), The Hindu, January 29, 2014.

(٢) Planning Commission, Press note on poverty estimates in India, Government of India Publication, New Delhi, July 2013, pp. 1-9.

الإناث، وبحسب بعض الإحصائيات، فإن هذه النسبة وصلت في العام ٢٠١١م إلىٰ ٩١٤ أنثىٰ مقابل ١٠٠٠ ذكر. وهذا في حقيقة الأمر يعني شيئين اثنين، أولها أن هذا التدني جاء بسبب حالات الإجهاض الكبيرة في أوساط النساء الهنديات الحوامل ببنات لاعتبارات مرتبطة بواقع اجتماعي هندي يفرض علىٰ أسرة الفتاة دفع مهرها مقابل تزويجها، وهذا يعني فاتورة اقتصادية كبيرة، والأمر الآخر ازدياد واضح في حالات التحرش الجنسي واغتصاب النساء في الآونة الأخيرة في أكثر من مكان وأكثر من موقع في الهند[١].

إن ارتفاع وتيرة الصراعات الطائفية والإثنية والطبقية والمحلية شكلت هي أيضا تحديًا كبيرًا لديمقراطية الهند؛ لأن تمازج الدين والطبقة الاجتماعية والاعتبارات المحلية قد أسهم فعلا في تهميش الطابع الاجتماعي والوعي المجتمعي المطلوب لإنجاح أية تجربة سياسية أو وطنية. فالهند ما زالت تعاني من صدام الطبقات العليا مع الطبقات الدنيا داخل المجتمعات الهندوسية والبوذية، وما نتج عن هذا الصدام من سياسات وإجراءات اتخذتها الدولة لزيادة رفعة الطبقات الفقيرة عبر آليات الحجوزات أو «الكوتا» و «المحاصصة» في الوظائف والتعيينات لصالح هذه الفئات، مما أضعف من التماسك الاجتماعي، وأضر بالنظام الإداري العمومي. كما أن تراجع القيم العلمانية الحقيقية في الهند انعكس بصورة واضحة علىٰ العلاقة مع الأقلية المسلمة علىٰ اعتبار أنها الأكبر في هذا البلد،

(١) Human Rights Watch, Breaking the silence: Sex child abuse in India, The US Printing Office, 2013, pp. 1-82.

وبدوره أسهم ذلك في ازدياد حجم التوترات الاجتماعية والطائفية في أكثر من مكان وأكثر من مناسبة، وصلت إلىٰ درجة الصراعات الدموية لا سيما في ضوء زيادة في درجة التعصب في أوساط الهندوس وتزايد تأثير الأحزاب اليمينية الهندية في الحالة الوطنية عمومًا[١].

أخيرًا لا بد من أن نشير أن انتشار الفساد المالي والإداري والواسطة والمحسوبيات وهدر المال العام وغسيل الأموال والفضائح المالية المرتبطة بسياسيين كبار كانت وما زالت من أكبر التحديات التي تضعف ممارسة الديمقراطية علىٰ أرض الواقع. وبناء علىٰ تصنيف منظمة الشفافية العالمية للعام ٢٠١١م، فإن الهند احتلت المرتبة ٩٥ علىٰ قائمة أكثر من ١٨٣ دولة، هي الأكثر فسادا مما يضعف الأساس الأخلاقي والاجتماعي للممارسة الديمقراطية ويفقد الناس العاديين ثقتهم بالنظام السياسي ككل. وقد رصدت العديد من الدراسات كيف أن الأحزاب السياسية والنخبة السياسية استغلت جهل الناس لشراء أصواتهم في أوقات الانتخابات، وهذا أسهم في نهاية المطاف من إضعاف أسس الممارسة الحقيقية للديمقراطية وبدد من عملية التنمية الصحيحة وأضر بالتوزيع العادل للمصادر والموارد[٢].

---

(١) Human Rights Watch, We have no orders to save you, state participation and complicity in communal violence in Gujarat (Report), July 2002, vol.14, no.3, pp. 1-60.

(٢) A. Abdulraheem, Corruption in India: An overview, causes, consequences and remedial measures, Social Action, October- December 2009, vol. 59, issue No. 352, pp. 351-361.

وبالجملة، نرىٰ البروفيسور «أمارتيا سن» (Amartya Sen) الحائز علىٰ جائزة نوبل في الاقتصاد والتنمية عن أطروحته المشهورة عالميًا «التنمية هي الحرية بكل أشكالها وأنواعها» (Development is Freedom)، قد حدد المعيقات التالية التي ما زالت تزاحم الحكومة الهندية ومجمل مكونات النظام السياسي في ترسيخ ثقافة التعددية و «الدمقرطة» والتنمية علىٰ نطاق واسع[1]، وهي:

١- قلة فاعلية المؤسسات السياسية الديمقراطية في حيزها العام، إضافة إلىٰ ضعف الممارسة الديمقراطية والمأسسة الصحيحة.

٢- عدم المساواة وغياب التمكين خاصة للنساء والفقراء والمعوزين والأرياف، وهذا يظهر في ازدياد الفوارق الطبقية والاقتصادية والاجتماعية والمناطقية، فضلا عن ازدياد حالات التضييق علىٰ النساء في أماكن العمل والاغتصاب والتحرش لا سيما في المناطق الريفية البعيدة، وفي أوساط الطبقات الفقيرة والطبقات الاجتماعية المسحوقة.

٣- ضعف تأثير اللامركزية الإدارية والمناطقية، وعدم تعمق الديمقراطية المحلية خاصة في إداراتها للموارد البشرية والطبيعية

(١) Jean Dreze and Amartya Sen, Democratic practice and social inequality in India, Journal of African and Asian Studies, 2002, vol. 6, no. 37, pp. 6-37.

وجبايتها للضرائب، وجسر الهوة بين الأهداف والغايات من جهة والإنجازات من جهة أخرىٰ، فضلا عن ضعف المشاركة السياسية والتجنيد الاجتماعي. وهذا ربما يتجلىٰ بشكل واضح في ضعف تأثير الأحزاب السياسية وجماعات الضغط والمصالح ومجموعات الأعمال والجماعات المحلية المؤيدة للمرأة في إعادة تعريف السياسية والتأثير السياسي من خلال دورها في توزيع الموارد، وأخذ دور أكبر فيما يتعلق عليه اليوم إعادة توزيع السياسية (Redistributive Justice)، لا سيما مواردها وخدماتها للناس العاديين في المناطق البعيدة[1].

٤- انتشار الفساد بكل أشكاله وألوانه ومظاهرة المختلفة بما فيها الواسطة والمحسوبيات وهدر المال العام وغسيل الأموال وغياب الشفافية في إدارة المال العام، وتحالف السياسيين وزعماء الأحزاب السياسية مع رجال العمال والقطاع الخاص، مما أسهم في إنتاج ثقافة اعتمادية تتبادل فيها المصالح وتوزيع الغنائم علىٰ حساب المصالح العامة. هذا إضافة إلىٰ غياب آليات واضحة ليس فقط لفرض نظام إداري شفاف، وإنما أيضا غياب آليات المحاسبة والمتابعة الإدارية والقانونية.

٥- السجل غير الجيد للهند فيما يتعلق بحقوق الإنسان

(١) Rajiv Krishnan Kozhikode and Jiatao Li, Political, pluralism, public polices and organizational choices: Banking branch expansion in India 1948-2003, Academy of Management Journal, 2012, vol. 55, no.2, pp. 330-359.

والصراعات المحلية والطبقية والإثنية والعرقية والدينية في مناطق كثيرة في شمال الهند وجنوبها وشرقها، خاصة في كشمير وأسام والولايات الشرقية الشمالية. وقد تزامن مع هذه الصراعات المحلية انتهاكات واضحة لحقوق الإنسان ومصادرة الحريات وإعلان حالات الطوارئ في أكثر من تاريخ في الهند. وهذا لا يعني بالضرورة الانتهاكات السياسية، وإنما أيضا يشمل مصادرة الحقوق الاجتماعية والصراعات الطبقية وزيادة حالات استهداف النساء والفقراء والطبقات الاجتماعية الفقيرة.

أما عن أهم تلك التحديات السياسية التي تواجه الهند، وعلىٰ وجه الخصوص ما يتعلق منها بموضوع العلاقات الخارجية، فما زالت المشكلة «الكشميرية»، والمتمثلة في الصراع مع الباكستان والعديد من المنظمات والتنظيمات الإسلامية «الجهادية» المناهضة للوجود الهندي في «كشمير» علىٰ اعتبار أنها أرض إسلامية بالأمر القائم. ففي العام ٢٠٠١م حدث هجوم وصفته الهند بـ«الإرهابي المدبر» علىٰ البرلمان الهندي من قبل مسلحين انطلقوا من علىٰ الأراضي الباكستانية، حيث أزم الحادث بعد مقتل ١٥ وجرح ٢٠ من العلاقة مع الباكستان[١]، وكان بأن أعقبه في العام ٢٠٠٨م

(١) Rahuk Bedi and George Wright, '15 die' in terror attack on Indian parliament, Mail Online: Evening Standard, December 13, 2001.

Link: http://www.dailymail.co.uk/news/article–89759/15-die-terror-attack-Indian-parliament.html. (Retrieved 15 June, 2014).

عملية وصفتها الهند بـ«الإرهابية المنظمة» في قلب «مومباي» (عاصمة الهند التجارية)، عملية أفضت الىٰ مقتل أكثر من ١٠٠ شخص، وجرح المئات، حيث كادت الحرب أن تقع بين الهند والباكستان علىٰ إثر ذلك، حيث قام بتلك العملية وكما أعلنت مصادر هندية أفراد ينتمون إلىٰ جماعة «لشكر الطيبة» الإسلامية، والتي تتخذ من باكستان و «كشمير آزاد» مقرا لها[١]. ،[٢] فالهاجس الهندي من طرف المنطقة الشمالية الغربية، حيث تأثير الباكستان ومن ورائها أفغانستان علىٰ «كشمير» علىٰ اعتبار أنها أرض إسلامية محتلة لا يكاد يخبو، وهو بالتحدي السياسي الأكبر ما لم تسوَ المشكلة «الكشميرية» ويتوصل الهنود مع جيرانهم إلىٰ حل.

تحد حدودي آخر ما برح يؤرق الهند، مصدره الصين الشعبية، فأزمة الثقة والحدود بين البلدين لم تسوَ بعد، لا قبل حرب ١٩٦٢م ولا بعدها، هذا علىٰ الرغم من انضباط الطرفين رسميا علىٰ الحدود وعبرها، فالجبهة الهندية الصينية لا تكاد تذكر

---

(١) Ian Black, Attacks draw worldwide condemnation, The Guardian, November 28, 2008.

Link: http://www.theguardian.com/world/2008/nov/28/mumbai-terror-attacks-international-response. (Retrieved 20 June, 2014).

(٢) Mark Magnier and Subhash Sharma, Terror attacks ravage Mumbai, Los Angeles Times, November 27, 2008.

Link: http://articles.latimes.com/print/2008/nov/27/world/fg-mumbai27. (Retrieved 20 June, 2014).

حولها أي من الخروقات مقارنة مع الجبهة الحدودية مع الجارة المسلمة باكستان. إلا أن ثمة تحركات خفية تعبر عن وجود أزمة بين البلدين تبقىٰ بالمتوفرة، والتي تتمثل بسياسات استخدام أوراق الضغط المتبادل، ومنها علىٰ سبيل المثال لا الحصر، إيواء الهند للزعيم السياسي والروحي لبوذ «التبت» وأتباعه المناهضين للصين وسياساتها تجاه «التبت» و «شعب التبت». ف«الدالاي لاما» (Dalai Lama) ومنذ العام ١٩٥٩م وهو يقيم في «دهارامسالا» (Dharamsala)، في شمال الهند، ويمارس وأتباعه نشاطهم السياسي والروحي المناهض للصين من هناك[١]. أما الصين من جهتها، فهنالك حراك شيوعي ماركسي راديكالي محموم يعمل في الولايات الهندية الشمالية الشرقية، في «آسام» و «ميزورام» و «ناغلاند» وغيرها، وتعلم الهند جيدا بأن للصين فيما إذا أرادت لجم تحرك متمردي وثوار تلك الولايات كلمتها في الأمر، وأن الأخيرة تستطيع بكلمة واحدة إيقاف ذالك الحراك المناهض للهند وسياساتها في تلك الولايات ومناطقها، فتأثيرها هناك بالواضح[٢].

---

(١) Saibal Dasgupta, China blames Dalai Lama for border dispute with India, The Times of India, October 23, 2013.

Link: http://timesofindia.indiatimes.com/world/china/China-blames-Dalai-Lama-for-border-dispute-with-India/articleshow/24564243.cms. (Retrieved 20 June, 2014).

(٢) Sreeradha Datta, Security of India's northeast: External linkages, IDSA Publication, New Delhi.

Link: http://www.idsa-india.org/an-nov-00-8.html. (Retrieved 20 June, 2014).

ومن ناحية العلاقة مع «إسرائيل» وطبيعة تلك العلاقة، فما برحت الهند تتعامل مع «إسرائيل» بشيء من السرية التامة، خاصة في الشؤون الأمنية والعسكرية، وذلك خوفا مما قد يكون لذلك التعاون من تبعات علىٰ الحس القومي العربي، أو الحس العربي الإسلامي (علاوة عن الحس الإسلامي غير العربي، والمتمثل بباكستان وأفغانستان وتركيا وإيران وماليزيا وأندونسيا وغيرها من الدول الإسلامية)، والتي بداهة لا يروق لشعوبها قبل أنظمتها السياسية هكذا علاقة، حيث يرون فيها تحالفا مناهضا للأمة ومستقبل قضاياها العادلة، كقضية فلسطين في المنطقة العربية، وقضية كشمير في جنوب آسيا. فالتحدي الذي تواجهه الهند في هذا الشأن، هو أنها حذرة جدا من الإعلان عن حجم ومدىٰ تعاونها مع «إسرائيل»، خاصة إذا علمنا بأن الأخيرة ما زالت تضرب عرض الحائط في الإقرار بالحقوق العربية والإسلامية التاريخية في فلسطين. هذا وإن تذرع الهنود وبشيء من الدبلوماسية بأنهم يقفون علىٰ مسافة واحدة من طرفي الصراع علىٰ فلسطين، إلا أن لعبة المصالح لربما تقتضي هكذا مواقف وهكذا تصريحات، خاصة في ظل تزعم رجالات حزب الشعب القومي المتطرف، الـ(BJP) لمنصة الحكم[1].

(١) Ramananda Sengupta, India's Israeli-Arab tightrope walk, Aljazerah Briefings August 29, 2010.

Link: http://www.aljazeera.com/focus/2010/07/201071912304564815 6.html. (Retrieved 20 June, 2014).

تحديات وصعاب تواجه الاقتصاد الهندي:

«البيروقراطية» والفساد:

بدلا من تسهيل الحراك الاقتصادي عبر الولايات الهندية نرىٰ من هم مدراء ومفوضين حكوميين سواء علىٰ مستوىٰ الحكومة المركزية أو حكومات الولايات إضافة إلىٰ رجال الشرطة كقوة تنفيذية أو غيرهم، يسيئون استخدام المهام والصلاحيات الوظائفية، ليمارسوا بعض المعوقات بهدف الابتزاز المالي غير المشروع. هنالك مثلا ما هو روتين يتعلق بنصب الحواجز الطيارة، وعدا عن الحواجز ونقاط التفتيش الثابتة، ونقاط الدخول والخروج من وإلىٰ الولايات، حيث ينشط عمل هؤلاء الموظفون الحكوميون. وهو ما يترتب عليه إعاقة حركة المرور، وتأخير وصول البضائع إلىٰ وجهتها، وبالتالي انعكاس ذلك علىٰ الإنتاج، حيث أن حركة المركبات الثقيلة وكما يقول بعض المراقبون يمكن أن تزداد بنسبة ٤٠٪ في حال تجنب سائقيها مثل تلك المضايقات.

فمثلا، المسافة وبلا توقف من العاصمة المركزية (نيودلهي) إلىٰ العاصمة التجارية (مومباي) يمكن أن تختصر إلىٰ يومين فقط في الرحلة الواحدة، بعيدا عن التعقيدات البيروقراطية، وما يتعلق بها من تأخيرات وابتزازات، ظاهرها التسهيل والتيسير وباطنها الفساد[١]. ،[٢]

---

(١) MDRA, Report on corruption in trucking operations in India-2006, Transparency International India, New Delhi, February 2007.

(٢) UP trucker won't give bribe, pays with his life, Indian Express, September 27, 2011. =

فحسب مقالة نشرت في العام ٢٠٠٩م في جريدة «العصر الهندية» (The Times of India) تقول، بأن بيروقراطية الهند عند المقارنة والمقاربة مع غيرها، ليست فقط أقل فاعلية من بيروقراطية سنغافورة وهونغ غونغ، وتايلندا، وجنوب كوريا، واليابان، وماليزيا، وتايوان، وفيتنام، والصين الشعبية، والفلبين، وأندونسيا، بل الأسوأ من نوعها والأكثر بطأ ومرارة عندما يتأتىٰ الأمر للتعامل مع موظفي ومستخدمي الحكومة الهندية[١].

وما أشرنا إليه أعلاه، يمكن أن ينسحب علىٰ عدة قطاعات أخرىٰ في الهند، ومنها الصحة والتعليم، وميادين تتعلق بالزراعة والصناعة والمواني والتجارة، وغير ذلك من أمور.

علىٰ الرغم من قرارات الهند وإصلاحاتها فيما يتعلق بالاستثمارات الأجنبية ودعم كل ما من شأنه النهوض بالاقتصاد، إلا أن هنالك من المؤشرات التي تقول بأن الهند أصعب من غيرها من الدول عندما يتعلق الأمر بسهولة تيسير الأعمال والمشاريع فيها[٢].

= Link: http://archive.indianexpress.com/news/up-trucker-wont-give-bribe-pays-with-his-life/852415/. (Retrieved 16 July, 2014).

(١) Indian bureaucracy the worst in Asia: Survey, The India Express, June 03, 2009. Link: http://archive.indianexpress.com/news/indian-bureaucracy-the-worst-in-asia-survey/470601/. (Retrieved 16 July, 2014).

(٢) World Bank Group: Doing business and measuring business regulations, Ease of doing business in India. =

تقارير منظمة الشفافية العالمية (Transparency International)، سواء في العام ٢٠٠٥م أو غيره تؤكد علىٰ أن هنالك فسادًا ماليًا وإداريًا عبر الولايات الهندية ومتفاوت من ولاية إلىٰ أخرىٰ، وهو بالتالي ما يشكل حالة من خنق للاقتصاد والتنمية والحد من حرية وحيوية نشاط الشركات الخاصة وقيامها في البلد[١]. ،[٢] حسب المصدر أعلاه، وغيره من المصادر، يكلف الفساد بلدا كالهند خسائر سنوية تقدر بالمليارات!

تشديد المشرع الهندي من خلال مواد برلمانية كحق المواطن في المعلومات (to Information ActRight)، للعام ٢٠٠٥م وغيره من المواد، وما ترتب عليه من مطالبة موظفي الحكومة بتقديم خدماتهم ومعلوماتهم للمواطنين دون أي ابتزازات مالية أو غيرها من الإجراءات والأساليب غير المهنية وغير القانونية، أو مواجهة ما يستلزم من عقوبات، إضافة إلىٰ لجوء الحكومة المركزية إلىٰ حوسبة المعاملات والخدمات ومراقبة شؤون العمل، لا شك كله وإلىٰ حد معين قد حدّ من الفساد ونشاط الفاسدين كما كشفت

= Link: http://www.doingbusiness.org/data/exploreeconomies/india/. (Retrieved 18 July, 2014).

(١) Centre for Media Studies, India corruption study 2005 to improve governance, Transparency International India, New Delhi, pp. 3-16.

(٢) De Long, J. Bradford, India since independence: An analytic growth narrative, in D. Rodrik, In search of prosperity: Analytic narratives on economic growth (edited), Princeton University Press, New Jersey, 2003.

تقارير الشفافية العالمية، وحسّن من الأداء اللازم لما هو نزاهة وشفافية، مع الإشارة إلىٰ أن الهند تحتاج إلىٰ المزيد من الوقت لمكافحة هكذا آفة من أجل استئصالها[١].

كما أن هنالك من الأموال غير المشروعة، والتي يعاني بسببها الاقتصاد الهندي الأمَرّين، وهي حسب مصادر حكومية هندية في حالات تعود إلىٰ نشاطات غير قانونية، كالجرائم المنظمة، الاتجار بالمخدرات، وأموال الإرهاب، والفساد، وما شابه، وفي حالات أخرىٰ تعود إلىٰ جني الأموال بطرق قانونية ومشروعة، إلا أن أمر معالجتها غير مشروع، كالتهرب من الضرائب ومستحقاتها، وتهريب بعضها إلىٰ دول خارج البلد تتمتع بإعفاءات ضريبية كاملة (كموريشياس مثلا)، وهو بالتالي ما يضر بالاقتصاد الوطنيّ[٢].

في تشرين ثاني من العام ٢٠١٠م كشف تقرير للنزاهة المالية حول العالم، صادر عن منظمة النزاهة المالية ـ واشنطن، جاء فيه أن الهند وعلىٰ مدار ٦ عقود مضت قد خسرت ما يقارب الـ(٤٦٢) بليون دولار أمريكي جراء سلوكيات توليد الأموال غير المشروعة، أو ما يقارب من الـ(٤٦٢) بليون في حالات التكيف والتماشي مع

(١) Centre for Media Studies, India corrupton study 2005:
To improve governance, Vol. I: Key highlights, Transparency International India, New Delhi, June 30, 2005.

(٢) Ministry of Finance, Department of Revenue, Black money: White paper, Government of India Publication, New Delhi, May 2012.

واقع التضخم الاقتصادي كما تبين في العام ٢٠١٠م، أي ما يقدر حجمه بنحو (٧) بليون دولار أمريكي سنويًا. هذا ناهيك عن وجود ما يصطلح عليه باقتصاديات «تحت الأرض»، والتي يقدر حجمها بحوالي (٦٤٠) بليون دولار أمريكي[١].

شكل آخر من أشكال الفساد المالي، هو إيداع بلايين الدولارات في بنوك خارجية كالبنوك السويسرية، حيث وحسب «ادعاءات» نشرتها جريدة «الهندو» علىٰ صفحات أعمالها اليومية، هنالك ما يقدر بحوالي (١,٤٥٦) تريليون دولار أمريكي من الأموال الهندية المودعة في تلك البنوك؛ الأعلىٰ بين قائمة الدول المذكورة، ومنها روسيا وبريطانيا وأوكرانيا والصين![٢].

وبالجملة، فإن خطورة الفساد علىٰ الهند تكمن من حيث المبدأ في الدفع نحو فقدان البلد لمصداقيتها، حيث كشفت دراسة متخصصة في العام ٢٠١٣م بأن عمل الشركات في ظروف وأجواء يلفها الفساد، هو ما قد يؤدي إلىٰ خسران مصداقية تلك الشركات، وخسران قيمة تلك الأعمال التي تقوم بها[٣]. وهو ما قد يترتب

---

(١) Dev Kar, The drivers and dynamics of illicit financial flows from India: 1948-2008 Global Financial Integrity, Washington, DC, November 2010.

(٢) V. Venkateswara Rao, Black, bold and bountiful, The Hindu, Business Line, August 13, 2010.

Link: http://www.thehindubusinessline.com/todays-paper/article1001195.ece. (Retrieved 20 July, 2014).

(٣) Ernst Young Global Limited (EY), Bribery and corruption: ground reality in India. =

عليه -بالتالي- خسران فرص الاستثمار. كما أنه وحسبما نشرته مؤسسة (KPMG) «فإن وجود مستويات عالية من الفساد والمشاريع الخارقة للقانون والتشريع (الهندي) قد تعصف بالبلد (الهند) وتهدد من مصداقيتها وانطلاقتها الاقتصادية»[١].

انخفاض مستويات الفساد في الهند إلىٰ تلك المستويات المعهودة في دول كسنغافورة والمملكة المتحدة وغيرهما حتما يعني ارتفاع منسوب الدخل (GDP) السنوي في البلد إلىٰ مستويات عليا، إذ كيف لا يكون ذلك، والمسألة كما يقدرها الخبير الاقتصادي «سي. كي. براهالاد» (C. K. Prahalad)، تتسبب في تضييع الفرص جراء ما هو فساد ليصل حجم المال الضائع ما مقداره الـ ٥٥ بليون دولار أمريكي في السنة الواحدة[٢]. (*).

= Link: http://www.ey.com/IN/en/Services/Assurance/Fraud-Investigation—Dispute-Services/Bribery-and-corruption-ground-reality-in-India. (Retrieved 20 July, 2014).

(١) Geoff Colvin, Corruption: The biggest threat to developing economies, Fortune، April 20, 2011.

Link: http://archive.fortune.com/2011/04/19/news/international/corruption_developing_economies.fortune/index.htm. (Retrieved 23 July, 2014).

(٢) Nirvikar Singh, The trillion-dollar question, The Financial Express, December 19, 2010.

Link: http://www.financialexpress.com/news/the-trilliondollar-question/726482. (Retrieved 25 July, 2014).

(*) تجدر الإشارة إلىٰ أن الحكومة الهندية وعلىٰ كل المستويات تحارب الفساد بكل =

الأمية والبطالة والفقر:

علىٰ الرغم من جهود الهند الجبارة في مجال التعليم الأساسي والالتزام بمناهجه وبرامجه وتوسيع نطاق التعليم ليغطىٰ ٤/٣ سكان البلد،[١] وبالتالي ارتفاع نسبة من يقرؤون ويكتبون ويفهمون بلغة أو بأخرىٰ من ٥٢,٢٪ في العام ١٩٩١م إلىٰ ٧٤,٠٤٪ مع نهاية العام ٢٠١١م، ومع هذا، إلا أن المستوىٰ المذكور يعد أقل من المتوسط العالميّ، علاوة عن وجود تسرب ملحوظ من المدارس الأساسية[٢]. هذا ناهيك عن تحدي ظاهرة تذبذب نسبة التعليم تبعا لعوامل كالمنطقة، عامل الجنس، عامل الريف أو المدينة، وعامل الطائفة أو الطبقة الاجتماعية[٣]. ،[٤]

= صوره وأشكاله، من خلال تشريعات وقوانين وهيئات ومنظمات مدنية ووطنية ولجان مركزية ومحلية، وتسائل من هم في أعلىٰ المناصب الحكومية وغير الحكومية في قضايا الفساد، من خلال اجهزتها وأذرعها الامنية والقضائية، الا أن هنالك بعض الخروقات قد تعود إلىٰ سطوة ونفوذ بعض الفاسدين، والتي قد تحول من امكانيات محاكمة الكثيرين وادانتهم، وبالتالي اجتثاث هكذا آفة والىٰ غير رجعة.

(١) The World Bank, Education in India.

Link: http://www.worldbank.org/en/country/india. (Retrieved 25 July, 2014).

(٢) A special report on India: An elephant, not a tiger (an interview with James Astill), The Economist, December 11, 2008.

Link: http://www.economist.com/node/12749735. (Retrieved 26 July, 2014).

(٣) John Dréze and Amartya Sen, India: Economic development and social opportunity, Oxford University Press, London, 1996, pp. 114-115.

(٤) Census of India, Ministry of Home Affairs, State of literacy (Ranking of states

أما عن البطالة، فهي بالحالة المزمنة علاوة عن وصفها بطالة مقنّعة. كما أن برامج الحكومة للحد من البطالة لحل تلك الأزمة، سواء من خلال تقديم المساعدات المالية لدعم المشاريع الصغيرة أو العامة الكبيرة، والعمل علىٰ إكساب المهارات، أو من خلال اتباع السياسات «الحصصية» ما زالت تراوح مكانها. فتراجع القطاع العام في ظل سياسات الانفتاح والخصخصة وتحرر السوق مدعاة لمزيد من الإصلاحات لصالح العمل والعمال والحد من البطالة[١]، [٢].

إعادة النظر في التعليمات المتعلقة بالعمل وقوانين العمل لصالح المزيد من التوظيف وخلق الفرص للأجيال القادمة مطلب هام فيما إذا أرادت الهند أن تحد من بطالتها المقنعة[٣].

صحيح أن حجم القوىٰ العاملة في الهند وحسب إحصائيات العام ٢٠١٣م قد وصلت إلىٰ حد ٤٨٧,٣ مليون، حيث القدرة

and union territories by literacy rate: 2011), Chapter 6, Government of India Publication, New Delhi, 2013.

Link: http://censusindia.gov.in/2011-prov-results/data_files/india/Final_PPT_2011_chapter6.pdf. (Retrieved 27 July, 2014).

(١) Ministry of Finance, Economic Survey 2009-2010: Human development, poverty and public programs, Chapter 11, Government of India Publication, New Delhi, pp. 275-277.

(٢) Ruddar Datt, K. P. M. Sundharam, Indian economy, S. Chand Group, New Delhi, 2009, pp. 434-436.

(٣) Ibid.

البشرية الهائلة،[١] إلا أن حجم البطالة والعطالة عن العمل قدرت لنفس العام بما يقرب من الـ ١١ المليون في وسط هؤلاء؛ أي ما نسبته ٣٪ في المدن، و٢٪ في الأرياف والقرىٰ[٢].

أما عن تحدي الفقر المدقع، فهنالك من المصادر (2012 Rangarajan panel)، ما يشير إلىٰ وجود ٢٩,٥٪ من السكان تحت خط الفقر،[٣] هذا وإن كانت مصادر بنك احتياط الهند (Reserve Bank of India) لنفس العام تقدر النسبة بحوالي ٢٢٪[٤].

---

(١) Bureau of Labor Statistics, Report on employment unemployment survey (2012-2013), Government of India Publication, New Delhi, January 2014.

Link: http://labourbureau.nic.in/EUS_2012_13_Vol_1.pdf. (Retrieved 28 July, 2014).

(٢) ND Shiva Kumar, Unemployment rate increases in India, The Times of India, June 23, 2013.

Link: http:// timesofindia. indiatimes. com/ india/ Unemployment -rate- increases-in- India/ articleshow/ 20730480 .cms. (Retrieved 28 July, 2014).

(٣) Rangarajan panel, Poverty line and the Tendulkar committee report, 30% of India is poor, The First Post, July 7, 2014.

Link: http://www.firstpost.com/india/30-of-india-is-poor-says-rangarajan-panels-new-poverty-line-formula-1606187.html. (Retrieved 28 July, 2014). See also: Yogima Seth Sharma, India has 100 million more poor: C Rangarajan committee, The Economic Times, July 7, 2014.

Link: http://articles.economictimes.indiatimes.com/2014-07-07/news/51133608_1_1poverty-line-consumption-expenditure-tendulkar-committee. (Retrieved 29 July, 2014).

(٤) Reserve Bank of India (India's Central Bank), Number and percentage of

وحسب مصادر البنك الدولي، فإن عدد فقراء الهند وكما نشر في العام الحالي (٢٠١٤م) قد وصل إلىٰ ١٧٩,٦ مليون فرد[١].

في ٢٠١٠م، قدر البنك الدولي وحسب طرق مسحية وتقديرية تعود إلىٰ العام ٢٠٠٥م بأن هنالك ما يقارب من الـ ٤٠٠ مليون إنسان هندي مقارنة بـ(١,٢٩) بليون ممن هم موزعون علىٰ خارطة الفقر في جميع أنحاء العالم، ممن يعانون أوضاعًا اقتصادية مزرية، ويعتاشون علىٰ اقل من ١,٢٥ دولار أمريكي في اليوم[٢].

وبعد مراجعات للطريقة والأسلوب المتبعة في المسح، في أيار ٢٠١٤م للوقوف علىٰ حقيقة ذلك المشهد، تبين للبنك الدوليّ أن الرقم ١٧٩,٦ مليونا بدلا من ٤٠٠ مليون، يقابله ٣ز٨٧٢ مليون فقير موزعين علىٰ الخريطة العالمية، أي أن نصيب الهند يساوي ما

---

population below poverty line, Reserve Bank of India Publication, September 16, 2012.

Link: http://www.rbi.org.in/scripts/PublicationsView.aspx?id=15283. (Retrieved 28 July, 2014). See also: Planning Commission, Number and percentage of population below poverty line, Government of India Publication, New Delhi.

Link: http://rbidocs.rbi.org.in/rdocs/Publications/PDFs/162T_BST130913.pdf. (Retrieved 28 July, 2014).

(١) Shawn Donnan, World Bank eyes biggest global poverty line increase in decades The Financial Times, May 9, 2014.

Link: http://www.ft.com/intl/cms/s//0/091808e0-d6da-11e3-b95e-00144feabdc.html. (Retrieved 30 July, 2014).

(٢) Ibid.

نسبته ٢٠,٦ من فقراء العالم[١].

صحيح قد يكون هنالك جدلا علميًا حول مثل هذه القراءات المتباينة بغض النظر عن طريقة وأسلوب جمع البيانات وتحليلها إحصائيًا، إلا أن قبولها والتسليم بها علىٰ ما هي عليه، يعني أن هنالك جهودًا هندية جبارة للخروج من عنق زجاجة الفقر المدقع، وتحولا ملحوظا في الرقم عندما نقارن القراءة الأولىٰ مع القراءة الثانية، تحول وتراجع الظاهرة إلىٰ دون من النصف.

منذ الخمسينيات من القرن الماضي، والهند تبذل الجهود تلو الجهود من خلال المشاريع والبرامج المتتابعة للقضاء علىٰ آفة الفقر، حيث رصد وتسجيل بعض النجاحات هنا وهناك، إلىٰ أن اتخذ القرار المركزي في العام ٢٠٠٥م، حيث صدور تشريع خاص عرف بمشروع «مهاتما غاندي» الوطني لضمان العمل الريفي (Mahatma Gandhi National Rural Employment Guarantee Act)، والذي يضمن في فحواه لكل عاطل عن العمل في وسط عائلة أو أسرة هندية فقيرة، فرصة العمل علىٰ الأقل لمدة ١٠٠ يوم مقابل الدفع له، الحد الأدنىٰ من الأجور المعمول بها في البلد، وشرع في تطبيق ذلك علىٰ جميع الأقاليم والمناطق في سائر عموم الهند[٢].

---

(١) Ibid.

(٢) Arvind Panagariya, India: The emerging giant, Oxford University Press, London, 2008, p. 146.

هذا وما زالت الجهود الهندية مستمرة للقضاء علىٰ الفقر، علىٰ الرغم من التحديات والصعاب الجسام.

تحديات ومعيقات ثقافية ذات أبعاد حضارية:

النزعة الهندوسية (Hindutva):

يعتبر النزوع بقوة وعنفوان إلىٰ الهندوسية والتعصب لقيمها علىٰ حساب الآخر بالتطور الخطير والجديد نسبيا في بلد كالهند. الهندوسية كدين شيء، وهو قديم قدم الحضارة والثقافة الهندية، أما النزوع إلىٰ «الهندوسية» أو ما نحب تسميته بـ«الهندكة» فشيء آخر؛ والمسألة في طابعها حراك سياسيّ بامتياز. ويأتي علىٰ رأس من يتزعم حركة «الهندكة» في الوقت الحالي، حزب الشعب القومي (Bharatiya Janata Party -BJP)، ومن يتحالف معه من تلك الأحزاب الهندوسية المحلية والمناطقية (أي ليست علىٰ مستوىٰ الهند)، كالحزب الهندوسي المتطرف المعروف بـ«جيش شيفاجي» «شيف سينا» (Shiv Sena) والنشط في ولاية «ماهاراشترا» (Maharashtra)، وقلب عاصمتها الاقتصادية «مومباي» (Mumbai)، الواقعة في غرب الهند علىٰ بحر العرب.

قبل استقلال الهند بأربع عقود تقريبًا ظهرت هنالك صيحات متطرفة تدعو إلىٰ النقاء الهندوسي، حيث سجل التاريخ لظهور الجمعية الهندوسية لعموم الهند (Akhil Bharatiya Hindu Mahaabha) كحزب سياسي يميني قومي متطرف في العام

١٩١٤م، وكان ذلك علىٰ يد السادة «مادان موهان مالافيا» و «لال راجبات راي» (Madan Mohan Maaviya and Lala Lajpat Rai)، في «أمريستار البنجابة» (Amritsar in Punjab).

منذ البداية والقائمون علىٰ هذا الحزب لا يخفون رغبتهم الجامحة ودعوتهم الصريحة بفرض الهندوسية علىٰ من هم مسلمين ومسيحيين (الغزاة!)، وعلىٰ مبدأ إعادة اعتناق الهندوسية (Reconvrsion of Muslims and Christians to Hinduism). وكان في العام ١٩٢٣م بأن ألف أحد زعامات الجمعية الهندوسية وهو «فيناياك دامودار سافاركار» (Vinayak Damodar Savarkar) أول كتاب حول أساسيات مفهوم النوع/ النقاء الهندوسي، والذي جاء فيه كأطروحة فكرية بأن في الهند شعبين مختلفين وعلىٰ النقيض، أحدهما أصيل والآخر طارئ، وأن الهند للهندوس فقط، ولا تحتمل البلد أن يقطنها شعبين (في إشارة إلىٰ منهم غير هندوس وعلىٰ رأسهم من هم مسلمين)، وأن لا مناص ولا خلاص للهند ومشكلاتها الثقافية والحضارية إلا بالهندوسية النقيّة وتقاليدها[١].

وكانت أولىٰ ثمار كتابات «الشوفاني» «سافاركار» بأن يغتال أبا الهنود «موهانداس غاندي» «الماهاتما» (Mohandas

(١) V.D. Savarkar, Hindutva, Hindi Sahitya Sadan, New Delhi, 2003.

("Gandhi "the Mahatma على يد رجل هندوسيّ متعصب يسمىٰ «ناثورام غودسي» (Nathuram Godse) من نواحي مدينة «بونا» (Poona)، أحد تلامذة «سافاركار» والمنتسب إلىٰ جمعيته الهندوسية المتطرفة، وذلك في ٣٠ كانون ثاني من العام ١٩٤٨م[١].

عدائها المحموم للمسلمين منذ بدايات التأسيس ومن يمثلونهم، خاصة جماعة الرابطة الإسلامية (Muslim League) بزعامة محمد علي جناح (مؤسس باكستان الفعليّ)، بالأمر المشهود.

هدم المسجد البابريّ (Babri Masjid) في العام ١٩٩٢م وما أعقب ذلك من عنف طائفي مقيت دفع فقراء المسلمين ثمنه الباهظ، أيضا من ثمار دعوات الحراك الهندوسي المتطرف الذي علىٰ قائمته استهداف المسلمين ووجودهم التاريخي والثقافي والحضاري في سائر عموم الهند. أيضا في العام ١٩٦٩م و ١٩٨٩م تم قتل آلاف المسلمين في أعمال عنف في ولاية «غوجرات» (Gujarat)، وتكرار ذلك في العام ٢٠٠٢م حيث قتل أكثر من ٢٠٠٠ مسلم ومسلمة والتمثيل بجثثهم كله قد سجله التاريخ، وكله بفعل تحريك وتحريض المتعصبين لأفكار مؤسسي الجمعية الهندوسية ومن يسيرون علىٰ دربهم في العمل السياسي

(١) A. G. Noorani, Savarkar and Hindutva, Leftword Books, New Delhi, 2002.

والاجتماعيّ[١]، [٢]، [٣]، [٤]، [٥]، [٦].

ولا يفوتنا ذكر تلك الأحداث الرهيبة بحق من هم من غير المسلمين، حيث رصد المراقبون ما بين العام ١٩٦٤م و١٩٩٦م أكثر من ٣٨ حادث عنف بحق المسيحيين الهنود وممتلكاتهم العامة

(١) Pingle Jagamohan Reddy, Nusserwanji K. Vakil and Akbar S. Sarela, Inquiry into the communal disturbances at Ahmedabad and other places in Gujarat on and after 18th September 1969 (Report), ?Home Department?, Government of Gujarat, 1971.

(٢) History of communal violence in Gujarat, Concerned citizens tribunal - Gujarat 2002 (Volume I: An inquiry into the carnage in Gujarat, List of incidents and evidence).

Link: http://www.outlookindia.com/article/History-of-Communal-Violence-in-Gujarat/217988. (Retrieved 21 July, 2014).

(٣) Christophe Jaffrelot, Religion, caste, and politics in India، Primus Books (An imprint of Ratna Sagar P. Ltd.), New Delhi, 2010, p. 377.

(٤) Laurent Gayer and Christophe Jaffrelot, Muslims in Indian cities: Trajectories of marginalisation (edited), Columbia University Press, New York, 2012, pp. 53-60.

(٥) Yasmeen Peer, Communal violence in Gujarat: Rethinking the role of communalism and institutionalized injustices in India (Submitted thesis to the Faculty of the School of International Service of American University), ProQuest LLC, Ann Arbor, MI, 2007, pp. 103-104.

(٦) Jaffrelot, Christophe, Communal riots in Gujarat: The state at risk? Heidelberg Papers, in South Asian and Comparative Politics، Working Paper no. 17, South Asia Institute, Department of Political Science, University of Heidelberg, 2003.

والخاصة، و٢٤ حادثا في العام ١٩٩٧م، و٩٠ حادثا في العام ١٩٩٨م (عام وصول حزب الشعب الهندي ولأول مرة في تاريخ الهند الحديث إلىٰ الحكم المركزي)، حيث سجل قتل الكهنة، واغتصاب الراهبات، وتدمير المؤسسات المسيحية، كالمدارس، والكنائس، والكليات، والمقابر[١]. [٢]، [٣]، [*] منذ البداية والجمعية الهندوسية لعموم الهند وما تدعو إليه من تعصب وعنصرة وتطرف وهي تفرخ ولاعتبارات سياسية وأيدلوجية عدد من الجمعيات والمنظمات اليمينية المتطرفة، الداعمة لحزب الشعب الهندوسي المتطرف (BJP)، ذراعها الأيمن ثقافيا وسياسيا

(١) Vinay Lal, Anti-Christian violence in India, in R. Puniyani, The politics behind anti-Christian violence (edited), Media House, New Delhi, 2006, pp. 767-774.

(٢) See: Anti-Christian violence on the rise in India, New report details politics behind extremist Hindu attacks, Human Rights Watch, October 1, 1999.

Link: http://www.hrw.org/en/news/199/09/29/anti-christian-violence-rise-india. (Retrieved 25 July, 2014).

(٣) Alessandra Stanley, Pope lands in India amid rise in anti-Christian violence, The New York Times, November 6, 1999.

Link: http://www.nytimes.com/1999/11/06/world/pope-lands-in-india-amid-rise-in-anti-christian-violence.html. (Retrieved 25 July, 2014).

(*) من تلك الأجنحة والأذرع، ذراع الشباب الهندوسي المسمىٰ «باجرانغ دال» (Bajrang Dal)، وجناح الشابات المسمىٰ «دورغا فاهيني» (Durga Vahini)، واللذين حسب مصادر هندية وغير هندية اشتركا وبكل ما أوتيا من قوة في أعمال عنف ولاية «غوجرات» التي قتل فيها المئات من المسلمين، وجرح وشرد الآلاف في العام ٢٠٠٢م.

واجتماعيا، ومن أهم تلك الجمعيات والمنظمات (إضافة إلىٰ جيش شيفاجي المهاراتيّ): منظمة المتطوعين الوطنيين «راشتريا سوايامسيفاك سانغ» (Rashtriya Swayamsevak Sangh-RSS)، المجلس الهندوسي العالمي «فشوا هندو باريشاد» (Vishwa Hindu Parishad-VHP)، وغيرهما.

هذا ناهيك عمّ انبثق عن تلك الجمعيات والمنظمات من أذرع شبابية (خاصة منظمة المجلس الهندوسي العالمي)، مبدأها القوة والعنف، وممارسة كل ما هو بغيّ وعدوان بحق الآخر.

تحدي الطبقية المقيت (Castesism):

منذ استقلال الهند كدولة علمانية ديموقراطية والحلم في الخلاص من أمراض الطبقية ماض. «فجواهرلال نهرو» (Jawaharlal Nehru) أول رئيس وزراء للبلاد كان من أوائل الطامحين والمتطلعين لتحرير الهند من طبقيتها المقيتة ذات الآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسة القاتلة[١].

ابتداءً، الأمر لا يتوقف عند طبقة دون غيرها، بل تراه مربوطا بالذكورة والأنوثة، إضافة إلىٰ عقد التفريق بين الناس علىٰ أسس

(١) Nehru, Jawaharlal, Speech on the granting of Indian independence, August 14, 1947, Modern history sourcebook, Internet History Sourcebook Project. Link: http://www.fordham.edu/halsall/mod/1947nehru1.html. (Retrieved 26 July, 2014).

عقدية ودينية، حتىٰ في دائرة الدين الواحد، كما هو الحال في الهندوسية عينها(*).

النظر إلىٰ الذكر والأنثىٰ في المجتمع الهندي (وإن كان هنالك ظهورا حقيقيا للمرأة في ميادين العمل السياسي والاجتماعي وغيره) ليس سواء، بل هنالك تمييز وتفريق، ويكفينا أن نعلم بأن هنالك ممارسات بحق الأنثىٰ تجعل منها الأكثر عرضة لما هو أمراض وأعراض اجتماعية وفيزيائية علىٰ مستوىٰ العالم(١). وهو بالمناسبة الحال علىٰ مستوىٰ منطقة جنوب شرق آسيا! ويتباين هذا الأمر تبعًا للمكانة الاجتماعية ومركز العائلة أو الأسرة التي عادة ما تأتي منها المرأة الهندية.

أما فيما يتعلق بالشأن الطبقي علىٰ أساس ديني، فنرىٰ أن الكثير من فواجع المجتمع الهندي وما يتعلق بثقافته الطبقية يعود إلىٰ ذلك «التمييز الطبقي» الفريد من نوعه عالميًا، والشائع في صيته في بلاد الهند(٢).

(*) من المعروف في الهندوسية أن الناس ينقسمون إلىٰ آلاف الطبقات علىٰ أسس دينية واجتماعية، تجتمع في أربع تصنيفات رئيسية كبرىٰ، يتفرع عنها آلاف الطبقات، وهي: طبقة البراهمن (الطبقة العليا)، والكشاترياس (المحاربين)، والفيشياس (التجار)، والشورداس (الطبقة الدنيا).

(١) sCarol S. Coonrod, Chronic Hunger and the Status of Women in India, June 1998.

Link: http://www.thp.org/reports/indiawom.htm. (Retrieved 28 July, 2014).

(٢) Hillary Mayell, India's "untouchables" face violence and discrimination, National Geographic News, June 2, 2003. =

فالمشهود منذ آلاف السنين والقرون إلىٰ يومنا هذا أن الطبقات علىٰ أساس ديني في الهند تعاني الفقر المدقع، بل تراها محرومة من معظم حقوقها الأساسية كما يليق بإنسانية الإنسان وكرامته كمخلوق حر كريم. وما طبقة ما يعرف بـ«الهارجانتس» (Harijants)، أي طبقة المنبوذين، أو ما اصطلح علىٰ نعتهم بأبناء الطبقة الدنيا (Dalits)، ومن هم علىٰ شاكلتهم إلا مثالا علىٰ حجم تلك المعضلة الهندية(*).

صراع الهوية:

الهند من منظور اجتماعي - ثقافي حضاري في حالة صراعية مع نفسها، تراها وأبنائها تواجه ومنذ زمن بعيد ما يعرف في العلوم

= Link: http://news.nationalgeographic.com/news/2003/06/0602_ 030602_ untouch ables.html. (Retrieved 29 July, 2014).

(*) للعلم هنالك أكثر من ١٦٠ مليون هندي ممن ينظر إليهم حسب النظام الطبقي الهندوسي المقيت علىٰ أنهم غير أطهار، ودون من هم بشر وآدميين! كما أن ٩٠٪ من فقراء الهند و٩٥٪ ممن هم أميون، هم حقيقة من أبناء هذه الطبقة المهمشة، دون الالتفات إلىٰ أدنىٰ حقوقها الإنسانية. وهنالك الكثير من الأحداث والروايات بحق هؤلاء، أطفالا ونساء وشبانا وشيبا مما يندىٰ لها الجبين. إلا أن الهند كدولة ديموقراطية وكنظام ما زالت تكافح من أجل مستقبل أفضل لهؤلاء، وقد يحتاج الأمر إلىٰ مزيد من الوقت. التشريعات والقوانين الداعية إلىٰ حماية حقوق الطبقات الدنيا في المجتمع الهندي ومنها حقوق طبقة «المنبوذين» موجودة، إلا أن مسالة التشديد عليها عند التطبيق هو ما تحتاج إلىٰ التأكيد عليه الجهات التنفيذية في البلد.

الاجتماعية بمصطلح «أزمة الهوية»(*).

الجدل حول هندوسية البلد محتدم، وعلىٰ أن الهند أمة هندوسية الثقافة والحضارة والمجتمع والهوية، بغض النظر عن حجم حقيقة وجود البوذية فيها أو المانوية أو اليهودية أو المسيحية أو الإسلام أو السيخية أو البارسية أو غيرها.

كما أن صراع ما هو ديني مع ما هو وطني وقومي وعرقي ومناطقي بالأمر الحاضر علىٰ الساحة الهندية من أقصاها إلىٰ أقصاها. ناهيك عن تلك النزعات الانفصالية كنتيجة حتمية لذلك الصراع.

دعوات أصحاب الفكر الهندوسي المتطرف، كما هي البدايات من قبل القائمين علىٰ الجمعية الهندوسية في سائر عموم الهند وخلفائهم عالية ومرتفعة النبرة، فمن وجهة نظر هؤلاء لا مكانة لمن هم غير هندوس علىٰ أرض الهندوس؛ إلا إذا عادوا عن دينهم (الطاريء) واعتنقوا الهندوسية من جديد، أو الرحيل إلىٰ تلك البلاد التي تتناسب ومعتقدهم وتصورهم الديني، في شبه الجزيرة العربية وروما وغيرها!

(*) أزمة الهوية كما نراها، عبارة عن حالة يختلط فيها العام مع الخاص، وما هو ديني مع ما هو قومي أو وطني، وما هو عرقي مع ما هو لغوي، إلىٰ ان يصير من الصعوبة بمكان الصمود في وجه تلك العوامل الفاعلة في مجال ما هو عقل فردي أو جمعي، فيأخذ المرء أو الجماعة بالنزوع إلىٰ عامل دون غيره من العوامل طمعا في حسم الحالة الصراعية وما يتعلق بها من تأزم فكري أو نفسي أو اجتماعي أو ثقافيّ.

لقد عصفت أزمة الهوية بأصحابها إلىٰ أن أفضت إلىٰ قتل رجل من أكبر رجالات شبه القارة الهندية في النصف الأول من القرن العشرين، «الماهاتما غاندي». فخلال تلك المرافعات الخاصة بمحاكمة قاتل الزعيم الهندي، وبكل صفاقة فكرية كانت تبريرات القاتل «ناثورام غودسي (Nathuram Godse)»، أن غاندي غير ملتزم بالتقاليد الهندوسية وتعاليم الدين الهندوسي، وأنه محاب ومتحيز لمن هم مسلمين علىٰ حساب الحقوق التاريخية الهندوسية![1]، [2].

كما أن تقديم محمد علي جناح لأطروحة وجود شعبين أو أمتين مختلفتين في شبه القارة الهندية، من أجل تعزيز ودعم انفصال المسلمين عمن هم هندوسًا، شكل آخر من تلك الأشكال المتعلقة بصراع الهوية في وسط من هم أصحاب ثقافة وحضارة وتاريخ مشترك، إلىٰ أن كانت النتيجة الحتمية لهكذا دعوة ظهور الجمهورية الإسلامية الباكستانية، في حينه، بشقيها: باكستان الغربية (باكستان اليوم)، وباكستان الشرقية (بنغلادش اليوم)[*].

---

(١) Nathuram Godse, Why I assassinated Mahatma Gandhi? Surya Bharti, Delhi, 2003.

(٢) Rajeev Ranjan, Why Godse killed Gandhi? January 29, 2009.

Link: http://www.imrajeev.com/why-godse-killed-gandhi/. (Retrieved 30 July, 2014).

(*) من المعروف أن صاحب أطروحة النقاء الهندوسي «هندوتفا»، والذي سبق الإشارة إليه، والمعروف بـ «سارفاركا»، قد سبق السيد «محمد علىٰ جناح» في الحديث =

وهو بالأمر عينه فيما بين من هم هندوسا، وبين من هم مسلمين؛ فالهندوس ليسوا علىٰ قلب رجل واحد عندما يتعلق الأمر بوحدة الهوية الهندوسية، وهو الحال في وسط من هم مسلمين، حيث أن هنالك شيعة وسنة، بل وغير ذلك من أسماء ومسميات ممن ينتسب إلىٰ الإسلام وأهله. هنالك الداوووديين البهرة، والصوفيين، والأحمدية القاديانية، والقرآنيين وغيرهم.

وكان بأن طل صراع الهوية وما يغذيه من عوامل دينية وسياسية وجغرافية ونزعات لغوية وعرقية وأيدلوجية، بأن اغتيلت «أنديرا غاندي» (Indira Gandhi) في العام ١٩٨٤م، تلك المرأة الحديدية، ابنة الزعيم «نهرو»، ولربما أول امرأة تتولىٰ منصب رئاسة الوزراء علىٰ مستوىٰ العالم في بلدها. وكان ذلك علىٰ يد رجلين ينتميان دينيًا إلىٰ الطائفة السيخية، وهما: «ساتوانت سنغ» (Satwant Singh)، «وبيانت سنغ» (Beant Singh)(*).

= والتنظير حول وجود شعبين مختلفين في شبه القارة الهندية، وأنه كحل للمشكلة القائمة بين الشعبين، نرىٰ الأول داعيا إلىٰ إقصاء واستئصال الآخر (المسلم) أو التنازل عن معتقده ودينه لصالح الهندوسية وتقاليدها. أما «محمد علي جناح» فكان الحل بنظره هو سلخ وفصل من هم مسلمين عمن هم هندوسا، جغرافيا وديموغرافيا، وتأسيس كيان سياسي يجمعهم، عرف لاحقا بباكستان (الشرقية والغربية). ومن وجهة نظرنا هنالك -ولا شك- فرق كبير بين هاتين الدعوتين، وما تقدمتا به من حلول سياسية لسكان شبه القارة الهندية، هذا وإن كان الانفصال والانقسام قد أضعف من إمكانيات وقدرات الجميع في تلك البلاد، حيث الإنفاق العسكري الهائل، وخوض الحروب.

(*) يروىٰ بان الحارسين «سنغ» قد أطلقا أكثر من ثلاثين رصاصة علىٰ الزعيمة الهندية =

وكان بأن أعقب ذلك الاغتيال عنفا طائفيًا استهدف فيه أنصار «غاندي» من الهندوس من هم سّيخًا في العاصمة نيودلهي، بل وغيرها؛ ليسفر الأمر عن الإجرام بحق أكثر من ٣٠٠٠ آلاف سيخيّ، ممّن أزهقت أرواحهم دون وجه حق. هذا ناهيك عن الاعتداء علىٰ ممتلكاتهم وأحيائهم ودور عبادتهم، وتشريد الملايين منهم في سائر عموم الهند[١].

ولم يكن اغتيال ولدها «راجيف غاندي» (Rajeev Gandhi)، في العام ١٩٩١م أيضا بالبعيد عن صراعات الهوية وتعقيداتها سواء في الهند أو محيطها الإقليمي، فهذه المرة وبدوافع تتعلق بالصراع السياسي بين هندوس وبوذ الجارة سريلانكا، حيث قتل الرجل علىٰ يد امرأة تاميلية متعصبة تدعىٰ «ثينموزهي راجاراتنام» (Thenmozhi Rajaratnam)، تنتمي لحركة «النمور التاميل» (Liberation Tigers of Tamil Eelam) الداعية إلىٰ انفصال تاميل سريلانكا في الشمال عن غالبية السكان البوذيين ومناطقهم في ذلك البلد[*].

= «غاندي»، وذلك من سلاحيهما الشخصي كحرس أثناء تأديتهما لواجبهما الوطني. ومن ثم ليلقيا بعد ذلك بسلاحيهما أرضا ويستسلما بعد أن تأكدا من سقوط رئيسة الوزراء أرضا!

(١) Indira Gandhi's death remembered, BBC News, November 1, 2009. Link: http://news.bbc.co.uk/2/hi/south_asia/8306420.stm. (Retrieved 30 July, 2014).

(*) من وجهة نظر المؤلفان، لا يخرج الصراع بين من هم «تاميل» في سريلانكا المجاورة =

وما برحت تتوالىٰ الصراعات علىٰ أساس تحدي الهوية في الهند وإشكالياتها، إلىٰ أن وصل الأمر في بعض الولايات الهندية قيام البعض بتشكيل مجموعات عمل مسلح ضد الآخر. فـ«جيش رانفير» (Ranvir Army/ Sena) منذ تأسيسه وهو يتربص بطبقة «الداليتس» الدنيا، في أكثر الولايات الهندية تخلفا وفقرا، ولاية «بيهار» (Bihar). وكله بدوافع إشعال واشتعال نار الظلم الطبقي في حنايا الهندوسية نفسها وتأزم الهوية بفعل نظامها الطبقي المقيت(*).

= للهند من ناحية الجنوب مع من هم غالبية «بوذية» عن سياق الأزمة المتعلقة بالهوية واضطرابها في الهند، فجبهة «نمور تحرير التاميل» ذات الطابع العسكري المسلح ترىٰ بأن الهند والتي تشترك معها في العمق التاريخي والثقافي والامتداد الجغرافي والديموغرافي، قد خذلتها في صراعها مع «كولومبو»، لذا كان قرار الانتقام متمثلا باغتيال رئيس وزراء الهند في حينه «راجيف غاندي». هذا مع التنويه إلىٰ أن أمر تلك الجبهة قد تم تسويته بحرب دموية ضروس، قتل فيها عشرات الآلاف من المدنيين (علاوة عن العسكريين) ما بين التاميل والجيش الوطني السريلانكي، حيث انتهىٰ الأمر بالحسم العسكري لصالح الجيش في أيار ٢٠٠٩م.

(*) تشكل «جيش رانفير» علىٰ يد عصابات مافيا الأرض في ولاية «بيهار»، وعلىٰ وجه التحديد علىٰ يد إقطاعيي الـ «بهوميهار والراجبوت» وذلك بهدف الوقوف في وجه طموحات الطبقات الدنيا من محاولتهم والانعتاق مما هو فيه من خدمة وعبودية في مزارع أولئك الإقطاعيين، وكان بان نفذ هذا الجيش «الإرهابي» مذابح بحق من هم «داليتس» ممن ينتمون إلىٰ الطبقات الدنيا الفقيرة، عرف من أشهرها مذبحة قرية «لاكشمانبور باثي» (Laxmanpur Bathe) في مقاطعة «أورال» في «بيهار»، وكان بان قتل في تلك المذبحة أكثر من ٥٨ فردا، وذلك في كانون أول من العام ١٩٩٧م.

هذا ناهيك عن ذلك الصراع المحموم ما بين الحكومة المركزية في نيودلهي وحكومة الولايات من جهة مع مسلمي ولاية «جمو وكشمير» (Jamu and Kashmir)[١]. ناهيك عن أزمات ولاية «آسام» (Assam) و«نغيلاند» (Nagaland) و«ميزورام» (Mizoram) و«مانيبور» (Manipur) غيرها من الأزمات في الولايات الأخرىٰ وعبرها[٢].

إن لتشابك واختلاط ما هو ديني مع ما هو طائفي وطبقي وقومي ومناطقي وإثني في البلد ما برح يصنع لنا حالة معقدة من صور وأشكال الصراع علىٰ الهوية، والذي ما برحت «الهند الأم» تدفع له ثمنًا باهظًا منذ عقود خلت.

تحديات وصعاب تواجه الهند في مجالي التعليم والتكنولوجيا:

ما زالت الهند كدولة نامية من دول العالم الثالث، تأمل وتتطلع إلىٰ تحقيق الكثير. عندما يتأتىٰ الأمر إلىٰ التعليم، ونبدأ في التعليم الابتدائي، نجد أن هنالك تحديات تتعلق بالمصادر المالية، وما قد يترتب علىٰ ذلك الأمر، حيث رصد النقص في عدد المدارس، ونقص المرافق اللازمة فيما هو موجود وقائم من تلك

(١) A brief history of the Kashmir conflict, the Telegraph, September 24, 2001. Link: http://www.telegraph.co.uk/news/139992/A-brief-history-of-the-Kashmir-conflict.html. (Retrieved 30 July, 2014).

(٢) B. P. Singh, North-East India: Demography, culture and identity crisis, Modern Asian Studies, April 1987, vol. 21, no. 2, pp. 257-282.

المدارس. كما أن هنالك ضعف في البنىٰ والتراكيب المؤسساتية، حيث رخاوة الإدارة، وغياب المساواة عندما يتعلق الأمر بتوفير وتلبية الاحتياجات المدرسية، فما يقدم لمدارس المدن ليس كما يقدم إلىٰ مدارس القرىٰ، وما إلىٰ غير ذلك[١].

غياب كثير من معلمي ومدرسي المدارس الابتدائية، هو أيضا ما تشير إليه العديد من التقارير المهتمة في شأن التربية والتعليم الأساسي في الهند (خاصة في تلك المدارس التي يتعلم فيها أولاد الفقراء ممن هم أبناء الطبقات الدنيا في المجتمع الهندي، وأبناء القبائل البدائية)، حيث يقدر البنك الدولي حجم الرواتب المدفوعة إلىٰ أولئك المعلمين (دون عوائد) بحوالي (٢) بليون دولار أمريكيّ[٢]. ،[٣]

من وجهة نظر «روكميني بانيرجي» (Rukmini Banerji) هنالك أزمتان يواجههما التعليم المدرسي في الهند، أزمة ظاهرة،

---

(١) The probe team: Public report on basic education in India, Oxford University Press, New Delhi, 1999.

(٢) The World Bank, Teachers skipping work.

Link: http:// web. worldbank. org/ WBSITE/ EXTERNAL/ COUNTRIES/ SOUTHASIAEXT/ 0,contentMDK :20848416~ pagePK :146736~ piPK: 146830~ theSitePK: 223547,00. html. (Retrieved 24 September, 2014).

(٣) Harry A. Patrinos, The hidden cost of corruption: Teacher absenteeism and loss in schools, Education for global Development, October 10, 2013.

Link: http://blogs.worldbank.org/education/hidden-cost-corruption-teacher-absenteeism-and-loss-schools. (Retrieved 25 September).

وأزمة خفية، الأزمة الظاهرة تتعلق بتلك المدخلات التعليمية التي تواجهها المدرسة الهندية، كالبنىٰ التحتية، ونقص في الكادر التعليمي، كما هو الحال في عدد من الولايات الهندية ومدارسها. علاوة علىٰ افتقار الدعم المهنيّ المؤسساتيّ النوعيّ لمن هم معلمين[١].

أما ما تسميه بالأزمة الخفية (غير الظاهرة) فيتمثل في مشكلة تعليم المنهاج دون أدنىٰ جهد لمراعاة الفروق الفردية فيما بين من هم متعلمين، وهو من وجهة نظر «بانيرجي» ما لا يعيره الهنود أدنىٰ اهتمام؛ سواء المثقفين منهم، خبراء التعليم ومخططيه، صانعي السياسات العامة، أو حتىٰ القائمين علىٰ شؤون الاتحاد (الحكومة المركزية) أو حكومات الولايات والحكومات المحلية[٢].

نوعية التعليم تحد آخر، فكما تشير التقارير السنوية حول التعليم المدرسي (The Annual Status of Education Report - ASER) والصادرة عن مؤسسة «براثام» (Pratham)[*]، فإن

(١) Rukmini Banner, Challenges to primary education, May 21, 2013.

Link: http://www.livemint.com/Opinion/TLLWxKjaJG79cs99bIv2L/Challenges-to-primary-education.html. (Retrieved 25 September, 2014).

(٢) Ibid.

(*) براثام والتي تعني في اللغة السانسكريتية «أولا»، عبارة عن مؤسسة تعلمية تعليمية رائدة في مجال العمل من أجل تحسين نوعية التعليم في الهند. فمنذ تأسيسها كمنظمة غير حكومية وغير ربحية في العام ١٩٩٥م وهي تعمل من اجل التعليم وقضاياه، وكل ما =

نصف الأطفال في المدارس دون مستواهم العمريّ وما يتطلبه ذلك المستوىٰ من مستويات تعلمية مناسبة، حيث أن هنالك ضعفا ملحوظا في القدرات القرائية والحسابية علىٰ حد سواء[١].

وهو ما ينسحب فعليًا علىٰ حال التعليم الثانويّ، جنبًا إلىٰ جنب مع حال التعليم الأساسي. فمشكلة الالتحاق والانتظام بالتعليم من حيث المبدأ، إضافة إلىٰ نوعية التعليم المقدم للطلبة التلاميذ، والأمية، وما يتعلق بالمناهج التعليمية ومسالة المحتوىٰ والمضمون، والصراع علىٰ ذلك المحتوىٰ في الأوساط التشريعية والحكومية الرسمية (حيث تحدي الصراعات الدينية والطبقية وصراع الهوية)، كلها بالحاضرة، وهو ما يؤكد عليه تقرير «ماريي لال» (Marie Lall) حول أهم التحديات التي تواجه النظام التعليمي في الهند[٢].

تحدي اللغة (لغة التلقين والتعليم)، ونقص الكفاءات التربوية والتعليمية في بعض الولايات، وأمية الكثير من الآباء والأمهات

= فيه مصلحة جمهور المتعلمين وذويهم، حيث كانت بداياتها في العمل مع أطفال العشوائيات والمناطق المهمشة من مدينة «مومباي» إلىٰ ان سرعان ما تجاوزت الحدود الجغرافية لـ«مومباي» ومحيطها، لتغطي الكثير من حواضر الولايات والمدن الهندية.

(١) Vijay Kulkarni, Status of primary education in India: Strides and challenges, June 17, 2013.

Link: http://www.educationinnovations.org/blog/status-primary-education-india-strides-and-challenges. (Retrieved 25 September, 2014).

(٢) Marie Lall, The challenges for India's education system, The Royal Institute of International Affairs/ Chatham House, April 2005, pp. 4-6.

(حيث أن ربع الهنود ما زالوا أميين)، إضافة إلىٰ العامل الاقتصادي (علىٰ الرغم من اعتبار الهند قوة اقتصادية رابعة بعد أمريكا والصين واليابان)، أيضا من بين أهم تلك التحديات التي تواجه العملية التعليمية في الهند، حيث ما زالت الهند وطنا لثلث فقراء العالم[١].

هذا أهم ما يتعلق بأمر التعليم الأساسي، والتعليم الثانويّ. أما عن تلك التحديات ذات الصلة بما هو تعليم عالي، فهي وكما ينقلها لنا الدكتور «جي. دي. سينغ» (J.D. Singh) عن رئيس وزراء الهند، السيد «مانموهان سينغ» (Manmohan Singh)، في كلمة له أمام حشد من المثقفين والمتعلمين والباحثين في واحدة من أقدم وأعرق الجامعات الهندية، جامعة «مومباي»: «نظامنا الجامعي، في العديد من الجوانب، في حالة يرثىٰ لها . . . في معظم المناطق من بلدنا، الإقبال علىٰ التعليم العالي منخفض إلىٰ أبعد الحدود، كما أن ثلثي جامعاتنا و٩٠٪ من كلياتنا دون المتوسط تبعا لمعايير النوعية . . . كما أنني قلق جدا من كون كثير من التعيينات، بما فيها تعيين عمدات الجامعات (Vice-Chancellors)، تجري تبعا لاعتبارات مسيسة، بل أضحت خاضعة لاعتبارات طائفية وطبقية، كما أن هنالك شكاوىٰ فساد ومحسوبية»[٢]. ،[٣]

---

(١) Ibid.

(٢) J. D. Singh, Higher education in India-Issues, challenges and suggestions. Link: http://www.gvctesangaria.org/websiteimg/publications/jdarticle.pdf. (Retrieved 25 September, 2014).

(٣) Devesh Kapur and Pratap Bhanu Mehta, Indian higher education reform:

فالكلمة هنا ومن رجل علىٰ رأس قمة هرم الحوكمة والمسؤولية تتحدث عن نفسها. وهي وإن كانت في محتواها ومضمونها لا تختلف كثيرًا عن الحال الذي تعانيه آلاف الجامعات والكليات في هذا العالم، من أدناه إلىٰ أقصاه، مع اختلاف المكان والزمان وصور وأشكال الفساد، إلا أنها كلمة تعكس حجم المسؤولية الملقاة علىٰ عاتق الحكومة الهندية المركزية في نيودلهي، وحكومات الولايات، حيث ضرورة التصدي لكل ما قد يعيق جودة ونوعية التعليم العالي، ورفعة شأنه.

المسألة وكما قدمت لها الكاتبة والصحفية القديرة «شرييا‌سي سينغ» (Shreyasi Singh)، في لقاء صحفي جريء مع السيد «براماث راج سينها» (Pramath Raj Sinha)، هي: أن من بين كل سبعة مواليد هنود، هنالك من يصل في نهاية المطاف إلىٰ مقعده في التعليم العالي. وأن ليس هنالك ما هو أكثر تحديًا للأمة (الهند) من مواجهتها لذلك العجز الكميّ والنوعي، عندما يتعلق الأمر بقطاع التعليم العالي[1].

From half-baked socialism to half-baked capitalism, Draft paper prepared for presentation at the Brookings-NCAER India Policy Forum 2007, New Delhi, July 2, 2007.

Link: http://www.brookings.edu/global/ipf/2007_kapur_mehta.pdf. (Retrieved 25 September, 2014).

(١) Shreyasi Singh, Challenges and solutions in Indian higher education, October 2, 2013. =

من وجهة نظر «سينغ»، غياب مؤسسات التعليم العالي الهندية من قوائم أفضل الجامعات العالمية تراتبيا، وظهور بعضها بعد الترتيب الـ(٢٠٠) حسب آخر تقرير صادر عن «مؤسسة كويكواريلي سيموندز لترتيب الجامعات العالمية» (QS World University Rankings) للعام ٢٠١٣م، إضافة إلىٰ الافتقار إلىٰ معدلات التسجيل والقبول العالية، حسب مؤشرات القبول والتسجيل الإجمالية (GER)، علىٰ الرغم من سياسات وخطط وزارة الموارد البشرية والتطوير، يعد من كبرىٰ التحديات التي تواجه التعليم العالي[١]. هذا إضافة إلىٰ إعاقة الحكومة الهندية المركزية وحكومات العديد من الولايات ولسنوات طويلة السماح للجامعات الأجنبية أو حتىٰ مؤسسات القطاع الخاص من العمل علىٰ أراضيها بحرية، وفي حالات أخرىٰ يعد التدخل الحكومي في مناهج وبرامج وخطط مؤسسات تعليم القطاع الخاص، علىٰ الرغم من أنها معتمدة ومسموح لها بالعمل في بعض الولايات الهندية، عقبة أخرىٰ في سبيل تقدم ورفعة التعليم العالي. وقد سبق وأن تناول «فاضل ريزفي ورادهيكا غورور» (Fazal Rizvi Radhika Gorur) في تقرير لهما هكذا تحديات وغيرها، وكان منهما بأن اقترحا لها ما يلزم من الحلول، إلا أن مسألة الاستجابة والتطبيق علىٰ الأرض

= Link: http://thediplomat.com/2013/10/challenges-and-solutions-in-indian-higher-education/. (Retrieved 25 September, 2014).

(١) Ibid.

تحتاج إلىٰ مزيد من الوقت والجهد والمال، وهو ما علىٰ الجهات المختصة في الهند أن تسعىٰ للاستجابة إليه، طال الزمن أم قصر[١].

أما عن تلك التحديات والأزمات التي تواجهها الهند في مجال العلوم والتكنولوجيا، وآفاق توظيف تلك التكنولوجيا، فهي ابتداء وكما يعبر عنها الكاتب والباحث والمفكر «سام بترودا» (Sam Pitroda) بعد استعراض طويل لواقع الأزمة عالميًا ووطنيًا، نراه يطالب الهنود بمراجعة ذاتية، بداياتها ونهاياتها: العمل علىٰ حصر وتحديد الأولويات العلمية والتكنولوجية، ومن ثم وباستمرار، العمل الدؤوب علىٰ تركيزها لتلبية الاحتياجات الإنسانية قبل أي شيء؛ ذلك كون الهنود بحكم طاقاتهم البشرية الهائلة (Manpower) وتوفر طاقاتهم العقلية (Intelligentsia) يتحملون قدرا من المسؤولية في هذا العالم[٢].

حسب تقرير نشرته مجلة «العلم» (The Science) الرائدة عالميا، أنه وعلىٰ الرغم من إقلاع الهند في مجال الطاقة الذرية، وفتح آفاق التعاون النووي السلمي مع أمريكا (٢٠٠٨م)، وتعزيزها

(١) Fazal Rizvi Radhika Gorur, Challenges facing Indian higher education, Australia India Institute, Winter 2011: vol. 2, pp. 1-14.

(٢) Sam Pitroda, Challenges in science and technology, 2014.

Link: http://www.nfdindia.org/lec19.htm. (Retrieved 25 September, 2014).

لقدراتها الصاروخية[*] (خاصة الصاروخ المعجزة «براهموس»)، واستعدادها من خلال وزارة التنمية والموارد البشرية كما أفصح رئيس وزرائها السابق، السيد «مانموهان سينغ» في مؤتمر علوم الهند (Indian Science Congress)، المنعقد في كانون ثاني، ٢٠١٢م، في مدينة «بهوبانيسوار» (Bhubaneswar) من مضاعفة ما أنفقته في العام ٢٠١٢م (٣ بليون دولار أمريكي)، ليصل المبلغ مع نهاية العام ٢٠١٧م إلىٰ (٨) بليون دولار أمريكي، وغيره، إلا أن «البيروقراطية الهندية المعهودة»، وغياب فرص إصلاح البنىٰ التحتية اللازمة لإنجاح مسيرة البحث العلمي، علاوة عن وضع الجامعات المتردي، حيث يراها البعض تعاني الفساد وغياب الشفافية، وعلىٰ أنها تركة من تركات الحرب الباردة، وغيرها ما زال حجر عثرة في جعل الهند في مجال العلم والتكنولوجيا عملاقا عالميا[١].

(*) الصاروخ «براه موس» (rahMosB)، صاروخ موجه قصير المدىٰ (٢٩٠) كيلو، جاء نتيجة لمشروع بحثي تطويري مشترك بين الهنود والروس، والذي يمكن إطلاقه برا وجوا وبحرا، وإصابة هدفه بدقة فائقة، وحسب بعض المصادر يمكن له إصابة أكثر من هدف في الضربة الواحدة في حال أعد ووجه مسبقا لذلك الغرض. وبالمقاييس الصوتية يعتبر الأسرع من نوعه عالميا (٨.٢ ماغ). كما يعتقد أن الجيش الهندي هو الوحيد من بين جيوش العالم الذي تتسلح قواته ميدانيا بمثل هكذا صاروخ!

(١) Richard Stone, Science in India: India rising, Science, 24 February 2012, vol. 335, no. 6071, pp. 904-910. DOI: 10.1126/science.335.6071.904.. (Retrieved 25 September, 2014).

أيضا، عدم رصد العلماء وهم صغار السن، ومتابعة شأنهم علىٰ مستوىٰ المدارس، إضافة إلىٰ بحث الكثير منهم عن فرص العمل والالتحاق بها عند أول فرصة متاحة بعد التخرج من المراكز والمعاهد والجامعات التي يدرسون بها، إضافة إلىٰ سفر أو هجرة البعض الآخر إلىٰ أسواق تلك الدول المشرعة أبوابها لمن هم كفاءات، وقبول العديد من المراكز والجامعات والدول المانحة لمشاريع ومقترحات أبحاث ودراسات الدكتوراة وما بعد الدكتوراة (الهندية)، كلها تحديات وعوائق تقف في وجه «قيامة الهند» علميًا وتكنولوجيًا؛ فهؤلاء في خدمة من منحوهم المال والفرصة وخدمة مراكز أبحاثهم مقابل خدمة وطنهم الأم وشعبهم، وهم علىٰ ذلك ما لم تقم الهند من خلال مراكزها وبرامجها بعمل ما يلزم؛ لاستقطابهم وإعادتهم إلىٰ بلدهم[1].

(١) Ibid.

خلاصة واستنتاجات

في ضوء ما تطرقنا إليه من موضوعات عبر الفصول السابقة، يمكن لنا أن نخلص إلىٰ مجموعة من الاستنتاجات الهامة، وعلىٰ رأسها:

١- أن الهند كغيرها من بلدان العالم، قد عانت من سطوة الاستعمار الأجنبي، والمتمثل باستئثار الاستعمار البريطاني وبسط نفوذه علىٰ سائر شبه القارة الهندية، بهدف نهب خيرات البلاد واستعباد العباد، والذي طال إلىٰ قرابة الثلاثة قرون تقريبًا، حيث الإسفاف والتعسف بحق الأمة الهندية، وتأخير مشوار نهضتها جراء ذلك إلىٰ أكثر من نصف قرن بعد الاستقلال. ولولا طول أمد تلك الحقبة الاستعمارية لكان بأن شهدت الهند وشعبها نهضة اقتصادية وتعليمية وتقنية مبكرة، كغيرها من دول وحواضر العالم والتي في حالات عانت أقل مما عانته الهند جراء الاستعمار، وفي حالات أخرىٰ تخلصت منه في مراحل مبكرة، كالحالة الأمريكية علىٰ سبيل المثال، حيث أن تحرر واستقلال أمريكا في العام ١٧٧٦م ترك أثره الإيجابي والبناء علىٰ مشوار النهضة في أمريكا مقارنة ببلد كالهند كان بأن تأخر مشوار تحررها واستقلالها إلىٰ العام ١٩٤٧م.

٢- أن الشعوب والأمم كي تستقل في قرارها ومصيرها لا بد لها من أن تلتف حول قيادة «كارزماتية» متعلمة، مثقفة وواعية، وأن تسير من وراء تلك القيادة بتبني أفكارها السياسية وتحركاتها الحزبية وما تدعوا إليه من نشاطات ومؤتمرات ومهرجانات ثقافية ووطنية، وهو ما نستنتجه في الحالة الهندية حيث التف الهنود بمختلف أطيافهم وألوانهم الدينية والطائفية والعرقية والمناطقية حول شخصيات «كنهرو وغاندي وأبو الكلام آزاد» وغيرهم، ليصنعوا لهم مجدا حقيقيا، كان بأن أوصلهم إلىٰ نقطة التحرر والخلاص من المستعمر البريطاني، وإعلان الاستقلال في ١٥ آب، ١٩٤٧م.

٣- أن الدول والشعوب والأمم المستقلة، لا بد لها من ترجمة حركة استقلالها من خلال تبني المواقف السيادية والتعبير عن ذلك بعقلانية وواقعية ودبلوماسية خلاقة، دون التأثر السلبي بالدول العظمىٰ، والانفعال بحراكها السياسي والعسكري علىٰ الأرض، وهو ما نتعلمه من الحالة الهندية حيث الانضباط وعدم الانحياز للدول الكبرىٰ المتصارعة علىٰ النفوذ هنا وهناك، وهو ما نرىٰ أنه قد ساعد كثيرًا في انطلاقة الهند من قيود التبعية سواء للشرق أو الغرب، والبحث بدلا من ذلك عن مصالحها ومصالح شعبها. كما مكن ذلك للهند من التعبير عن مواقفها تجاه القضايا الدولية الكبرىٰ بكل حرية وأريحية، كموقفها من قضية العرب الأولىٰ، قضية شعب فلسطين، وغيرها من القضايا الدولية.

٤- أن اللجوء إلىٰ أساليب وطرق ضامنة للحريات العامة

والخاصة، وسياسات عدم المساس بحريات الآخرين، والعمل وفقها سياسيا يسهم في تمكين الجماهير من التعبير عن قضاياهم المصيرية، كل حسب خصوصياته الثقافية، وبالتالي تمكين الجميع من المشاركة الفاعلة في مسيرة العطاء والبناء، فالتنمية ومتعلقاتها لا تأتي من القسر والجبر والاعتداء علىٰ الحريات العامة والخاصة. وما الديموقراطية الهندية علىٰ ما تعانيه من قصور إلا أداة من أهم تلك الأدوات التي مكنت للهند والهنود من تجاوز الفروق الدينية والطبقية والثقافية والعرقية للعمل معا وبصورة وحدوية من أجل الهند ومستقبل الهند، ونهوضها من بعد حقبة استعمارية طويلة كان بأن كبلتها قرون طويلة. فالتعددية من حيث المبدأ تتطلب وجود الديموقراطية من أجل النهوض والاستمرار، كما أن الديموقراطية علىٰ أصولها هي الأداة الكفيلة إلىٰ ضمان الوحدة في ظل وجود الاختلاف والتباين والتعدد، وهو ما تتفهمه وتحافظ عليه الهند كتقليد سياسي رفيع، قيادة وشعبًا للمضي قدمًا لما هو أفضل.

٥- كما نستخلص من أن الحكومات التي تستمد قراراتها سواء من أجل توظيفها في الشأن الداخلي وما يتطلبه الداخل من سياسات أو علىٰ مستوىٰ العلاقات الخارجية وما يتطلبه الخارج من دبلوماسية وحكمة سياسية، هي فعلا ما يتقدم بالشعوب والأمم، ويسهم في مشوار تنميتها ونهضتها مقارنة بتلك الحكومات التي تلجأ إلىٰ التسلط ومصادرة الحريات والإرادات، فالبرلمان الهندي،

أكبر برلمان في العالم، بمن فيه من ممثلين منتخبين يعد صمام الأمان في بلد شعوبي عائل عملاق كالهند. فهو من يشرع للناس والسّاسة في ذلك البلد، ومختلف سّلطاته، وهو من يحاسب تلك السلطات في حال تلاعبها وقيامها بأعمال مخلة قد تجلب الضرر الداخلي أو الخارجي للهند ومواطنيها.

٦- أن الظاهرة الاقتصادية الهندية المتصاعدة لم تكن وليدة لحظتها، فهي ابتداء اشتراكية النزعة؛ أي أن الحكومة والقطاعات العامة مسؤولة كل المسؤولية عن إدارة وتنظيم ما فيه مصلحة عامة للناس، وكان ذلك كما نتفهمه في فترة عالمية حرجة متمثلة بالحرب الباردة، حيث الصراع علىٰ العالم بين اتحادين عملاقين، هما: الاتحاد السوفياتي، والاتحاد الأمريكي (الولايات المتحدة)، وما أن انتهت تلك الحرب في العام ١٩٩١م، نرىٰ الهند تطمئن للوضع العالمي، لتخرج من عباءتها الاشتراكية، إلىٰ العالم ككل، والسوق الحرة، فهي وهذا القرار ترىٰ بأن اللحظة المناسبة قد تسنت للدخول إلىٰ أسواق جديدة، والسّماح لغيرها بالدخول إلىٰ أسواقها ضمن منظومة من القواعد والأطر الاقتصادية والسياسية الضامنة لتبادل المنافع والمصالح، والتي لا قوام للحياة إلا بمراعاتها.

٧- أن القفزات الاقتصادية في الواقع الهندي لم تأتِ من فراغ، بل جاءت جراء حراك داخلي وخارجي متناغم، عماده العمل الداخلي الدؤوب، والانفتاح الخارجي المحسوب؛ فدعم الحكومة المركزية وحكومات الولايات للزراعة والصناعة والتجارة

والخدمات علىٰ كل المستويات هو وراء تلك النتيجة الحتمية لبلوغ معدل النمو مؤشر ٩٪ (قبل أن يدخل الاقتصاد العالمي في حالة من التراجع والركود مع بدايات العام ٢٠٠٨م)، وهو وراء استقرار ذلك المعدل وتأرجحه منذ سنوات تلت ما بين ٤-٥٪ سنويًا. كما أن إيجابية الهند في أن تكون واحدة من بين أهم الأعضاء المؤسسين لمنظمة التجارية والتعرفة الجمركية الدولية (GATT)، ولاحقا لتكون واحدة من بين أهم دول منظمة التجارة العالمية «الحرة» (WTO)، فهذا وقبيله ما جعل منها وبما تعنيه الكلمة، حامية لاقتصاديات الفقراء، وناطقا باسم قضاياهم في المحافل وورش العمل والمؤتمرات الإقليمية والعالمية، بل مكن لها بحكم تلك الإيجابية من أن يتطلع إليها الكثيرون «اعترافا وإقرارًا» علىٰ أنها واحدة من بين تلك الاقتصاديات الواعدة في العالم، جنبا إلىٰ جنب والصين، بل مكن لها من أن تشكل مع كل من البرازيل وروسيا والصين الشعبية وجنوب أفريقيا منظمة «البريكس» الاقتصادية العملاقة.

٨- كما نخلص ونستنتج أن النهضة الهندية ليست بدعًا من الأمر، بل ظاهرة تستند في أمرها إلىٰ جذور ثقافية وحضارية تعود إلىٰ البدايات، إلىٰ حضارة وادي «الاندوز» أو ما يعرف بحضارة وادي «السند». وأن تفاعل الهند حضاريًا وثقافيًا مع محيطها ليس بالجديد عليها، فهو قديم قدم الحضارة والثقافة البشرية، سواء علىٰ صعيد ما هو هندي الطابع منها، أو ما هو مختص بحضارات

وثقافات الأمم الأخرىٰ. فكل ذلك كما نراه قد أسهم بطريقة أو بأخرىٰ في تفاعل وانفعال الهند دولة وأمة مع محيطها لما فيه خيرها وخير جيرانها بل الإنسانية جمعاء.

٩- كما أن العلم والمعرفة في تاريخهما هنديان. وهو ما كشف عنه مؤرخو الحضارة الهندية. وما برحت تلك الجذوة العلمية التاريخية تغذي العقل الهندي العلمي عبر العصور والقرون إلىٰ يومنا هذا، فالمعرفة الهندية التراكمية، هي ما أفضت إلىٰ تمكين الهند من دخول عصر التقنية والذرة والفضاء، وتمكينها مؤخرًا من الولوج إلىٰ مدار المريخ، بعد وصولها كغيرها من الدول إلىٰ عالم القمر.

١٠- هذا ولا تفوتنا الإشارة إلىٰ أن هنالك مصاعب وتحديات ما برحت تواجه الهند، شأنها في ذلك شأن الكثير من الدول النامية والمتقدمة علىٰ حد سواء، مع الإقرار بما هو تفاوت وفارق في حجم ومستويات تلك الصعاب والتحديات. فالهند، تواجه ديمقراطيتها بعض المخاضات والمخاطر. فالفساد ما زال يحتاج إلىٰ المزيد من الجهود لاستئصال شأفته، كما أن العنف الطائفي والصراعات الطبقية والعرقية المقيتة ما برحت تطل برأسها علىٰ الهنود من حين إلىٰ آخر لنراها تعصف بأمنهم وتحصد الكثير من أرواحهم. كما أن الهند تواجه بعض المصاعب مع جيرانها من كل الاتجاهات،خاصة الصين والباكستان، وأن علاقاتها الخارجية معهم ومع غيرهم مرهونة بصعود وهبوط القوىٰ العالمية

وانعكاساتها الإقليمية هنا وهناك، وطبيعة العلاقات الدولية المصالحية التي تحكمها بطريقة أو بأخرىٰ. وما زالت البلد تواجه الأمية والفقر، وتواجه متطلبات الحداثة والعصرنة ومزيدا من التقنية لصالح كل ما هو رفاه مادي ومعنوي، قد يسهم بصورة أو بأخرىٰ في تلبية احتياجات الإنسان الهندي بقدر ما هو مستطاع، من أجل حياة أفضل، ومستقبل واعد وآمن.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

- أمين شعبان عبد النبي، إسرائيل والهند: توسيع نطاق الأمن القومي الإسرائيلي، مجلة الدراسات الفلسطينية، صيف ٢٠٠٩، عدد ٧٠.

- أيمن يوسف وامطانس شحادة، فصل علاقات إسرائيل الخارجية في التقرير الاستراتيجي الإسرائيلي، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، ٢٠٠٨.

- خالد الجوهري، الأزمة السياسية في الهند: السيناريو والتداعيات، السياسة الدولية، عدد ١٣٧، ٢٠٠٠.

- عبد المنعم طلعت، إدارة المستقبل: الترتيبات الآسيوية في النظام العالمي الجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.

- محسن خضر، أزمة الجنوب وتأثيرها في مستقبل حركة عدم الانحياز، مجلة عالم المعرفة، العدد ٤٤٤٧، ٢٠٠٠.

- وليد عبد الحي (تحرير) آفاق التحولات الدولية المعاصرة، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٢م.

المصادر والمراجع الأجنبية:

A. G. Noorani, Savarkar and Hindutva, Leftword Books, New Delhi, 2002.

A. K. Biswas, Iron and steel in pre-modern India; A critical review, Indian Journal of History of Science, 1994 no. 29.

A. Kotwal, B. Ramaswami and W. Wadhwa, Economic liberalization and Indian economic growth; What's the evidence? Journal of Economic Literature, 2011, vol.4, no. 49.

A. W. Singham and S. Hune, Non-alignment in the age of alignment.

Achyut Krishna Borah, A comparative study on need for value based education, An opinion survey among school teachers, International Journal of Humanities Social Science Studies (IJHSSS), July 2014, vol. 1, no. 1.

Aditya Kalra, India triumphs in maiden Mars mission, sets record in space race, Reuters, September 24, 2014.

Link: http://in.reuters.com/article/2014/09/24/india-mars-successful-mangalyaan-idINKCNHJ05720140924. (Retrieved 24 September, 2014).

Agriculture's share in GDP declines to 13.7% in 2012-13, The Economic Times, August 30, 2013.

Link: http://articles.economictimes.indiatimes.com/2013-08-30/news/41618996_1_gdp-foodgrains-allied-sectors. (Retrieved 6 July, 2014).

Agriculture's share in GDP declines to 13.7% in 2012-13, The

Economic Times, August 30, 2013.

Link: http://articles.economictimes.indiatimes.com/2013-08-30/news41618996_1_gdp-foodgrains-allied-sectors. (Retrieved 6 July, 2014).

Ajay Shah and IIa Patnaik, India's financial globalization, IMF working paper, International Monetary Fund, January 2011.

Alberuni's India, Edward C. Sachau (translated), 1888, republ., Rupa, New Delhi, 2002.

Alessandra Stanley, Pope lands in India amid rise in anti-Christian violence, The New York Times, November 6, 1999.

Link: http://www.nytimes.com/1999/11/06/world/pope-lands-in-india-amid-rise-in-anti-christian-violence.html. (Retrieved 25 July, 2014).

Allen Grimshaw, Genocide and democide, Encyclopedia of violence, peace and conflict, 1999, vol. 2.

Alter Joseph S., Yoga in modern India: The body between science and philosophy, Princeton University Press, Princeton, NJ, 2004.

Amartya Sen, The argumentative Indian, Penguin Books, London, 2005.

Ancient civilizations, South Asia, India and beyond, The birth and spread of Buddhism.

Link: http://www.ushistory.org/civ/8d.asp. (Retrieved 4 July, 2014).

Anil Chawla, Story of development of Indian political thought, Smarth Bharat, Lucknow, 2004.

Anita Joshua, Over a quarter of enrollments in rural India are in private schools, The Hindu, January 16, 2014.

Link: http://www.thehindu.com/features/education/school/over-a-quarter-of-enrolments-in-rural-india-are-in-private-schools/article5580441.ece. (Retrieved çAugust, 2014).

Annual status of education report (Rural) 2012 (Provisional), ASER Centre, New Delhi, January 17, 2013.

Link: http://www.pratham.org/file/ASER-2012report.pdf. (Retrieved 5 August, 2014).

APJ Abdul Kalam and Sivathanu Pillai, We can do it: Thoughts for change, Pentagon Press/ Shree Book Centre, Mumbai, 2014, pp. 3-9. See also: Great Indians who did great things.

Link: http://www.stephen-knapp.com/great_indians_who_did_great_things.htm. (Retrieved 1 August, 2014).

APJ Abdul Kalam and Sivathanu Pillai, We can do it: Thoughts for change, Pentagon Press/ Shree Book Centre, Mumbai, 2014.

Arise Bharat, Rousing national consciousness: Impact of Kalidasa on the West.

Link: http://arisebharat.com/2011/10/22/impact-of-kalidasa-on-the-west/. (Retrieved 6 July, 2014).

Arko DasGupta, Cultivating multiculturalism: India and the West, April 22, 2013.

Link: http://blog.tehelka.com/cultivating-multiculturalism-india-and-the-west/. (Retrieved 20 July, 2014).

Arthur Rubinoff , Normalization of India-Israel relations, Asian Survey, May 5, vol. 5, no. 5.

Arthur W. Ryder (translator), The Panchatantra of Vishnu Sharma (c.1199), University of Chicago Press, Chicago, 1925. See also: Stories from Panchatantra.

link: http://www.bharatadesam.com/literature/panchatantra_stories/tales_of_panchatantra.php. (Retrieved 8 July, 2014).

Arunabha Ghosh, Pathway through financial crisis: India, Global Governance, no. 12, 2006.

Arvind Kumar Singh, Zero in early Indian inscriptions, Puratattva, 2008, no. 38.

Arvind Panagariya, India: The emerging giant, Oxford University Press, London, 2008.

Arvind Panagariya, India: The emerging giant, Oxford University Press, London, 2008.

Asghar Ali Engineer, Secularism in India, WLUML Dossier, No. 28, 2006.

Ashok V. Desai, Information and other technology development, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 2.

Asim Roy, The high politics of India's Partition: the revisionist perspective, Modern Asian Studies, No. 24 Vol. 2, 1990.

Asia's best science and technology schools, Asiaweekcom: special report, June 22, 2000.

Link: http://www cgi.cnn.com/ASIANOW/asiaweek/features/universities2000/scitech/sci.overall.html. (Retrieved 24 August, 2014).

Asia's best science and technology schools, Asiaweekcom: special report, June 2, 2000.

Link: http://www-cgi.cnn.com/ASIANOW/asiaweek/features/universities2000/scitech/sci.overall.html (Retrieved 6 September, 2014).

Asit Ranjan Mishra, GDP growth in 2012-2013 worse than expected, LiveMint, January 31, 2014.

Link: http://www.livemint.com/Politics/burPSwwZ4JstNqkBGGWXCP/

Economy-grows-45-in-fiscal-2013.html. (Retrieved 3 July, 2014).

Asit Ranjan Mishra, IMF sticks to 5.4% growth rate for India, cuts global forecast, LiveMint, July 25, 2014.

Link: http://www.livemint.com/Politics/ripzOC6NKyshljPsetZdO/IMF-sticks-to-54-growth-rate-for-India-cuts-global-foreca.html. (Retrieved July 5, 2014).

Atul Sethi, Trade, not invasion brought Islam to India, The Times of India, June 24, 2007.

Link: http://timesofindia.indiatimes.com/india/Trade-not-invasion-brought-Islam-to-India/articleshow/2144414.cms. (Retrieved 17 July, 2014).

Bhattacharyya, H., Multiculturalism in contemporary India, International Journal on Multicultural Societies (IJMS), 2003, vol. 5, no.2.

B. P. Singh, North-East India: Demography, culture and identity crisis, Modern Asian Studies, April 1987, vol. 21, no. 2.

B. Pulapre and M. Parameswaran, Understanding economic growth in India: A Perquisite, Economic and Political Weekly, 2007, vol. 42, no. 27-28.

B. R. Nanda, Jawaharlal Nehru, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 3.

B. R. Nanda, Jawaharlal Nehru, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 3.

B. V. Subbarayappa, India's contributions to the history of science, in D M Bose, S N Sen and B V Subbarayappa, Concise history of science in India (edited), Indian National Science Academy, New Delhi, 1971.

B. V. Subbarayappa, India's contributions to the history of science, in D. M. Bose, S. N. Sen and B. V. Subbarayappa, Concise history of science in India (edited), Indian National Science Academy, New Delhi, 1971.

B.P. Khandelwal, Examinations and test systems at school level in India: Their impact on institutional quality improvement, in Anton De Grauwe and Jordan P. Naido, School evaluation for quality improvement, Meeting of the Asian Network of Training and Research Institutions in Educational Planning (ANTRIEP) report (edited), Kuala Lumpur, Malaysia, July 2-4, 2002, Publication of the International Institute for Educational Planning, UNISCO, Paris, 2004.

Bhavtosh Vajpayee and Nimish Joshi, Indian education; Sector outlook, 14 March 2008.

Link: http://www.everonn.com/images/CLSA140308.pdf. (Retrieved 5 August, 2014).

Bipan Chandra and others, India's struggle for independence 1957-1947, Penguin Books, Delhi, without date.

Biplap Dasgupta, The colonial political perspective, Social Scientist, 2003, vol. 31, no.3-4.

Brun Claude, Canons de l'acupuncture (les), tome 1, (French), Actes-Sud, Paris, 1988.

Buddhist Temples And Stupas.

Link: http://factsanddetails.com/asian/cat64/sb414/item2615.html. (Retrieved 12 July, 2014).

Bureau of Labor Statistics, Report on employment unemployment survey (2012-2013), Government of India Publication, New Delhi, January 2014.

Link: http://labourbureau.nic.in/EUS_2012_13_Vol_1.pdf. (Retrieved 28 July, 2014).

C. M. James, Indian constitution and politics, University of Calicut, Kerala, 2011.

Carl Sagan, Cosmos, Ballantine Books, New York, 1980.

Carol S. Coonrod, Chronic Hunger and the Status of Women in India, June 1998.

Link: http://www.thp.org/reports/indiawom.htm. (Retrieved 28 July, 2014).

Census of India, Ministry of Home Affairs, State of literacy (Ranking of states and union territories by literacy rate: 2011), Chapter 6, Government of India Publication, New Delhi, 2013.

Link: http://censusindia.gov.in/2011-prov-results/data_files/india/Final_PPT_2011_chapter6.pdf. (Retrieved 27 July, 2014).

Centre for Media Studies, India corruption study 2005 to improve governance, Transparency International India, New Delhi.

Centre for Media Studies, India corrupton study 2005:

Charities Aid Foundation (CAF)-India, Education of children in India.

Link: http://www.cafindia.org/pages/aboutUs1_cause_quarter.htm. (Retrieved 8 August, 2014).

Charles Heimasah and Surjit Mansingh, A diplomatic history of India, Calcutta, 1971.

Charles Joseph S., Yoga in modern India: The body between science and philosophy, Princeton University Press, Princeton, NJ, 2004.

Christophe Jaffrelot, Religion, caste, and politics in India, Primus Books (An imprint of Ratna Sagar P. Ltd.), New Delhi, 2010.

D. A. King, The scientific impact of nations, Nature, 2004, vol. 430 no. 6997, pp. 311-316.

D. Chokrabarty and C. Bhattacharya, Congress in evolution, Calcutta, 1946.

D. Pradeep, Right to education in India: The concept and context, in Sukumar Nair, Human right in changing world (edited), ?Gyan Publishing House?, New Delhi, 2011

D.D. Pattanaik, The Swadashi movement: Culmination of cultural nationalism, Orissa Review, August 2005.

D.S. Saini, Combating child labor in India: Compulsory primary education in the context of conception of ?the child rights, Labour and Development, 1997-98, vol. 3, no. 1-2.

Damian Grammaticas, Indian economy 'to overtake UK,' BBC News, Delhi, January 24, 2007.

Link: http://news.bbc.co.uk/2/hi/world/south_asia/6294409.stm. (Retrieved 2 July, 2014).

Daniel Mayton II, Gandhi as peace builder; The social psychology of Satyagraha, in Christie D.J and others (editors), Peace, conflict and violence: Peace psychology for the 21st Century, Englewood Cliffs and Prentice Hall, New Jersey, 2001.

David S. Potter, The Roman Empire at bay: AD 180-395, Rutledge, New York/ Oxen, 204.

De Long, J. Bradford, India since independence; An analytic growth narrative, in D. Rodrik, In search of prosperity; Analytic narratives on economic growth (edited), Princeton University Press, New Jersey, 2003.

Department of School Education and Literacy, Ministry of Human Resource Development, Government of India, Secondary education, Rashtriya Madhyamik Shiksha Abhiyan.

Link: http://mhrd.gov.in/rashtriya_madhyamik_shiksha_abhiyan (Retrieved 11 August, 2014).

Dev Kar, The drivers and dynamics of illicit financial flows from

India: 1948-2008, Global Financial Integrity, Washington, DC, November 2010.

Devesh Kapur and Pratap Bhanu Mehta, Indian higher education reform: From half-baked socialism to half-baked capitalism, Draft paper prepared for presentation at the Brookings-NCAER India Policy Forum 2007, New Delhi, July 2, 2007.

Link: http://www.brookings.edu/global/ipf/2007_kapur_mehta.pdf. (Retrieved 25 September, 2014).

Dharma Kumar, The Cambridge economic history of India, c. 1757-2003, vol. ii, Orient Longman, New Delhi, 2005.

Dilip Mohite, India the fourth great power, Swords and ploughshares series, University of Illinois, spring 1993, vol. vii, no.3.

Dominic Wilson and Roopa Purushothaman, Dreaming with BRICs; The path to 2050, Global economics paper no. 99, Goldman Sachs, October 1, 2003. http://www.goldmansachs.com/korea/ideas/brics/99-dreaming.pdf. (Retrieved 2 July, 2014).

Dominik Wujastyk, The roots of Ayurveda (edited), Penguin Classics, London, 2003.

Culture and religion.

Link: http://www.rsbnet.com/religion/gayathrimantra.html. (Retrieved 17 July, 2014).

E.S. Reddy and Gopalkrishna Gandhi (ed), Gandhi and South Africa, 1914-1948, Navajivan Publishing House, Ahmedabad, 1993.

Edmund Burke, Speech for conciliation with colonies since March 1775, University of Chicago, Chicago, 2000, pp. 464-471.

Link: http://press-pubs.uchicago.edu/founders/documents/v1ch1s2.html. (Retrieved 1 June, 2014).

Embassy of India: Policy statements, India the World Trade Organisation, Internet Archive, November 10, 1999 - July 16, 2014.

Link: http://web.archive.org/web/20050613080223/

http://www.indianembassy.org/policy/WTO/overview.html. (Retrieved 10 July, 2014).

Encyclopedia Britannica, Gandhara art.

Link: http://www.britannica.com/EBchecked/topic/225187/Gandhara-art. (Retrieved 10 July, 2014).

Encyclopedia Britannica, Mathura art.

Link: http://www.britannica.com/EBchecked/topic/369326/Mathura-art?anchor=ref291191. (Retrieved 11 July, 2014).

Ernst Young Global Limited (EY), Bribery and corruption: ground reality in India.

Link: http://www.ey.com/IN/en/Services/Assurance/Fraud-Investigation—Dispute-Services/Bribery-and-corruption-ground-reality-in-India. (Retrieved 20 July, 2014).

F.M. Ibrahim Khalifulla, Law and the evolution of our constitution, Indian Student Law Review, 2012, vol. 1, no. 22.

Fazal Rizvi Radhika Gorur, Challenges facing Indian higher

education, Australia India Institute, Winter 2011: vol. 2.

Fed W. Clotthy, Religion in India: A historical introduction, Rutledge, New York/ Oxon, January 24, 2007. See also Religions in India.

link: http://www.indiaonlinepages.com/religions/. (Retrieved 1 July, 2014).

Fernandez-Armesto, Felipe, Pathfinders: A global history of exploration, W. W. Norton Company Inc., New York, 2006.

Foreign trade performance of India, Annual report, Directorate General of Commercial Intelligence and Statistics, Ministry of Commerce and Industry, Government of India Publication, New Delhi 2012. Link: http://www.dgciskol.nic.in/. (Retrieved 8 July, 2014).

Foreign trade performance of India, Annual report, Directorate General of Commercial Intelligence and Statistics, Ministry of Commerce and Industry, Government of India Publication, New Delhi, 2012. Link: http://www.dgciskol.nic.in/. (Retrieved 8 July, 2014).

Fundamentals of Buddhism, a BuddhaNet Production. Link: http://www.buddhanet.net/fundbud2.htm. (Retrieved 20 July, 2014).

Gabriel Almond and Bingham Powell, Comparative politics: A theoretical framework, Harper Collins College Publishers, New York, 1996.

Ganesh Kumar, Some comments on the debate on India's economic

development, The Economic Journal, vol. ñ1, no. 282.

Gary K. Young, Rome's eastern trade: International commerce and imperial policy, 31 BC-AD 305, Rutledge, London/ New York, 2001.

Geoff Colvin, Corruption: The biggest threat to developing economies, Fortune, April 20, 2011. Link:

http:// archive.fortune.com/2011/04/19/news/international/corruption_developing_economies.fortune/index.htm. (Retrieved 23 July, 2014).

George Coedes and Wlter F. Vella, The Indianized states of Southeast Asia (edited), East-West Centre Press, Honolulu, 1964.

Georges Ifrah, Lowell Bair, From one to zero: A universal history of numbers (translated), Penguin Books, London, 1987.

Global MBA ranking 2014, Business Education, The Financial Times, March 11, 2014. Link: http://rankings.ft.com/businessschoolrankings/global-mba-ranking-2014. (Retrieved 24 August, 2014).

Government of India, Department of Ocean Development, Annual report (1984-1985). Link: http://dod.nic.in/ann84-85.pdf. (Retrieved 14 September, 2014).

Government of India, India's All India Council of Technical Education-AICTE, Growth of technical institutes in the country. Link: http://www.aicte-india.org/downloads/Growth_Technical_Institutions_310514.pdf#toolbar=0. (Retrieved 30 August, 2014).

Government of India, Ministry of Human Resource Development

Fundamental rights, Provisions of the constitution of India having a bearing on education. Link: http://mhrd.gov.in/const_fundamental. (Retrieved 4 August, 2014).

Government of India, Ministry of Human Resource Development, Report to the people on education 2010-11, New Delhi, March 2012. Link: http://mhrd.gov.in/sites/upload_files/mhrd/files/RPE-2010-11.pdf. (Retrieved 10 August, 2014). See also: Rahul Jain, Shashank Singh, and Sushant Soni, Primary education in India: Evolution, structure and development, StudyMode, 2013. Link: http://www.studymode.com/essays/Primary-Education-In-India-Evolution-Structure-1825086.html. (Retrieved 10 August, 2013).

Government of India, National Education Policy, 1968. See also: Government of India, National Policy on Education, (1986), (modified/1992).

Govt unleashes big-bang FDI reforms, opens up defence, The Times of India, July 17, 2013. Link: http://timesofindia.indiatimes.com/business/india-business/Govt-unleashes-big-bang-FDI-reforms-open-s-up-defence/articleshow/21110866.cms. (Retrieved 12 July, 2014).

Graham Ruddick and Philip Aldrick, JLR's Ratan Tata warns on UK competitiveness, The Telegraph, December 5, 2012. Link: http://www.telegraph.co.uk/finance/newsbysector/industry/9722673/JLRs-Ratan-Tata-warns-on-UK-competitiveness.html. (Retrieved 15 July, 2014).

Gregory Mahler, Comparative politics: An institutional and cross - national approach, Prentice Hall, New Jersey, 2000.

Gurharpal Singh, State and religious diversity: Reflections on post 1947 India, Totalitarian movement and political religions, vol.5, no.2.

Gyanendra Pandey, Remembering partition: Violence, nationalism and history in India, Cambridge University Press, Cambridge, 2000.

Harry A. Patrinos, The hidden cost of corruption: Teacher absenteeism and loss in schools, Education for global Development, October 10, 2013. Link: http://blogs.worldbank.org/education/hidden-cost-corruption-teacher-absenteeism-and-loss-schools. (Retrieved 25 September).

Hartmut Scharfe, Education in ancient India, Brill, Leiden, 2002.

Hillary Mayell, India's "untouchables" face violence and discrimination, National Geographic News, June 2, 2003. Link: http://news.nationalgeographic.com/news/2003/06/0602_030602_untouchables.html. (Retrieved 29 July, 2014).

Himanshi Dhawan, Enrolment in schools rises 14% to 23 crore, The Times of India, January 22, 2013. Link: http://timesofindia.indiatimes.com/home/education/news/Enrolment-in-schools-rises-14-to-23-crore/articleshow/18123554.cms. (Retrieved 6 August, 2014).

Hinduism today, India as colony 1850-1947, April/ May/ June 2010.

Hinduism, The spread of Hinduism in Southeast Asia and the Pacific, Encyclopedia Britannica. Link: http://www.Britannica.com/EBchecked/topic/266312/Hinduism/8988/The-spread-of-Hinduism-in-Southeast-Asia-and-the-Pacific. (Retrieved 5 July, 2014). See also: R. Lester, Theravada Buddhism in Southeast Asia (1973): W. Rahula,

What the Buddha taught (2d ed. 1974): D. and A. Matsunaga, Foundations of Japanese Buddhism (1974-76).

History of British dominance and Indian independence, A module for a book in social studies, Eklavya Publication, Bhopal, 2003.

History of communal violence in Gujarat, Concerned citizens tribunal-Gujarat 2002 (Volume I: An inquiry into the carnage in Gujarat, List of incidents and evidence). Link: http://www.outlookindia.com/article/History-of-Communal-Violence-in-Gujarat/217988. (Retrieved 21 July, 2014).

http://www.indiavisitinformation.com/indian-personality/Indian-Nobel-Prize.shtml. (Retrieved 3 August, 2014).

لمعرفة المزيد عن عطايا الهند الروحانية والثقافية، يمكن النظر حول الموضوع من خلال الرابط الإلكتروني:

http://indianculture.awgp.org/ContributionofIndiatotheWorld/.(Accessed 18 June, 2014).

Human Rights Watch, Breaking the silence: Sex child abuse in India, The US Printing Office, 2013.

Human Rights Watch, We have no orders to save you, state participation and complicity in communal violence in Gujarat (Report), July 2002, vol.14, no.30.

India Tourism Statistics at a Glance 2013. Link: http://tourism.gov.in/writereaddata/CMSPagePicture/file/marketresearch/Incredible%20India%20final%2021-7-2014%20english.pdf. (Retrieved 18 June, 2014).

I. S. Gulati, New economic policy and self reliance, Economic Development and Quest for Alternatives, New Delhi, 1997.

Ian Black, Attacks draw worldwide condemnation, The Guardian, November 28, 2008. Link: http://www.theguardian.com/world/2008/nov/28/mumbai-terror-attacks-international-response. (Retrieved 20 June, 2014).

Impact of Buddhism on Civilization. Link: http://bodhikar-am.wordpress.com/2012/04/08/impact-of-buddhism-on-civilization/. (Retrieved 8 July, 2014).

India 2nd best country for biz investment: Survey, The Financial Express, August 1, 2008. Link: http://www.financialexpress.com£news/India-2nd-best-country-for-biz-investment-Survey/343344. (Retrieved 11 July, 2014).

India Brand Equity Foundation (IBEF), Biotechnology industry in India, August 2014. Link: http://www.ibef.org/industry/biotechnology-india. aspx. (Retrieved 18 September, 2014).

India: Country summary of higher education, World Bank. Link: http://siteresources.worldbank.org/EDUCATION/Resources/278200-1121703274255/1439264-1193249163062/India_CountrySummary.pdf. (Retrieved 12 August, 2014).

India's industrial outpost: Tata for now (The country's biggest manufacturer is IndianÀ What does it seek from and give to Britain The Economist, September 10, 2011. Link: http://www.economist.com/node/21528653. (Retrieved 13 July, 2014).

Indian bureaucracy the worst in Asia: Survey, The India Express, June

03, 2009. Link: http://archive.indianexpress.com£news/indian-bureaucracy-the-worst-in-asia-survey/470601/. (Retrieved 16 July, 2014).

Indian IT-BPO Industry, NASSCOM. Link: http://www.nasscom.in/indian-itbpo-industry. (Retrieved 15 September 2014).

Indian officials, India lagging in science and technology. Link: http://www.scidev.net/global/policy/news/india-lagging-in-science-and-technology-says-offi.html. (Retrieved 5 September, 2014).

Indiastat, Indian official population clock. Link: http://www.indiastat.com/. (Retrieved 5 June, 2014).

Indira Gandhi's death remembered, BBC News, November 1, 2009. Link: http://news.bbc.co.uk/2/hi/south_asia/8306420.stm. (Retrieved 30 July, 2014).

International Monetary Fund, Report for selected countries, India. Link: http://www.imf.org/external/pubs/ft/weo/2014/01/weodata/weorept.

aspx?pr.x = 79&pr.y = 7&sy = 2012&ey = 2015&scsm = 1&ssd =

1&sort = country&ds = .&br = 1&c = 534&s

= NGDPD%2CNGDPDPC%2CPPPGDP%2CPPPPC&grp =

0&a = . (Retrieved 3 July, 2014).

International Monetary Fund, Report for selected countries, India. Link: http://www.imf.org/external/pubs/ft/weo/2014/01/weodata/weorept.aspx?pr.x = 79&pr.y = 7&sy = 2012&ey = 2015&scsm =

1&ssd = 1&sort = country&ds = .&br = 1&c = 534&s =

NGDPD%2CNGDPDPC%2CPPPGDP%2CPPPPC&grp=0&a=. (Retrieved 3 July, 2014).

Israel-Pakistan: Prelude to normalization, Tel Aviv notes, September 2005, no. 146.

Jaswant Singh, Jinnah: India, partition, independence, Oxford University Press, London, 2010.

J.C Aggrawal and N.K. Chowdhry, Elections in India 19952-1996: constituency, Results and Analysis, Delhi: Shapira, 1996.

J. C. Kothari, Indian government and politics, Vishal Publications, New Delhi, 1991.

J. D. Singh, Higher education in India-Issues, challenges and suggestions. Link: http://www.gvctesangaria.org/websiteimg/publications/jdarticle.pdf. (Retrieved 25 September, 2014).

Jaffrelot, Christophe, Communal riots in Gujarat: The state at risk? Heidelberg Papers, in South Asian and Comparative Politics, Working Paper no. 17, South Asia Institute, Department of Political Science, University of Heidelberg, 2003.

James Vicini, U.S. has most prisoners in the world due to tough laws, Reuters, December 09, 2006. Link: http://www.commondreams.org/headlines06/1209-01.htm. (Retrieved 2 July, 2014).

Janet Wasko, How Hollywood works, Sage Publications, Thousand Oaks, 2003.

Jason Overdorf, Medical Meccas: An oasis for India's poorest, Newsweek Magazine, October 29, 2006. Link: http://

www.newsweek.com/medical-meccas-oasis-indias-poorest-112171. (Retrieved 25 August, 2014).

Jawaharlal Nehru, Glimpses of world history, Bombay, 1962.

Jean Dreze and Amartya Sen, Democratic practice and social inequality in India, Journal of African and Asian Studies, 2002, vol. 6, no. 37.

Jean Filliozat, The expansion of Indian medicine abroad, in Lokesh Chandra et al., India's contribution to world thought and culture (edited), Vivekananda Rock Memorial Committee, Madras, 1970.

Jerome Cohen, Problems of economic development in India, Economic Development and Cultural Change, 1953, vol.2, no.1.

Jivanta Schottli, Strategy and vision in politics, Jawaharlal Nehru's policy choices and the designing of political institutions, Ph.D., Thesis, University of Heidelberg, 2009.

John Drèze and Amartya Sen, India: Economic development and social opportunity, Oxford University Press, London, 1996.

Joseph Disilvio, Rise of the Bharatya Janata Party, Orater, Spring 2007, vol. 2, no. 1.

Joseph E. Schwartzberg, Maps and mapmaking in India, in Helaine Selin, Encyclopaedia of the History of Science, Technology, and Medicine in Non-Western Cultures (2nd edition), (edited), Springer (International Publishers), 2008.

K. C. Suri, Parties under pressure: Political parties in India since

independence, A paper prepared for State Democracy in South Asia, New Delhi, 2004.

K. Jha Subhash, The essential guide to Bollywood, Roli Books, New Delhi, 2005.

K. V. Raman, Indian influences in Southeast Asia as reflected in the personal names, in Ancient and medieval commercial activities in the Indian Ocean, in Noboru Karashima, Testimony of inscriptions and ceramic-sherds (edited), Taisho University, Tokyo.

K. V. Raman, Indian influences on the place-names of South East Asia. Sandhan, January-June 2002.

K.N. Chatruvedi, The constitution of India, Ministry of Law and Justice, New Delhi, 2007.

Kameshwar C. Wali, Chandra: A Biography of S. Chandrasekhar, Centennial Publications of the University of Chicago Press/ University of Chicago Press, 1992.

Kapil, No of universities in India, India Investment Blog, News and Analysis on Capital Markets and M&A, Special focus on India's education sector, February 19, 2014. Link: http://eqty.blogspot.in/ 2014/02/no-of-universities-in-india.html. (Retrieved 14 August, 2014).

Kaveree Bamzai, 1977-10 + 2 + 3 system of education: The new class structure, India Today, December 24, 2009. Link: http://indiato-day.intoday.in/story/1977-10 + 2 + 3 + system + of + education:

+ The + new + class + structure/1/76361.html. (Retrieved 9 August, 2014).

Kenneth G. Zysk, Asceticism and healing in ancient India: Medicine in the Buddhist monastery, Oxford University Press, New York/ Oxford, 1991.

Kumar Suresh Singh and Rajendra Behari Lal, Anthropological survey of India -Gujarat (edited), Popular Prakashan, Mumbai, 2003.

Laurent Gayer and Christophe Jaffrelot, Muslims in Indian cities: Trajectories of marginalisation (edited), Columbia University Press, New York, 2012.

Letters of Swami Vivekananda, Advaita Ashrama, Kolkata, 2009.

List of approved distance education universities in India, Careers 360, January 2014. Link: http://www.university.careers360.com/articles/list-of-approved-distance-education-universities-in-india. (Retrieved 15 August, 2014).

M. P. Jain, Some aspects of Indian federalism, Banaras Hindu University, Varanasi, 1968.

Mainstream, vol. XXIII, September 1990.

Malini Saran and Vinod C. Khanna, The Ramayana in Indonesia, Ravi Dayal Publisher, New Delhi, 2014.

Manish Anand, Nanoscience and nanotechnology: The new sunrise industry, in Shyma V. Ramani, Innovation in India: Combining economic growth with inclusive development (edited), Cambridge University Press, New Delhi, 2014.

Manoj Kumar and Matthias Williams, Govt allows FDI multi-brand retail, aviation in bold reform push, Reuters, September 14, 2012.

Link: http://in.reuters.com/article/2012/09/14/india-economy-retail-fdi-reform-idINDEE88D08M20120914. (Retrieved 12 July, 2014).

Marie Lall, The challenges for India's education system, The Royal Institute of International Affairs/ Chatham House, April 2005.

Mark Magnier and Subhash Sharma, Terror attacks ravage Mumbai, Los Angeles Times, November 27, 2008. Link: http://articles.latimes.com/print/2008/nov/27/world/fg-mumbai27. (Retrieved 20 June, 20014).

Mathews, M. Mohan, India: Facts & figures, Sterling Publishers, New Delhi, 2001.

Matt Lynley, The world's best engineering schools, Business Insider, July 9, 2012. Link: http://www.businessinsider.com/the-worlds-best-engineering-schools-2012-6?op=1. (Retrieved 15 August, 2014).

Matt Lynley, The world's best engineering schools, Business Insider, July 9, 2012. Link: http://www.businessinsider.com/the-worlds-best-engineering-schools-2012-6?op=1. (Retrieved 25 August, 2014).

MDRA, Report on corruption in trucking operations in India-2006, Transparency International India, New Delhi, February 2007.

Michel Danino, The lost river: On trail of the Sarasvati, Penguin Books India, New Delhi, 2010.

Milan Vaishnav, A New era in Indian politics, Carnegie Endowment for International Peace, June 2014, pp. 1-7.

Milan Vaishnav, India's Congress Party: Down but not yet out, Carnegie Endowment for International Peace, May 2014.

Milan Vaishnav, It is too soon to proclaim death of coalition politics, Carnegie Endowment for International Peace, June 14, 2014.

Milestone Documents, Upanishads. Link: https://www.milestone

documents.com/documents/view/upanishads/impact. (Retrieved 6 July, 2014).

Ministry of Finance, Department of Revenue, Black money: White paper, Government of India Publication, New Delhi, May 2012.

Ministry of Finance, Economic Survey 2009-2010: Human development, poverty and public programs, Chapter 11, Government of India Publication, New Delhi.

Ministry of Finance, Government of India, Economic survey 2009-2010, Balance of payments, Chapter 6.

Ministry of Finance, Government of India, Economic survey 2009-2010, Balance of payments, Chapter 6.

Ministry of Information and Broadcasting-Government of India, India 2009: a Reference annual (53rd edition), Research, Reference and Training Division, New Delhi, 2009.

Ministry of Information and Broadcasting-Government of India, India 2009: a Reference annual (53rd edition), Research, Reference and Training Division, New Delhi, 2009.

Ministry of Information and Broadcasting-Government of India, India 2009: a Reference annual (53rd edition), Research, Reference and Training Division, New Delhi, 2009.

Ministry of Information and Broadcasting-Government of India,

India 2009: a Reference annual (53rd edition), Research, Reference and Training Division, New Delhi, 2009.

Ministry of Information and Broadcasting-Government of India, India 2009: a Reference annual (53rd edition), Research, Reference and Training Division, New Delhi, 2009.

Ministry of Information and Broadcasting-Government of India, India 2009: a Reference annual (53rd edition), Research, Reference and Training Division, New Delhi, 2009.

Mohsen Saeidi Madani, Impact of Hindu culture on Muslims, South Asia Books, Columbia Missouri, 1993.

N. M. Penzer, The ocean of story (Being C. H. Tawney s translation of Somadeva's Katha Sarit Sagara (ocean of streams of story), Chas. J. Sawyer Ltd., Grafton House, London, 1926. (10 volumes works).

N. P. DasGupta and others, Nehru and planning in India, Proceedings of the National Seminar on Pandit Nehru, Planning commission and planned development, Indian Center for Socialist Studies, Ghaziabad, 1993.

Nagesh Kumar, National innovation systems and the Indian software industry development, in Shyma V. Ramani, Innovation in India: Combining economic growth with inclusive development (edited), Cambridge University Press, Delhi, 2014.

Nalanda University. Link: http://www.nalandauniv.edu.in/index.html. (Retrieved 2 August, 2014).

Nathuram Godse, Why I assassinated Mahatma Gandhi? Surya Bharti, Delhi, 2003.

National Policy on Education (with modifications undertaken in 1992), Statement by Shri Arjun Singh, Minister of Human Resource Development Regarding Modifications to the National Policy On Education (NPE) 1986, National Council of Educational Research and Training. Link: http://www.ncert.nic.in/oth_anoun/npe86.pdf. (Retrieved 8 August, 2014).

National University of Educational Planning and Administration, Department of School Education and Literacy, Ministry of Human Resource Development, Government of India, Elementary education in India: Progress towards UEE, International Print-o-Pac Limited, NOIDA, 2011.

Nazeer Ahmed, The conquest of Sindh, History of Islam (An encyclopedia of Islamic history). Link: http://www.historyofislam.com/contents/the-age-of-faith/the-conquest-of-sindh/. (Retrieved 19 July, 2014). See also: Hugh Kennedy, The great Arab conquests: How the spread of Islam changed the world we live in, Da Capo Press, Philadelphia, 2007.

ND Shiva Kumar, Unemployment rate increases in India, The Times of India, June 23, 2013. Link: http://timesofindia.indiatimes.com/india/Unemployment-rate-increases-in-India/articleshow/20-730480.cms. (Retrieved 28 July, 2014).

Nehru, Jawaharlal, Speech on the granting of Indian independence,

August 14, 1947, Modern history sourcebook, Internet History Sourcebook Project. Link: http://www.fordham.edu/halsall/mod/1947nehru1.html. (Retrieved 26 July, 2014).

Neil Steed and David J. Eccott, Comalcalco: A case for pre-Columbian transoceanic contact, migration and diffusion, January-March 2001, vol. 1, no. 5.

Niall Ferguson, The rise and demise of the British world order and the lessons for global power, Basic Books, New York, 2003.

Nirmala Singh, A note on the concept of Satyagraha, Indian philosophical quarterly, October 1997, vol, xxiv, no.4.

Nirvikar Singh, The trillion-dollar question, The Financial Express, December 19, 2010. Link: http://www.financialexpress.com/news/the-trilliondollar-question/726482. (Retrieved 25 July, 2014).

Nurual Hasan, Nehru's contribution to the shaping of the international outlook of India's freedom movement, in Nehru, The man and his vision, ann International Seminar Organized by UNESCO and Government of India, September 1989.

Open and distance learning in India, SSK College. Link: http://www.sskcollege.com/Open-and-distance-learning-in-India.php. (Retrieved 5 September, 2014).

P.R. Kumaraswamy, India and Israel evolving strategic partnership, Mideast Security and Policy Studies, September 1998, no. 40.

Paul Brass, Indian secularism in practice, Indian Journal of Secularism, April-June 2006, vol. 9, no. 1.

Peter Francis Jr., Early historic South Indian and the international maritime trade, Man and Environment, the journal of the Indian Society for Prehistoric and Quaternary Studies, January-June 2002, vol. XXVII, no. 1.

Philip D. Curtin, Cross-cultural trade in world history, Cambridge University Press, Cambridge, 1984.

Pingle Jagamohan Reddy, Nusserwanji K. Vakil and Akbar S. Sarela, Inquiry into the communal disturbances at Ahmedabad and other places in Gujarat on and after 18th September 1969 (Report), ?Home Department, Government of Gujarat, 1971.

Prafulla Ketkar, European Union, relations with, Science and technology, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 2.

Prashant K. Nanda, Education faces lawmakers test, Live Mint and The Wall Street Journal, August 4, 2011. Link: http://www.livemint.com/Home-Page/V9CyEsIu1R7a5J1yTyow1J/Education-faces-lawmakers8217-test.html. (Retrieved 20 August, 2014).

Prem Vrat, Indian Institutes of Technology, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 2.

Prem Vrat, Indian institutes of technology, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 2.

Pual Brass, The partition of India and retributive genocide in the Punjab 1946-1947: Means, methods and purposes, Journal of

Genocide Research, 2003, vol. 5, no.1.

Paul Brass, Indian Secularism in Practice, Indian Journal of Secularism, Vol.9, No.1, Jan-Mar 2006.

QS Top Universities: Top universities in India, December 19, 2013. Link: http://www.topuniversities.com/university-rankings-articles/brics-rankings/top-universities-india. (Retrieved 28 August, 2014).

R. C. Majumdar, Medicine, in D. M. Bose, S. N. Sen and B. V. Subbarayappa, Concise history of science in India (edited), Indian National Science Academy, New Delhi, 1971.

R. Suresh, The role of Kanyakumari district in Quit India Movement: A study, International Journal of Physical, and Social Sciences, March 2012, vol. 2, no. 3.

R.K. Joshi, Indian constitution, Viniyog Parivar Trust, Mumbai, 2005.

R.K. Suri and Kalapana Rajaram, Infrastructure: S & T education, science and technology in India (edited), Spectrum, New Delhi, 2008.

R.R. Diwakar, Satyagraha: A new way of life and a new technique for social change in Gandhi theory and practice, Social Impact and Contemporary Relevance, 1969, vol.11.

Rahuk Bedi and George Wright, '15 die' in terror attack on Indian parliament, Mail Online: Evening Standard, December 13, 2001. Link: http://www.dailymail.co.uk/news/article-89759/15-die-terror-attack-I-ndian-parliament.html. (Retrieved 15 June, 2014).

Rahul Choudaha, India: Foreign universities - a reality check,

University World News, March 21, 2010. Link: http://www.university worldnews.com/article.php?story＝20100320163146428 (Retrieved 22 August, 2014).

Rahul Choudaha, Trends, insights and strategies on internationalization of higher education: Statistics on Indian higher education 2012-2013, AUG 25, 2013. Link: http://www.dreducation.com/2013/08/data-statistics-india-student-college.html. (Retrieved 4 August, 2014).

Rajeev Ranjan, Why Godse killed Gandhi? January 29, 2009. Link: http://www.imrajeev.com/why-godse-killed-gandhi/. (Retrieved 30 July, 2014).

Rajendran Raja, Nuclear weapons testing and development, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited) Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 3.

Rajiv Krishnan Kozhikode and Jiatao Li, Political, pluralism, public polices and organizational choices: Banking branch expansion in India 1948-2003, Academy of Management Journal, 2012, vol. 55, no.2.

Rajni Kothari, India's political take off, The Economic Weekly, February 1969.

Raju G. C. Thomas, Media, in Stanley Wolpert, Encyclopaedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 3.

Raju G. C. Thomas, Media, in Stanley Wolpert, Encyclopaedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 3.

Ram Swarup, Historians versus history, in Sita Ram Goel, Hindu

temples: What happened to them (edited), (a Preliminary survey), Voice of India, New Delhi, 1990, vol. 1.

Ramananda Sengupta, India and its relations with Israel and the Arab world. Link: http://www.alzaytouna.net/arabic/?c=1519a=121577. (Retrieved 5 June, 2014).

Ramananda Sengupta, India's Israeli-Arab tightrope walk, Aljazerah Briefings August 29, 2010. Link: http://www.aljazeera.com/focus/2010/07/201071912304564815 6.html. (Retrieved 20 June, 2014).

Ramesh Singh, Indian economy for civil services examinations (sixth edition), McGraw Hill Education Offices, New Delhi, 2014.

Rangarajan panel, Poverty line and the Tendulkar committee report, 30% of India is poor, The First Post, July 7, 2014. Link: http://www.firstpost.com/india/30-of-india-is-poor-says-rangarajan-panels-new-poverty-line-formula-1606187.html. (Retrieved 28 July, 2014). See also: Yogima Seth Sharma, India has 100 million more poor: C Rangarajan committee, The Economic Times, July 7, 2014. Link: http://articles.economictimes.indiatimes.com/2014-07-07/news/51133608_1_poverty-line-consumption-expenditure-tendulkar-committee. (Retrieved 29 July, 2014).

Rani Day Burra & Maithili Rao, Cinema, in Stanley Wolpert, Encyclopaedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 1.

RBI governor Raghuram Rajan meets Narendra Modi, LiveMint, June 1, 2014. Link: http://www.livemint.com/Politics/Jh1N8RUWG7J5BKZfTSyYZO/RBI-governor-Raghuram-Rajan-meets-Narendra-

Modi.html. (Retrieved 4 July, 2014).

Reserve Bank of India (India's Central Bank), Number and percentage of population below poverty line, Reserve Bank of India Publication, September 16, 2012. Link: http://www.rbi.org.in/scripts/PublicationsView.aspx?id=15283. (Retrieved 28 July, 2014). See also: Planning Commission, Number and percentage of population below poverty line, Government of India Publication, New Delhi. Link: http://rbidocs.rbi.org.in/rdocs/Publications/PDFs/162T_BST130913.pdf. (Retrieved 28 July, 2014).

Reserve Bank of India, Master circular on external commercial borrowings and trade credits. Link: http://rbidocs.rbi.org.in/rdocs/Notification/PDFs/27ECB010709_F.pdf. (Retrieved 10 July, 2014).

Richard Stone, Science in India: India rising, Science, 24 February 2012, vol. 335, no. 6071, DOI: 10.1126/science.335.6071.904. (Retrieved 25 September, 2014).

Ronald Inden, Embodying God: From imperial progresses to national progress in India, Economy and Society, 1995, no. 24.

Ross E. Dunn, The adventures of Ibn Battuta: a Muslim traveler of the fourteenth century, University of California Press, Oakland, 1986.

Ruddar Datt and K.P.M. Sundharam, Indian economy, S. Chand Group, New Delhi, 2009.

Ruddar Datt, K. P. M. Sundharam, Indian economy, S. Chand Group, New Delhi, 2009.

Rukmini Banner, Challenges to primary education, May 21, 2013.

Link: http://www.livemint.com/Opinion/TLLWxKjaJG790cs99bIv2L/Challenges-to-primary-education.html. (Retrieved 25 September, 2014).

Ryan Brown, The British Empire in India, Ashbrook Statesmanship Thesis, Grove City, Ohio, 2010.

S. K. Kaushik and L. Silk, India's evolving economic model, Economic Policy, Fall 1992.

S. N. Sen, Astronomy, in D M Bose, S. N. Sen and B. V. Subbarayappa, Concise history of science in India (edited), Indian National Science Academy, New Delhi, 1971.

S. Sendjaya, Leaders as servants, Monash Business Review, 2005, vol.1, no. 2.

S. Srinivasan, Wootz crucible steel: A newly discovered production site in South India, Papers from the Institute of Archaeology, University College London, London, 1994, no. 5.

S. Venkitaramanan, Moody's upgrade uplifts the mood but raises questions, The Hindu Business Line, February 10, 2003. Link: http://www.thehindubusinessline.com/2003/02/10/stories/20-03021000040900.htm. (Retrieved 1July, 2014).

S.D. Awale, Engineering teachers in the development of technical education system in India, Indian Society for Technical Education-ISTE, New Delhi, 1999.

Saibal Dasgupta, China blames Dalai Lama for border dispute with India, The Times of India, October 23, 2013. Link: http://

timesofindia.indiatimes.com/world/china/China-blames-Dalai-Lama-for-border-dispute-with-India/articleshow/24564243.cms. (Retrieved 20 June, 2014).

Sam Perlo-Freeman and Carina Solmirano, Trends in world military expenditure, 2013/SIPRI Fact Sheet, Stockholm International Peace Research Institute. (Retrieved 3 July, 2014).

Sam Pitroda, Challenges in science and technology, 2014. Link: http://www.nfdindia.org/lec19.htm. (Retrieved 25 September, 2014).

Samuel Paul, Internationalization of higher education: Strategic implications, Economic & Political Weekly, February 28, 2009, vol. xliv, no.3

Sandeep Ahuja and others, Economic reform in India: Task force report, Harris School of Public Policy, University of Chicago, January 2006.

Sandeep Ahuja and others, Economic reform in India: Task force report, Harris School of Public Policy, University of Chicago, January 2006.

Sanjay Jog, Jobs, education quota for Marathas, Muslims cleared: Proposed reservation will be over and above 52% already given to various communities, Business-Standard, June 26, 2014. Link: http://www.business-standard.com/article/politics/headline-maharashtra-cabinet-clears-16-quota-for-maratha-5-to-muslim-in-jobs-education-114062501069_1.html. (Retrieved 7 August, 2014).

Sanjay Saraf and Ravi S. Parihar, Sushruta: The first Plastic Surgeon in 600 B.C., The Internet Journal of Plastic Surgery, 2006, vol. 4, no.

2. Link: http://ispub.com/IJPS/4/2/8232#. (Retrieved 14 July, 2014). See also: Raju VK., Sushruta of ancient India, Indian Journal of Ophthalmol., 2003, no. 51, pp. 119.

Sanjib Katuwal, Science and technology: India lagging behind, Morung Express. Link: http://www.morungexpress.com/Perspective/113755.html (Retrieved 10 September, 2014).

Sayel Khataybeh, India foreign policy and the Arab world, Print Well, Jaipur, 1993.

See: 15 Indian companies that are most global, Rediff.com, Business, July 17, 2013. Link: http://www.rediff.com/business/slide-show/slide-show-1-15-special-indian-companies-that-are-most-global/20-130717.htm#4. (Retrieved 15 July, 2014).

See: Anti-Christian violence on the rise in India, New report details politics behind extremist Hindu attacks, Human Rights Watch, October 1, 1999. Link: http://www.hrw.org/en/news/1999/09/29/anti-christian-violence-rise-india. (Retrieved 25 July, 2014).

See: India's forex reserves rise to $316.39 bln as of July 4, Reuters, July 11, 2014. Link: http://in.reuters.com/article/2014/07/11/india-rbi-forexreserve-idINKBN0FG1AE20140711. (Retrieved 10 July, 2014).

Serge Trifkovic, Islam's other victims: India, FrontPageMagazine.com, Monday, November 18, 2002. Link: http://archive.frontpagemag.com/readArticle.aspx?ARTID=21094. (Retrieved 17 July, 2014).

Serge Trifkovic, The sword of the prophet: History, theology, impact on the world, Regina Orthodox Press, Salisbury, MA, 2007.

Shalendra D. Sharma, Biotechnology revolution, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 1.

Shang Huipeng, Soio-cultural tradition and development of India: A comparison with China, in Tan Chung, Zhang Minqiu and Ravani Thakur, A Chinese quest for understanding India across the Himalayan Gap (edited), Indian International Centre/ Konark Publishers, New Delhi, 2013.

Shang Huipeng, Soio-cultural tradition and development of India: A comparison with China, in Tan Chung, Zhang Minqiu and Ravani Thakur, A Chinese quest for understanding India across the Himalayan Gap (edited), Indian International Centre/ Konark Publishers, New Delhi, 2013.

Shankar K., Liao LP., Traditional systems of medicine, Physical Medicine and Rehabilitation Clinics of North America, 2004, vol.15, no. 4.

Sharada Srinivsan and Srinivasa Ranganathan, India's legendary wootz steel: An advanced material of the ancient world, National Institute of Advanced Studies, Bangalore/ Indian Institute of Science, Bangalore, 2004.

Sharath Jeevan & James Townsend, Teachers: A Solution to education reform in India, Stanford Social Innovation Review, July 17, 2013. Link: http://www.ssireview.org/blog/entry/teachers_are_a_solution_to_

education_reform_in_india. (Retrieved 6 August, 2014).

Shashi Tharoor, India: From midnight to the millennium and beyond, Penguin Books, London, 2012.

Shawn Donnan, World Bank eyes biggest global poverty line increase in decades The Financial Times, May 9, 2014. Link: http://www.ft.com/intl/cms/s/0/091808e0-d6da-11e3-b95e-00144feabdc0.html. (Retrieved 30 July, 2014).

Shipra Banerjee, Quality higher education, its status, problems & remedial policy, Research Analysis and Evaluation (International Referred Research Journal), April 2011, vol. 2, no. 19.

Shreyasi Singh, Challenges and solutions in Indian higher education, October 2, 2013. Link:

http://thediplomat.com/2013/10/challenges-and-solutions-in-indian-higher-education/. (Retrieved 25 September, 2014).

Shyama V. Ramani and Samira Guennif, The secrets behind India s success in Pharmaceuticals: Seizing the right windows of opportunity, in Shyama V. Ramani, Innovation in India: Combining economic growth with inclusive development (edited), Cambridge University Press, New Delhi, 2014.

Soutik Biswas, Why are India's media under fire? BBC News-India, January 12, 2012. Link: http://www.bbc.com/news/world-asia-india-16524711 (Retrieved 8 September, 2014).

Soutik Biswas, Why are India's media under fire? BBC News-India, January 12, 2012. Link: http://www.bbc.com/news/world-asia-india-16524711 (Retrieved 10 September, 2014).

Sreeradha Datta, Security of India s northeast: External linkages, IDSA Publication, New Delhi. Link: http://www.idsa-india.org/an-nov-00-8.html. (Retrieved 20 June, 2014).

Stephen Gosch and ?Peter Stearns, Premodern travel in world history, Taylor & Francis, London, 2007.

Steve Muhlberger, Democracy in Ancient India. Link: http://faculty.nipissingu.ca/muhlberger/HISTDEM/INDIADEM.HTM. (Retrieved 13 July, 2014).

Steven LaRue (ed.), The India handbook, Fitzroy Dearborn Publishers, London, 1997.

Stuart Corbridge, The political economy of development in India since independence, in Paul Brass, Handbook of South Asian politics, Rutledge, London, 2009.

Sukanta Pramanik, Cripp's mission: The beginning process to the way of Indian independence, Journal of Humanities and Social Sciences, 2014., vol. 19, no.2.

Sultanat Aisha Khan, Russia, relations with, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 3.

Sultanat Aisha Khan, Russia, relations with, in Stanley Wolpert, Encyclopedia of India (edited), 2006, vol. 3, Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 3.

Sultanat Aisha Khan, Russia, relations with, in Stanley Wolpert,

Encyclopedia of India (edited), Thomson Gale, Farmington Hills, 2006, vol. 3.

Suranjan Das, The Nehru years in Indian politics, Edinburgh Papers in South Asian Studies, 2006, no. 16.

Surendra Kaushik, India's evolving economic model: A perspective on economic and financial reforms, American Journal of Economic and Sociology, January 1997, vol. 56, no. 1.

Suresh K. Sharma and Usha Sharma, Cultural and religious heritage of India: Islam (edited), Mittal Publications, New Delhi, vol. 5, 2004.

Sushma Ramachandran, 100 per cent FDI in construction industry through automatic route, The Hindu, February 25, 2005. Link: http://www.thehindu.com/2005/02/25/stories/2005022506990100.htm. (Retrieved 12 July, 2014).

Swami Prabhavananda, The spiritual heritage of India: A clear summary of Indian philosophy and religion (2nd edition), Vedanta Press & Bookshop, Hollywood, Ca, 1979.

Swami Vivekananda, Lectures from Colombo to Almora, pp. 64-65.

T. K. Vishwanthan, Constitution of India, Secretary of Government of India, New Delhi, 2004.

The energy and resources Institute (TERI), Nanotechnology development in India: Building capability and governing the technology (TERI Briefing Paper), supported by IDRC, Canada, 2010.

The probe team: Public report on basic education in India, Oxford University Press, New Delhi, 1999.

The UNISCO Courier, The Ramayana and the Mahabharata: Two great epics of India and South Asia, H.W. Wilson Co., New York, 1967.

The World Bank, Education in India. Link: http://www.worldbank.org/en/country/india. (Retrieved 25 July, 2014).

The World Bank, Education in India. Link: http://www.worldbank.org/en/country/india. (Retrieved 4 August, 2014).

The World Bank, Teachers skipping work. Link: http://web.worldbank.org/WBSITE/EXTERNAL/COUNTRIES/SOUTHASIAEXT/0,contentMDK:20848416'pagePK:146736'piPK:

146830'theSitePK:223547,00.html. (Retrieved 24 September, 2014).

Thomas E. Donaldson, Iconography of the Buddhist sculpture of Orissa: Text, Abhinav Publications?, New Delhi, 2001.

Tom Ginsburg and Rosalind Dixon, Comparative constitutional law, Northampton, USA, 2011.

Tushar Gajjar, Supercomputers in India, IndiaDaily, July 17, 2013. Link: http://indiadaily.indiavoice.info/technology/supercomputers-in-india-20130717444/. (Retrieved 12 September, 2014).

UN Statistical annex. Link: http://www.un.org/en/development/desa/policy/wesp/wesp_archive/2010annex.pdf. (Retrieved 1 July, 2014).

UN, Poverty in India declines by 27%, The Times of India, September 11, 2008. Link: http://timesofindia.indiatimes.com/home/environment/developmental-issues/Poverty-in-India-declines-by-27-UN/articleshow/3471745.cms. (Retrieved 10 August, 2014).

UNISCO Institute for Statistics, Country profiles, India. Link: http://www.uis.unesco.org/DataCentre/Pages/country-profile.aspx?code=IND&regioncode=40535. (Retrieved 2 September, 2014).

United Nations Conference on Trade and Development-UNCTAD, World investment report 2014, Investing in the SDGs: An action plan, United Nations Publication, Geneva, 2014.

University Grants Commission: Quality higher education for all, genesis. Link: http://www.ugc.ac.in/page/Genesis.aspx. (Retrieved 13 August, 2014).

UP trucker won't give bribe, pays with his life, Indian Express, September 27, 2011. Link: http://archive.indianexpress.com/news/up-trucker-wont-give-bribe-pays-with-his-life/852415/. (Retrieved 16 July, 2014).

V. K. R. V. Rao, India's first five-year plan-A descriptive analysis, Pacific Affairs, vol. 25, no. 1, 1952.

V. Venkateswara Rao, Black, bold and bountiful, The Hindu, Business Line, August 13, 2010. Link: http://www.thehindubusinessline.com/todays-paper/article1001195.ece. (Retrieved 20 July, 2014).

V.D. Savarkar, Hindutva, Hindi Sahitya Sadan, New Delhi, 2003.

V.M. Dandekar and N. Rath, Poverty in India: Dimensions and trends, Economic and Political Weekly, January 1971, vol. VI, no. 1.

Valerian DeSousa, Strategies of control: The case of British India, Sociological Viewpoints, Fall 2008, no.61.

Vijay Kulkarni, Status of primary education in India: Strides and

challenges, June 17, 2013. Link: http://www.educationinnovations.org /blog/status-primary-education-india-strides-and-challenges. (Retrieved 25 September, 2014).

Vinay Lal, Anti-Christian violence in India, in R. Puniyani, The politics behind anti-Christian violence (edited), Media House, New Delhi, 2006.

Vinod Kothari, Note of the Indian judicial system, Vinod Kothari and Company, New Delhi, 2013.

Vyas, Neena, 10 + 2 + 3: A Game of numbers? India Today, June 30, 2012. Link: http://indiatoday.intoday.in/story/10-2-3-scheme-seeks-to-divide-schooling-into-two-stages-of-education/1/203052.html. (Retrieved 8 August, 2014).

W. H. Siddiqi, India's contribution to Arab civilization, in Lokesh Chandra et al., India's contribution to world thought and culture (edited), Vivekananda Rock Memorial Committee, Madras, 1970.

W. J. Rude, Paradoxical leadership: The impact of servant-leadership on burnout of staff, Servant Leadership Research Roundtable, Virginia Beach, VA., 2003. Linkt: http://www.regent.edu/acad/global/publications/sl_proceedings/2003/rude_paradoxical_leadership.pdf. (Retrieved 10 June, 2014).

W. S. Lindsay, History of merchant shipping and ancient commerce, Adamant Media Corporation, Boston, 2006.

Will Durant, Story of our civilization, Our oriental heritage, Simon & Schuster, New York, 1954, vol. I.

World Bank Group: Doing business and measuring business regulations, Ease of doing business in India. Link: http://www.doingbusiness.org/data/exploreeconomies/india/. (Retrieved 18 July, 2014).

World Trade Organization, Trade profile: India, 2013. Link: http://stat.wto.org/CountryProfile/WSDBCountryPFView.aspx?Country=IN&Language=F. (Retrieved 6 July, 2014).

World Trade Organization, Trade profile: India, 2013. Link: http://stat.wto.org/CountryProfile/WSDBCountryPFView.aspx?Country=IN&Language=F. (Retrieved 6 July, 2014).

World Trade Organization, Trade profile: India, 2013. Link: http://stat.wto.org/CountryProfile/WSDBCountryPFView.aspx?Country=IN&Language=F. (Retrieved 6 July, 2014).

World Trade Organization, Trade profile: India, 2013. Link: http://stat.wto.org/CountryProfile/WSDBCountryPFView.aspx?Country=IN&

Language=F. (Retrieved 6 July, 2014).

World Trade Organization, World Trade Report 2013: Factors shaping the future of the world trade, WTO, Geneva.

World university rankings, Times Higher Education, October 6, 2006. Link: http://www.timeshighereducation.co.uk/6-october-2006/10363.issue. (Retrieved 24 August, 2040).

Y. K. Singh, History of Indian education system, APH Publishing Corporation, New Delhi, 2007.

Yash Ghai, The role of constituent assembly in constitution making, Institute for Democracy and Electoral Assistance, University of Hong Kong, 2012.

Yasmeen Peer, Communal violence in Gujarat: Rethinking the role of communalism and institutionalized injustices in India (Submitted thesis to the Faculty of the School of International Service of American University), ProQuest LLC, Ann Arbor, MI, 2007.

A brief history of the Kashmir conflict, the Telegraph, September 24, 2001. Link: http://www.telegraph.co.uk/news/1399992/A-brief-history-of-the-Kashmir-conflict.html. (Retrieved 30 July, 2014).

A special report on India: An elephant, not a tiger (an interview with James Astill), The Economist, December 11, 2008. Link: http://www.economist.com/node/12749735. (Retrieved 26 July, 2014).

A. Abdulraheem, Corruption in India: An overview, causes, consequences and remedial measures, Social Action, October-December 2009, vol. 59.

A. Mani and P. Ramasamy, Subhas Chandra Bose and the Indian national army: A Southeast Asian perspective, Institute of Southeast Asian Studies, Singapore, 2006.

Also, see for further information: H. C. Warren, Buddhism in translations (1896, repr. 1963): D. T. Suzuki, Zen Buddhism (1956): A. Wright, Buddhism in Chinese history (1959, repr. 1979): E. Conze, Buddhism (1953, repr. 1959), Buddhist scriptures (1959), and Buddhist thought in India (1962, repr. 1967): E. Zürcher, Buddhism (1962): K. S. S. Ch'en, Buddhism in China (1964, repr. 1972): W. T. de

Bary, The Buddhist tradition in India, China, and Japan (1969): T. Ling, The Buddha (1973): S. J. Tambiah, World conqueror and world renouncer (1976): L. Hurvitz, Scripture of the lotus blossom of the fine dharma (1976): R. H. Robinson, The Buddhist religion (3d ed. 1982): and R. Gombrich, Theravada Buddhism (1988): J. Ishikawa, The Bodhisattva (1990).

Annette Barnabas and Paul Sundararajan, Mahatma Gandhi- An Indian model of servant leadership, International Journal of Leadership Studies, 2012, vol. 7, no. 2.

Atul Chandra Pradhan, Satyagraha: meaning and application, Orissa Review, September- October 2007.

I. Bhagwati and T.N. Srinivasan, Reform of industrial and trade policies, Economic and Political Weekly, September 1991, no. 37, pp. 2143- 2147.

Md. Ayub Mallick, Ideology of the national congress: Political economy of socialism and socialistic pattern of society, Journal of Humanities and Social Sciences, May-June 2013, vol. 12, no. 2.

P. Swapna, The concept of welfare state, International Journal of Business and Management Research, 2011, vol. 1, no. 8.

Planning Commission, Press note on poverty estimates in India, Government of India Publication, New Delhi, July 2013.

S. Balachandra Rao, Indian mathematics and astronomy: some landmarks (3rd edition), Bhavan's Gandhi Centre of Sciences and Human Values, Bangalore, 2004.

S. Sendjaya, J. C. Sarros, and J. C. Santora, Defining and measuring servant leadership behavior in organizations, Journal of Management Studies, 2008, vol. 2, no. 45.

Seidenberg, The origin of mathematics, in Archive for history of exact sciences, 1978, vol. 18 no, 4.

To improve governance, Vol. I: Key highlights, Transparency International India, New Delhi, June 30, 2005.

United Nations, Illiteracy in India top in adult (Report), The Hindu, January 29, 2014.

Zwart, De Frank, The dilemma of recognition: Administrative categories and cultural diversity, theory and society, Springer Publication, London, 2005.

مصادر ومراجع المواقع الإلكترونية:

حول «الجمعية التأسيسية» وعملها المتعلق بالدستور الهندي، يمكن النظر حول الموضوع من خلال الرابط الإلكتروني:

http://wwwparliamentofindia.nic.in/ls/debates/fcats.htm. (Accessed 1 June, 2014).

يمكن معرفة المزيد حول «اتفاقية منطقة التجارة الحرة - لدول جنوب آسيا» وبنودها الـ25 من خلال الرابط الإلكتروني:

http://www.saarc-sec.org/userfiles/saftaagreement.pdf. (Accessed 4 July, 2014).

حول موضوع تبني ما يلزم من الإصلاحات الخاصة بالاستثمارات الأجنبية، يمكن معرفة المزيد من خلال الرابط الإلكتروني:

http://news.indiamart.com/story/finmin-considers-three-single-brand-retail-fdi-proposals-169557.html. (Accessed 12 July, 2014).

للتعرف علىٰ حدود الهند وسواحلها، يمكن معرفة المزيد من خلال الرابط الإلكتروني:

http://www.photius.com/countries/india/geography/india_geography_coasts_and_borders.html. (Accessed 1 July, 2014).

حول تعداد سكان الهند، يمكن معرفة المزيد من خلال الرابط الإلكتروني:

http://www.indiaonlinepages.com/population/india-current-population.html. (Accessed 1 July, 2014).

يمكن معرفة المزيد حول موضوع اللسانيات من خلال زيارة الموسوعة الحرة «ويكيبيديا» علىٰ الرابط الإلكتروني:

http://www.en.wikipedia.org/wiki/Ethnic_groups_of_ India. (Accessed 1 July, 2014).

يمكن معرفة المزيد حول تاريخ الهند من خلال الموسوعة الحرة «ويكيبيديا» علىٰ الرابط الإلكتروني:

http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_India. (Accessed 4 July, 2014).

حول نشأة الحرف «براهمي» وانتشاره، يمكن معرفة المزيد من خلال الرابط الإلكتروني:

http://www.ancientscripts.com/brahmi.html. (Accessed 5 July, 2014).

حول تفاصيل وتعقيدات الثقافة الهندية، يمكن النظر في الموسوعة الحرة «ويكيبيديا» من خلال الرابط الإلكتروني:

http://en.wikipedia.org/wiki/Culture_of_India#Cuisine. (Accessed 20 July, 2014).

لمعرفة المزيد عن هذه الجامعة ودورها الريادي في شؤون التربية والتعليم، يمكن زيارة موقعها من خلال الرابط الإلكتروني:

http://www.nuepa.org/. (Accessed 9 August, 2014).

لمعرفة المزيد حول المجلس الوطني لتعليم المعلمين، يمكن زيارة موقع المجلس من خلال الرابط الإلكتروني:

http://www.ncte-india.org/. (Accessed 9 August, 2014).

يمكن معرفة المزيد حول موضوع المدارس المفتوحة من خلال تجربة ولاية «بيهار» من خلال الرابط الإلكتروني:

http://bbose.org/. (Accessed 30 August, 2014).

يمكن معرفة المزيد عن سلطة فولاذ الهند، وأهم الصناعات التي تقوم علىٰ تلك المادة، وعلىٰ رأسها صناعة حاملات الطائرات، والسفن الحربية والتجارية، ومستلزمات المنشآت العسكرية، وصالات عالم الطيران العسكري والمدني، إضافة إلىٰ محطات الباصات والقطارات ومترو الأنفاق والجسور العملاقة فوق الأنهار والبحار، وذلك من خلال الرابط الإلكتروني:

http://www.sail.co.in/. (Accessed 12 September, 2014).